العباس عليه السلام

رجل العقيدة والجهاد

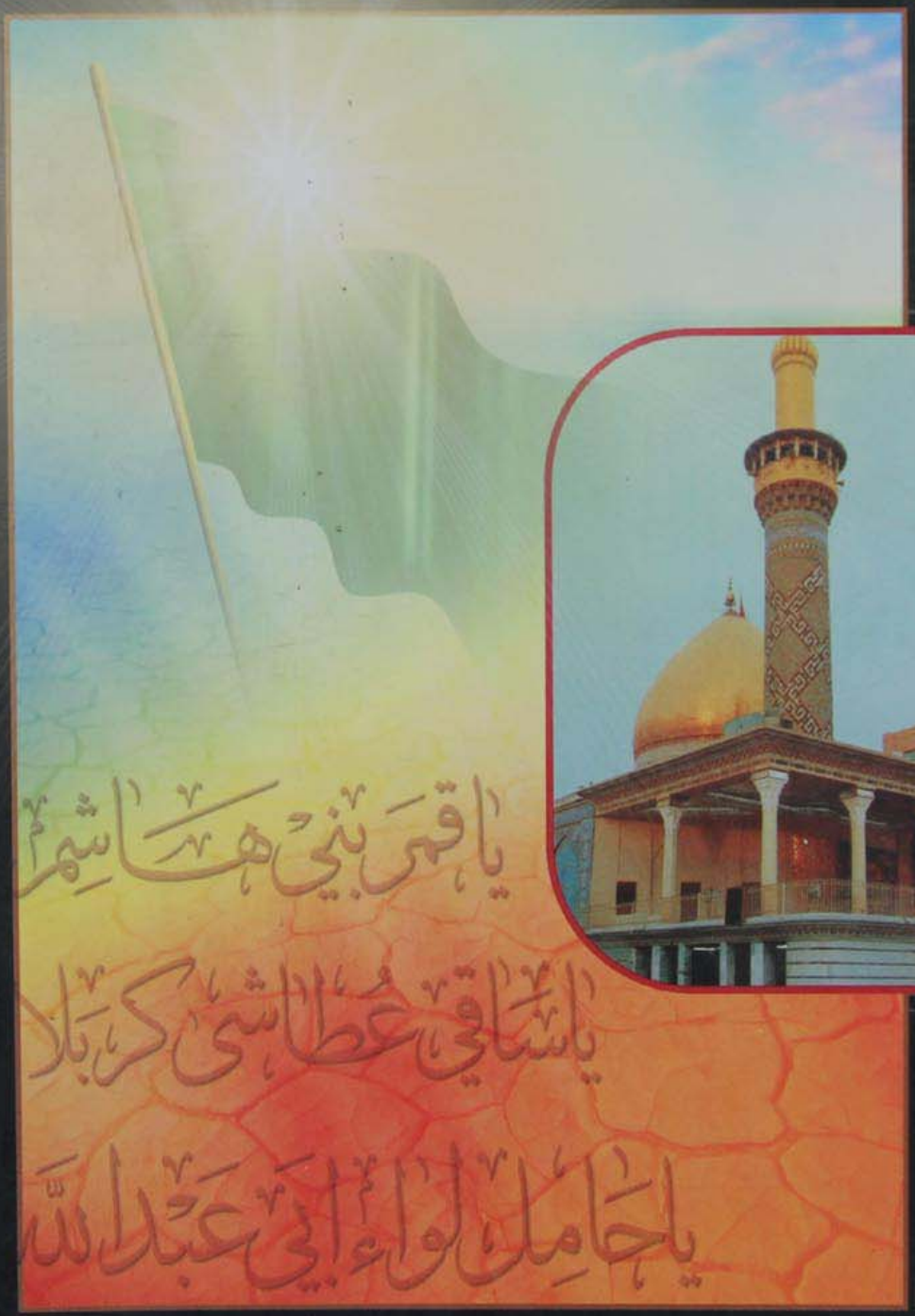

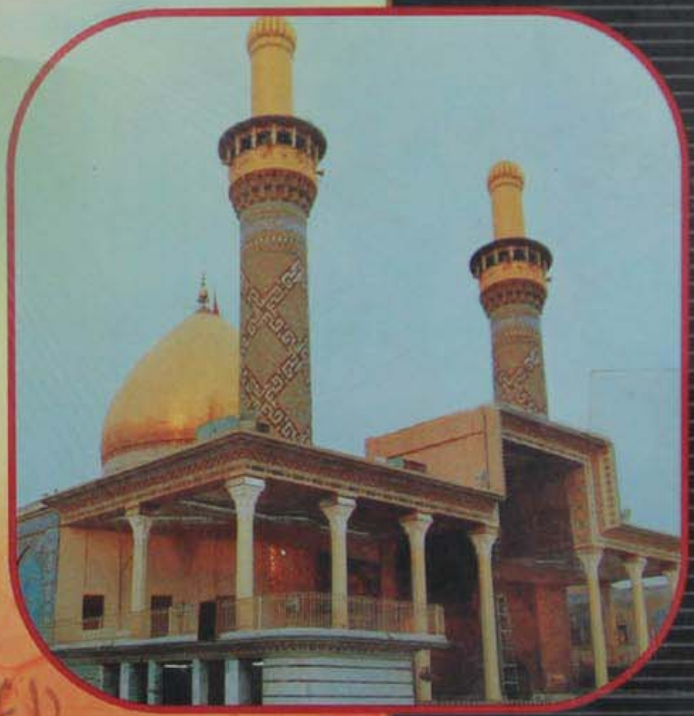

BP
٤٢
/٤
/ع٢
٩ ألف

تأليف: السيد محمد علي يوسف الاشيقر

www.haydarya.com

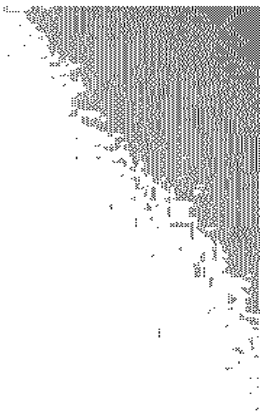

العباس

رجل العقيدة والجهاد

العباس رجل العقيدة والجهاد

تأليف ..... السيد محمد على يوسف الاشيقر

الناشر ..... مؤسسة محبين للطباعة والنشر

ليتوغراف ..... مدين

المطبعة ..... مهر

الطبعة ..... الأولى - ١٤٢٢ هـ. ق

القطع ..... وزيرى

العدد ١٢٠٠

عدد صفحات ٢١٦

ISBN: 964 - 7103 - 04 - 2

العباس

رجل العقيدة والجهاد

تصحيح وتنقيح

الشيخ محمد صادق تاج

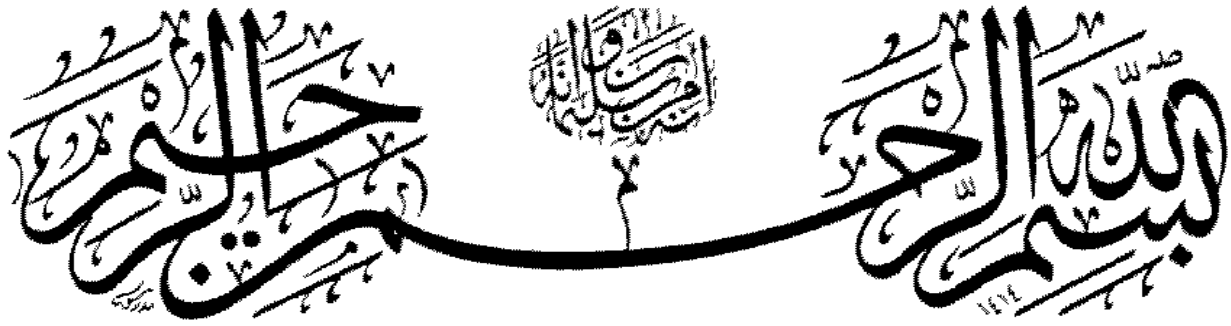
بسم الله الرحمن الرحيم

الاهداء

إلـــى:

- حامل راية الحسين عليه السلام في ملحمة عاشوراء.
- بطل العلقمي وساقي عطاشى كربلاء.
- ذراع الحسين اليمنى والذاب عن حماه.
- سيف الله الصارم وقمر بني هاشم.
- الشهيد وابن الشهيد واخ الشهيد.
- العباس بن علي بن ابي طالب.
- أقدّم هذه الدراسة الموجزة راجياً التفضل بالقبول والرضا...

كربلاءالمقدسة

محمد علي يوسف الاشيقر

حكمة الكتاب

«اني رأيت انه لا يكتب انسان كتاباً في يومه الا قال في غده: لو غيّر هذا لكان احسن ولو زيد كذا لكان يستحسن ولو قدّم هذا لكان افضل ولو ترك ذاك لكان اجمل...

وهذا من اعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر...»

العماد الأصفهاني

تقريض

للعلامة البحاثة الشيخ باقر شريف القرشي

بسم الله الرحمن الرحيم

«اذا تصفحنا في تاريخ الامم والشعوب وامعنّا فى سجلات العظماء والمصلحين فلن نجد من يضارع بطل الاسلام ابي الفضل العباس عليه السلام في صفاته ونزعاته التي منها التفاني في الحق ونكران الذات والتضحية في سبيل الله.

لقد وهب هذا العملاق العظيم حياته لله وهام في طلب مرضاته، فكان الايمان بالله تعالى من اهم عناصره ومقوماته، وقد اعلن ذلك حينما قطع البغاة يمينه في صعيد كربلاء وقال فى رجزه:

والله ان قطعتم يميني اني احامي أبداً عن ديني
وعن امام صادق يقيني

ارأيتم ان اندفاعه في نصرة اخيه لم يكن بأي دافع مادي يؤول امره الى التراب، وانما كان دفاعاً عن اخيه امام المسلمين.

لقد وقف ابو الفضل مع اخيه ابي الاحرار فى خندق واحد رافعين كلمة الله تعالى التي تهوي الانسان الى قرار سحيق من مآتم هذه الحياة.

فما اعظم عائدة ابي الفضل واخيه ابي الاحرار عليهما السلام على الاسلام والمسلمين.

وان من الواجب على ذوي المواهب الاشادة ببطل كربلاء وابراز قيّمهُ الاصيلة ومثله العليا الى المجتمع لتتنور بصورة مستوفية وشاملة، وانا بدورنا نحييّه وندعو له، ونكبّر دراسته لابي الفضل...

سائلين المولى له التوفيق والسداد انه تعالى ولي ذلك والقادر عليه».

النجف الاشرف

٢٠/ شعبان / ١٤١٨ هـ

باقر شريف القرشي

كلمة حول الكتاب

للاستاذ المحامي الأخ الحاج محمد علي النصراوي

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وبعد فقد كان ولا يزال وسيبقىٰ الكتاب خير جليس لطالب المعرفة حيث سيظل الرافد الرئيس للكلمة الهادفة والمعلومة المبتغاة لن تستطيع مزاحمته فضلاً عن الاستغناء عنه بقية مصادر الثقافة لأخرىٰ السمعية منها والبصرية، رغم تطوّرها الهائل وانتشارها السريع سيما اذا كان ذلك الكتاب كالكتاب الذي بين يدّيك عزيزي القارى والذي تضمّن ترجمة لحياة بطل من اعظم ابطال التضحية والفداء في الاسلام في ثاني معركة حاسمه بعد معركة بدر الكبرىٰ ألاوهي معركة الطف الخالدة التي استطاع فيها شهداؤها وعلى رأسهم سيدهم وامامهم سيد الشهداء ان يضعوا فيها حداً فاصلاً بين العقيدة والمنافع الذاتية وبين المبادئ الرسالية والمصالح المادية وبتعبير آخر بين الدين والدنيا كما تشير الى ذلك بعض خطب الامام الحسين عليه السلام خلال مسيرته الاستشهادية الفريدة «الناس عبيد الدنيا والدين لعق على السنتهم يحوطونه مادرّت معايشهم فاذا محصّوا بالبلاء قلّ الديانون».

لقد كان ابو الفضل العباس عليه السلام احد الديّانين الذين احتفظوا بدور مميز في تلك

الملحمة حيث كان رجل العقيدةَ والجهاد فيها كما نقرأ ذلك في عنوان الكتاب الذي نتناوله في هذا العرض الموجز وقف مدافعاً عن دينه مضحياً في سبيل الله بين يدي رسول الله ﷺ حتىٰ نال الدرجة التي يغبطها عليها جميع الشهداء والصديقين.

انني لست هنا بصدد التعريف بالكتاب او المؤلف، فالكتاب واضح لك من عنوانه والعباس بن علي عليه السلام اعرف من يعرّف فهو كتاب قائم بذاته ورحم الله ابا الطيب المتنبي اذ يقول:

واذا استطال الشيء قام بنفسه وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا

اما بالنسبة لمؤلف الكتاب الاستاذ الحاج محمد علي يوسف الاشيقر فغني عن التعريف كذلك خاصة لدىٰ اوساط المثقفين الكربلائيين، فهو موسوعة ثقافية متجولّة يحتفظ بخلفية ثقافية دينية رصينة تؤهله لأخراج مثل هذه الدراسات القيمة، وهو كربلائي صميم من اسرة علوية كريمة يعمل جملة من افراد هاضمن خدمة الروضتين الشريفتين يجمع بين الثقافتين الدينية والعصرية يقضي معظم اوقات فراغه ـ ان صح هذا التعبير ـ إما قارئاً لكتاب او مستمعاً لمجلس وعظ وارشاد احد رواد المجالس الحسينية الذين يرتادونها بصورة مستمرة ودون انقطاع، زامل الكثير من قرائها وتعرفه على العديد من جهابزة خطبائها، اضف الى ذلك انه يمتلك مكتبة خاصة تزخر بامهات الكتب التاريخية والتراثية، كل هذه العوامل والمؤهلات مجتمعة هيأت له امكانية التحليق في هذا المجال الواسع والأفق الرحيب مما ساعد على اخراج هذا الكتاب القيّم بهذا الاسلوب الشيق والمستوى الرفيع...

واننا لنطمع بل نطمع الى المزيد من النتاج الادبي والعلمي في هذا المجال

سيما ان هنالك شخصيات اسلامية عديدة ممن صمدت في وجه الظلم والطغيان وضحّت في سبيل العقيدة والايمان باعز ما تملك لتسجيل موقفاً مشرفاً في إعلاء كلمة الحق من امثال: «حجر بن عدي الكندي واويس القرني ورشيد الهجري وعبد الله بن عفيف الأزدي وسليمان بن صرد الخزاعي وابراهيم بن مالك الاشتر النخعي» وغيرهم كثير ممن لم تتناوله ايدي البحث والتنقيب والدراسة والتأليف مع انهم جديرون بتسليط الضوء على مواقفهم وتعريف القراء بتراجمهم.

آملين ان يفاجأنا المؤلف فى احد مؤلفاته القادمة بدراسة قيمة لاحد هذه الشخصيات او غيرها ممن يختاره لنا الاستاذ ابو يوسف ـ حفظه الله وابقاه ـ

سائلاً العلي القدير ان يمدّه بالعون والتأييد والنشاط والتسديد انه على كل شيء قدير وهو نعم المولى ونعم النصير..»

كربلاءمحمد علي مجيد النصراوي

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الدين محمدﷺ وعلى آله الطيبين واصحابه المنتجبين والتابعين لهم باحسان وسلم تسليماً كثيراً...

وبعد فقد سبق ان نوّهت في خاتمة بعض كتبي السابقة، واظن ان منها: «الحسين... ثورة دائمة» و«الأمام علي... من الكعبة الى الغري» الى اني سوف لن اتناول او اكتب اي بحث او موضوع في المستقبل سبق لاقلام الكتاب والمؤلفين ان طرقوه باسهاب واشبعوه ـ من ثم ـ شرحاً وتحليلاً ولم يدعوا زيادة لمستزيد.

ولقد كان مرادي من درج هذه الملاحظة هو الحرص على تلافي تكرار كتابة المواضيع والابحاث المتداولة وغير البعيدة عن الاضواء وعن اذهان الناس وتدرك الغالبية ـ ولو اجمالاً ـ وانها تنام معهم وتستيقظ، واستبدال الحال بنشر وتعمم المواضيع والابحاث التي لم يتطرق اليها الكتاب والباحثون سيكون لها مردود كبير ومنفعة كثيرة للقرآء والكتاب على حد سواء، بوقوفهم واطلاعهم على ما خصّ عليها من ابحاث ومواضيع، وربما كان هؤلاء على وعي وعلم بها، إلا ان تعاقب الايام وامتداد الأعمار قد انستهم شيئاً ـ قل او كثر ـ مما كانوا يحفظونه او يتذكرونه عنها.

وعليه فان كل ما قمت بكتابته من مواضيع وابحاث بعد درج هذه الملاحظة

الهامة كانت كلها تدور في هذا الفلك والسياق، ومن المواضيع والابحاث تلك الكتب التي تحمل اسماء «تاريخ المساجد فى الاسلام» و«مختصر تاريخ التصوف في الاسلام» و«عمار بن ياسر ـ الصوت الذي لم يخمد والسيف الذي لم يغمد» و«زيد والزيدية»... الخ.

فرغم اهمية بعض مواضيع هذه الكتب، إلا أنها ـ للأسف ـ لم تنل من اقلام الكتاب ما فيه الكفاية ولم تحضى باهتمامهم كثيرا..

ومن هذا المنطلق كان موضوع هذه الدراسة، وكان البحث الذي نقدّمه الان ـ ولقد كانت نقطة الصفر في ذلك حين طلب مني احد الاصدقاء وهو الأخ طه الربيعي صاحب مكتبة الحكمة فى كربلاء اعداد دراسة موجزة عن سيرة حياة الشهيد العباس بن علي عليه السلام ودوره وجهاده في سبيل نصرة اخيه الحسين عليه السلام فى ملحمة كربلاء الخالدة لقلة ما كتب عنه.

ولقد سارعت في البحث عن المصادر والمراجع التي تتناول حقيقة وواقع سيرة هذا البطل وجهاده في سبيل اعلاء كلمة الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وهداية اهل البيت، والتي كنت اظن سلفاً أنها ـ المصادر ـ هي من الكثرة ما يسهل لنا اعداد هذا البحث ومن دون عناء او جهد يذكر.

إلا اني ادركت بعد ذلك ان نصيب هذا البطل المغوار والرمز من الكتابة والبيان كان يسيراً وقليلاً بل واقل من القليل رغم مكانته المميزة والخاصة بين المجاهدين وكونه يأتي في الأهمية بعد اخيه الحسين عليه السلام في ملحمة الطف بكربلاء ومتقدماً على جميع اصحاب الحسين واهل بيئة المكرمين على مسرح عمليات يوم عاشوراء والمنازلة الكبرى فيها، مما دعا الحسين عليه السلام لتأخير السماح له باقتحام المعركة ومنازلة الاعداء إلا بعد ان سقط جميع اصحابه وسائر اقربائه.

مضرجين بدمائهم على ارض المعركة، لان وجوده حياً الى جواره كان يشعره بالقوة والمنعة ويدع عمليات الحرب وزخم المنازلة حيّة ومستمرة.

نعم لم اجد من الكتاب القدامى او المعاصرين من افرده بالدراسة الشاملة القائمة على التمحيص والتحليل العلمي، كما ولم اجد كتبا مستقلة تضم بين طياتها مسيرة هذا المناضل الباسل إلا القليل وقد اعدّت هذه قبل عدة عقود، في حين كان الاجدر ان تؤلف عن حياته كتب كثيرة ودراسات عديدة لما كان يختص به عليه السلام من شجاعة فائقة وعلم غزير وعبادة عميقة ومنزلة خاصة عند والده الامام علي عليه السلام واخويه الحسن والحسين عليهما السلام[1].

لذا فقد قمت ببذل المجهود والعناء من اجل طرق هذا الباب والكتابة عن هذا العلم الكبير رغم قلة ما وجدته من مصادر في هذا السبيل.

واظن ان كل ما امكن درجة في هذه الدراسة قد جاء ناقصاً وغير متكامل ولا تام رغم حرصي الكامل على ان لا اكون قد جافيت الواقع أو ابتعدت عن الحقيقة في كل ما دونته وذلك لتشعب الموضوع وقلة مصادره، إلا ان شفيعي في كل ذلك كان المثل الصيني الشائع الذي يقول: «افضل الف مرة ان تضيء شمعة بدل ان تقضي وقتك في لعن الظلام».

مع املي الكبير ورجائي المتواصل من كل هؤلاء ان يشعروني عن كل سهو او قصور او خطأ قد وقعت فيه والذي هو في الحقيقة والحق قد جاء من دون قصد

---

(١) عند صدور الطبعة الاولى للكتاب، اتيحت لي الفرصة لزيارة بلاد الشام العزيزة، حيث وجدت امامي وفي مكتباتها العامرة بعض الكتب الحديثه ـ والمطبوعة في لبنان ـ التي الفّت عن العباس عليه السلام حيث استعنت بها عند اعادة طبع هذا الكتاب في طبعتة الثانية هذه...

او تعمد وذلك ليتسنى تلافيه وتحاشيه فى الطبعات اللاحقة لهذه الدراسة فيما لو قدّر لها انترى النور لمرة ثانية.

علماً باني عند اعدادي لهذه الدراسة او سواها من الكتب التسعة السابقة كنت اضع امامي وعلى الدوام مقولة احد الحكماء الراحلين التي تفيد:

لا الذي يكتب يجب ان يتوخى الحقيقة كما حدثت لا كما يريدها هو أو كما يريدها الآخرون لان الحقيقة تظهر في المستقبل وتجلب اللوم على من اخفاها وغيّرها.

وختاماً سنمضي الى الله تعالى بالعباس ـ نقدمه بين يديّ مسيرتنا المقدسة ومرددين ما نظمه الخطيب الراحل الشيخ محمد علي اليعقوبي وهو:

ابا الفضل ما لي مغيث سواك اذا الدهر في صرفه جعجا

وكيف يردّ دعائي الاله وقد جئت فيك مستشفعا

لأن من تقدم الى الله تعالى بهذا الشهيد فلن يخيب له ظن في يوم ما اكثر ما يخيب فيه الخائبون... والحمد لله رب العالمين حمداً لا يزال يبدأ وبدء لا ينتهي...

كربلاءالمقدسة

١٩٩٩م / ١٤٢٠هـ

محمد علي يوسف الاشيقر

من مكة الى دار الهجرة

عندما هاجر الرسولﷺ من مكة المكرمة الى المدينة المنورة عام (١٣ هـ) البعثة النبوية الشريفة، ترك الامام عليؑ في مكة لينام في فراشه للتمويه على المحاولة الآثمة التي حاكها القرشيون في الظلمات لاغتياله والاجهار عليه في عقر داره[١]، فضلاً عن تكليفه لعلي لرد ما تجمع عند الرسولﷺ من ودائع وامانات تخص افراد الناس من قريش وسواها.

حيث اعادها الامام علي كاملة الى اهلها ولحق رفقه كل من تبقى من اهل البيت بما فيهم ـ الفواطم ـ في مكة بالنبيﷺ فى المدينة، ولم يتعرّض احد للأمام بسوء سواء في مكة ا و في الطريق الى المدينة لانه كان محسوباً من الشجعان، وكان الناس عادة ـ ولا زالوا ـ تبتعد وتتحاشى التحرش او الاصطدام مع مثل هؤلاء.

وهكذا فقد حفظ الله تعالى محمداً بعلي، وحفظ علياً لمحمد ينصره ويؤيده ويذود عنه في الشدة والرخاء.

وفي المدينة المنورة عاش الامام عليؑ مع اخيه وابن عمه الرسول الاعظمﷺ حياة كفاح ونضال من اجل نشر افكار ومبادئ الدين الجديد وصدّ كل

---

(١) اذا كان الامام علي قد انتدب لينام في فراشه الرسولﷺ ليلة الهجرة فقبل ذلك بصدر رحب مع احتمال ان يقتل او لا يقتل دون الرسول، اما العباس فقد قدّر له ان يذود عن حياض ابن بنت رسول الله في يوم عاشوراء مع يقينه بانه سيقتل دون الحسين، وهكذا الابن هو على سر أبيه.

عدوان او اعتداء موجه ضد المسلمين للنيل منهم او القضاء على دينهم وعقيدتهم، وبالتالي ايقاف مسيرتهما العظيمة فى الارض من اجل انقاذ الناس من حياة الذل والعبودية، وبعث الحياة السعيدة والكريمة لهم.

لقد خاض الرسول صلى الله عليه وآله منذ وصوله الى المدينة وحتى رحيله الى جوار ربه (٢١) غزوة وواقعة ـ وقيل اكثر من ذلك ـ وكان موقع الامام في كل هذه الغزوات والسرايا عند رأس النفيضة وملازماً للنبي صلى الله عليه وآله كظله او مرافقه الخاص وحاميه الاول، إلا في غزوة واحدة وواحدة فقط وهي واقعة تبوك التي جرت عام (٩هـ)، حيث آثر الرسول صلى الله عليه وآله هنا ان يدع اخاه وابن عمه كممثل عنه ونائب خاص له في المدينة، لغرض تمشية شؤونها وامورها، ومن دون ان يصحبه معه الى هذه الواقعة، حيث قال صلى الله عليه وآله له عندما ودّعه على ابواب المدينة وهو على راس جيش المسلمين المتجه الى الجبهة قال له بالحرف:

«يا علي اما ترضى بانك وزيري ووصيي وخليفتي وقاضي ديني ومنجز وعدي، لحمك لحمي ودمك دمي انت بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي».

فقال علي عليه السلام: «رضيت».

وهكذا ظل الامام علي عليه السلام مع النبي صلى الله عليه وآله يدافع عن الاسلام ويذود عن حياضه وينشر معالمه بالغالي والنفيس وفي كل وقت وحتى النهاية.

وهذه الحالة تؤكد العبارة او الجملة المتألقة والمشهورة عبر التاريخ ويحفظها الكبير والصغير والتي تفيد بالحرف:

«ان الاسلام لم يقم ـ او يستقم ـ إلا بجهاد النبي واموال خديجة وسيف علي».

كما واشار اليها عز الدين عبدالحميد بن ابي الحديد المعتزلي حين نظم:

ولولا ابـــوطالب وابـــنه لما مثل الدين شخصاً فقاما
فذاك بمكـة آوى وحـامى وهذا بيثرب خاض الحـماما

هذا وبعد ان استتب حال المسلمين في المدينة وانتظم شملهم، فكّر الامام علي عليه السلام في ان تكون له عائلة يركن اليها، وان ينجب منها الابناء والذرية اسوة بكل ابناء البشر، ويليهم هؤلاء الابناء فى بناء ودعم الدولة الفتية التي اقامها الرسول صلى الله عليه وآله في المدينة والذود عن حماها ودفعها الى الامـام، خـصوصاً وانـه عليه السلام كـان بـعد الرسول صلى الله عليه وآله اول من وضع اللبنة الاولى فـي كيانها والمـحرّك الاول لمـا كـنتها والحارس الامين لحماها.

كانت السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله هي اول امرأة تزف الى الامام ويقترن بها، ولفضل هذه المرأة الطاهرة ومكانتها المميزة عند الرسول صلى الله عليه وآله وفـي عالم الاسلام ايضاً، فقد خطبها حشد كبير من كبار الصحابة وطـلب يـدها مـن والدها صلى الله عليه وآله ايضاً الكثير من ابناء الصحابة، لما في مصاهرة الرسول صلى الله عليه وآله من مكرمة لا تضاهيها اية مكرمة، لان الله سبحانه كان قد رفع واعلى شأنها واعزّها فجعلها في مقام مريم بنت عمران وام موسى عليه السلام واعتبرها خيرة وسيدة نساء العالمين.

وعن هذه المكانة والمنزلة الخاصة بالزهراء نظم شـاعر البـاكسـتان مـحمد اقبال[1] بقول:

هي بنت من هي زوج من هي ام من مـــــنذا يـــدانى في الفــخار ابـــاها
هي ومضة مـن نـور عـين المـصطفى هـــادي الشـعوب اذا تـروم هـداهـا

---

(١) لقد تم الاشارة الى سيرة الشاعر فضلاً عن اعلام الهند والبـاكسـتان الآخـرين في كـتابنا «اضواء على شبه القارة الهندية».

هـي رحمـة للـعالمين وكـعبة الآمـ ـــال في الدنـــيا وفي اخـراهـا
ولزوج فـاطمة بسـورة هـل اتى تـاج يـفوق الشـمس عـند ضـحاها
في روض فـاطمة نمـا غـصنان لم يـــنجبهما في النـــيّرات سـواهـا

ولقد آثر الله تعالى ان تكون هذه المرأة العفيفة من نصيب الامام علي عليه السلام لانه سبحانه وتعالى كان قد اعدّها اعداداً تاماً وكاملاً لتكون قرينة وزوجة لاول انسان ولد في الكعبة المشرفة ولاول من صلى مع رسوله الكريم في دنيا الاسلام ولأول من آزر النبي صلى الله عليه وآله ودعمه، ولاول من جمع القلم الى السيف والبلاغة الى الرمح، وللاول في العلوم والشجاعة والسخاء، وللاول في الحلم والصفح والفصاحة، وللاول في الزهد والتقشف وللاول في الطاعة والعبادة وللاول في التدبر والسياسة... وباختصار للاول في كل فضيلة ومكرمة ومأثرة.

نعم آثرها الله تعالى لتكون حليلة للاول في كل ما تقدم بيانه، وللاول ايضاً في كل الاعمال المحمودة والفعال الحسنة الاخرى.

فكان كما اراد الله سبحانه وكما احب الرسول صلى الله عليه وآله، ولقد تمّت هذه الأرادة وتحققت هذه المحبة في عام (٢هـ) حيث زفت الزهراء عليها السلام في المدينة الى علي عليه السلام وعاد علي الى الزهراء.

ولقد كانت للزهراء عليها السلام منزلة خاصة في قلب الرسول صلى الله عليه وآله حيث اعزّها واكرمها بشكل ليس له نظير، كما ان اجلال الامام علي عليه السلام واكرامه للزهراء لم يكن ابداً باقل مما كان عليه الرسول صلى الله عليه وآله.

لذا نرى ان الامام علي عليه السلام لم يتزوّج على الزهراء عليها السلام اية امرأة اخرى طيلة مدة حياتها كرامة لها. وهي نفس الحالة التي كان قد مارسها الرسول صلى الله عليه وآله من قبل ازاء ام المؤمنين خديجة بنت خويلد عليها السلام (ت عام ٩ بعد البعثة) حيث لم يتزوج عليها اية

امرأة حين كانت على قيد الحياة، حيّة ترزق ـ رغم ان التعدّدية كانت سائدة ومتعارفة حينذاك.

ولقد نظم احد الشعراء فى الاشادة وفي مدح صهر النبيﷺ يقول:

أخوه اذا عدّ الفخار وصهره ... فلا مثله اخ ولا مثله صهر
وشدّ به ازر النبي محمد ... كما شدّ من موسى بهارونه الأزر

كما ونظم الشاعر عبد الباقي العمري الفاروقي في هذا المعنى يقول:

يا ابا الاوصياء انت لطه ... صهره وابن عمه واخوه
ان لله في معاليك سراً ... اكثر العالمين ما علموه
انت ثاني الأباء في منتهى ... الدور وآباؤه تعدّ بنوه
خلق الله آدماً من تراب ... فهو ابن له وانت ابوه

هذا ومن صلب علي وفاطمة ومن بقية زوجاته الطاهرات الاخرى جاء النسب العلوي والذرية الهاشمية الطيبة التي ملئت اطراف الارض والذى قالﷺ عن ذلك:

«ان كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي».

وقالﷺ كذلك: «ولولا علي ما كانت لي ذرية».

كما ودعا الرسولﷺ لذرية علي وفاطمة بقوله: «اللهم اخرج منهما الكثير الطيب»[1].

فكان كما قال الرسولﷺ وكان كما دعا.

---

(١) الامام علي بن ابي طالب ـ توفيق ابو علم، اهل البيت ـ توفيق ابو علم.

وبعد رحيل الزهراءعليها السلام الى جوار ربها (ت ١١هـ)[١] والذي تم هذا بعد فترة قصيرة من رحيل والدهاصلى الله عليه وآله الى الرفيق الاعلى والتي هي (٧٢ يوم) او اكثر، طلب الامام عليعليه السلام من اخيه عقيل بن ابي طالب (ت ٦٠هـ) والذي كان مختصاً بعلم انسان العرب واحسابها بل كان حجة كبيرة في ذلك، وكان ايضاً احد الذين يتحاكم اليهم الناس في علم الانساب[٢]، طلب منه ان يختار له امرأة حيث خاطبه بالحرف:

«انظر لي امرأة قد ولدتها الفحول من بني العرب لأتزوجها فتلد لي غلاماً فارساً».

وانما طلب الامام من اخيه هذا الأمر وذلك لان العرب ـ في الجاهلية والاسلام ـ كانت تولي مسألة الاحساب والانساب مكانة خاصة واهمية عظمى، حيث كانوا ولا نالوا على مدار التاريخ يحتفظون بأنساب قبائلهم وافخاذهم وبطونهم بصورة جيدة وكاملة وهو الذي ندعوه الآن ـ بعصبة الدم ـ وسواء كان هؤلاء العرب من قبائل العدنانية التي تقطن في الشمال عند مكة واطرافها او من القبائل القحطانية من عرب الجنوب الذين يقيمون في اليمن وحواليه[٣].

---

(١) ان حرف (ت) الذى يرد في هذا الكتاب يشير الى تاريخ الوفاة.

(٢) لقد كان في قريش اربعة اشخاص يتحاكم اليهم في علم النسب وايام قريش ويرجع الى قولهم وهم: عقيل بن ابي طالب، مخرمة بن نوفل الزهري، ابو الجهم بن حذيفة العدوي، حويطب بن عبد العزى العامري وكان عقيل اسرعهم جواباً وابلغهم واقدمهم.

(٣) لازال ابناء اليمن الى الان ـ كبقية العرب ـ يعتزون بانسابهم واحسابهم، ولقد صادف في سفرتي الاخيرة الى اليمن السعيدة (١٩٩٧) ان سألت احد الاشخاص (ممن تعرفت عليه هناك) عن نسب، فما كان منه إلا ان اخرج فوراً من جيبه شجرة نسبه التي توصله أباً عن جد الى آدم ـ ابو البشر عليه السلام ـ.

حيث حرص كل هؤلاء العرب واهتم بالنسب هذا اهتماماً بالغاً، وكان هؤلاء يطلقون على الرجل الذي لا يعرف نسبه اسم «الخليع» اي المخلوع عن اية شجرة نسب يمكنه ان ينتسب اليها.

لذا فقد قالت العرب هنا من لم يعرف نسبه لم يعرف الناس ومن لم يعرف الناس لم يعدّ من الناس.

لهذا نرى اعتزاز ابناء العروبة ـ على مر الزمن ـ بعشائرهم واحسابهم وباتوا يضحون بانفسهم وارواحهم رخيصة دفاعاً عنها، وقد تجلى ذلك عبر الكلمات والقصائد الشعرية الحماسية والمعلقات التي تمجّد هذه القبائل دفاعاً عنها، وقد تجلى ذلك عبر الكلمات والقصائد الشعرية الحماسية والمعلقات التي تمجد هذه القبائل وتشيد بهذه العشائر وترفعها الى القمة حقاً او من دون استحقاق.

وان الامام علي عليه السلام لم يغفل هذه الناحية حيث قال لابنه الحسن عليه السلام في وصيته له:

«اكرم عشيرتك فانهم جناحك الذى بهم تطير واصلك الذى اليه تصير ويدك التي بها تصول».

والعجيب هنا ان العرب لم تعتز بانسابها واحسابها البشرية فقط بل قد تجاوزوا في ذلك الى انساب خيولهم واصولها.

حيث نرى هؤلاء يحتفظون بانساب الخيول الاصيلة والتي قسّمت لديهم الى عدة سلالات، وباتوا يحرصون على عدم تزاوج اي فرس من سلالة معينة باخرى من سلالة تقع دونها، وذلك حرصاً على الاحتفاظ بالنسب خالصاً من الاختلاط

بسواه من السلالات المتدينة[١].

وللفرس الاصيلة ـ قديماً وحديثاً ـ ثمن باهظ قد يعادل او يزيد على اثمان عشرة خيول من سلالات متدينة وواطئة.

هذا وقد اجاب عقيل على طلب اخيه بالبحث له عن امرأة أجاب بعد تفكير واستعراض لأنساب العرب واحسابها بالقول:

«تزوج ام البنين الكلابية فانه ليس في العرب على وجه الاطلاق اشجع من آبائها ولا افرس».

ثم اخذ عقيل يذكر لاخيه عليﷺ نسب ام البنين كاملاً من جهة آبائها حيث قال له: «هي فاطمة بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن».

كما وذكر لاخيه نسبها من جهة الام بقوله:

«وامها هي ثمامة بنت سهيل بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب».

ثم قام عقيل يعدّد لاخيه امجاد ومكارم اجداد ام البنين واخوة الاجداد واعمالها وأخوالها، حتى حصل عند الامام اليقين التام عنها، فطلبﷺ من اخيه عقيل التوجه الى اهلها وان يخطبها له من دون تأخير.

وطبيعي ان طلب الامام عليﷺ من اخيه عقيل ان يخطب له امرأة ما كان

---

(١) يعتبر سكان الجزيرة ان اصول الخيل ـ ارسائها او عوائلها ـ سبعة هي: صقلاوي جدران، حمداني السمري، معنق حدرج، كحيلة العجوز، شويمة بسياح، عبية الشراك، هدية نزحي».
هذا وبزيادة النسل وانتشاره لدى مالكين جدد غير الاصليين صارت لهذه الاصول فروع كثيرة بات تعدادها متعذراً.

ليكون إلا لمعرفة الامام بانساب العرب وقبائلها، وما تمتاز به بعض هذه القبائل من مكارم وفضائل (وهو ما ندعوه بالاصل والفصل)، وما يلوك سواها من سيئات وسمعه بذيئة لغرض تجنب المصاهرة مع الاخيرة وذلك وفقاً لما ينقل عن الرسول الكريمﷺ في هذا الصدد بقوله:

«إختاروا لنطفكم فان العرق دساس».

وقولهﷺ أيضاً: «اعرفوا انسابكم تصلوا ارحامكم».

وقوله: «ان الخال احد الضجيعين».

وقولهﷺ: «اياكم وخضراء الدمن»، وحين سئل: «ما خضراء الدمن» قال: «المرأة الحسناء في منبت السوء».

ومن هذا جاء المثل العربي الشائع وهو: «الولد لخاله»[1].

وهكذا كانت افخاذ وبطون عامر وكعب وكلاب ـ وهي التي وقع الاختيار عليها من قبل عقيل لغرض مصاهرة اخيه منها ـ هي قمة الافخاذ والبطون العربية شرفاً وعزة وشجاعة ومروءة في عهدي الجاهلية والاسلام.

ولقد أشار الى هذه الحقيقة احد الشعراء حين نظم فى ذم فخذ نمير فقال:

فغضّ الطرف انك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

كما واشار شاعر عربي ثاني وهو أوس بن حجر الى ذلك حيث نظم في

---

(١) يشير العلم الحديث الى ان المرء يرث صفاته المعنوية والجسدية عن اعمامه واخواله بل وعن جدوده سواء لابيهام لامه.

لذا اهتم العرب بالنسب اهتماماً كبيرا واعتبروه سبباً في التعارف وسلماً للتواصل فيما بينهم.

وصف شجاعة احد افخاذ ام البنين يقول:

يـــلاعب اطـــراف الاســـنة عـــامر فـــراح له حـــظّ الكـــتائب اجمـــع

ونظم شاعر ثالث وهو لبيد يخاطب النعمان بن المنذر ملك الحيرة حول هذا المعنى:

يـــا واهب الخـير الجـزيل مـن سـعة نحـــن بـــنو ام البـــنين الاربـــعة
ونحـــن خـــير عـــامر بـــن صـــعصعة الضـــاربون الهـــام وســـط الخـيضعة

في رحاب ام البنين

لقد اشرنا في الفصل السابق الى الافخاذ والبطون التي تنتسب اليها ام البنين وكونها افخاذ وبطون تبعث على المفاخرة والعزة عند مصاهرتها.

اما في هذا الفصل فنشير الى سيرة هذه المرأة الصالحة النقية وسلوكها وطبيعة خلقها لنرى مدى تطابق وانعكاس مفاخر آبائها وامهاتها ومآثرهم على طبيعة سلوكها وسيرتها بدءاً من ولادتها ومروراً بانجابها للشهداء الكرام الاربعة والذي كان العباس عليه السلام في طليعتهم ومقدمتهم واختتاماً غير موقفها المشرف حين سمعت بمصير ابنائها مع سيدهم الحسين عليه السلام في طف كربلاء، ومن ثم رحيلها الى جوار ربها آمنة مطمئنة لتدفن في مقبرة البقيع بالقرب من قبر سمتها فاطمة الزهراء عليها السلام ومشيّعة الى مثواها الأخير هذا من قبل كل من بقى موجوداً من آل الرسول صلى الله عليه وآله ومن كل الطيبين والاخيار في المدينة المنورة.

لقد ولدت فاطمة (ام البنين) الكلابية في حدود عم (٥ هـ) في أصح الأقوال اي أنها تصغر بسنة واحدة عن عمر الحسين عليه السلام.

ولقد وضع لها اسم ـ فاطمة ـ وذلك لانه كانت هناك اسماء جميلة ولطيفة تميل اليها العرب وتختارها لتسمية بناتها حين ولادتهن، وان اسم (فاطمة) يقع في قمة هذه الاسماء الجميلة وافضلها.

ومن هذا المنطلق ينقل عن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله في مقولته هذه هي:

١ ـ فاطمة بن اسد[١]: وهي ام الامام علي عليه السلام والذي ترعرع الرسول صلى الله عليه وآله من احضانها عند رحيل والدته آمنة بنت وهب وكان يدعوها بالأم.

٢ ـ فاطمة بنت حمزة او ربيعة.

٣ ـ فاطمة الزهراء: وهي ابنة الرسول صلى الله عليه وآله نفسه وزوجة الأمام علي وام الحسن والحسين عليهما السلام ولقد اطلق عليها اسم «ام ابيها» وفقاً لمقولة الرسول صلى الله عليه وآله الآنفة.

وهناك ما يقرب من (٢٠) صحابية تحمل اسم «فاطمة» وفقاً لما اشار اليه الفيروزآبادي في قاموسه. وان اغلبهن اوكلهن قد ادركن وواكبن عصر الرسول صلى الله عليه وآله في اوقات مختلفة والذي منهن ـ فاطمة أم البنين ـ لكونها صحابية جليلة محترمة، لان الصحابي هو من ادرك عصر الرسول واسلم على يده واخذ عنه العلم ونقل حديثه من الرجال والنساء... الخ كما سينشر اليه في فصل لاحق.

اما عن علة تسميتها هنا بام البنين، فنشير الى ان العرب في الجاهلية والاسلام كانت تضع هذا الاسم وتكنى به المرأة التي تلو ثلاثة ابناء فما فوق.

والمفروض هنا هو ان هؤلاء الابناء لا يأتون الى الحياة الدنيا إلا بعد زواج المرأة وولادتها العدد المذكور من الابناء ـ وهذا الأمر يتطلب تأخير وضع الاسم ـ ام البنين ـ الى ما بعد هذه الولادة والانجاب بهذا العدد من الذكور.

---

(١) كانت فاطمة بنت اسد ذات رأي أصيل، وقد سارت سيرة خديجة الكبرى في الدفاع عن الرسول صلى الله عليه وآله مؤازرته واعلاء كلمته، وكثيرا ما وقفت بوجه المشركين وردت عداوتهم، وهاجرت الى المدينة، ولما توفيت عام (٤هـ) كفنها رسول الله صلى الله عليه وآله في قميصه ودخل قبرها وقال: «اللهم اغفر لامي فاطمة بنت اسد ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها»، وقيل للرسول صلى الله عليه وآله عن علة ذلك فقال: «انه لم يكن احد بعد ابي طالب أبرّ بي منها، كانت تجيع صبيانها وتشبعني وتشعثهم وتدهنني وكانت امي».

إلا أن الحقيقة والواقع هنا هو ان البعض من العرب ـ وخلافاً لهذا الفرض ـ كان يكني ابنته عند الولادة وفي عهد الطفولة بهذه الكنية (ام البنين) وذلك على سبيل الأمل والتفاؤل في ان تتزوج ابنته هذه فيما بعد وترزق بعدد وفير من الاطفال الذكور والذى ندعوه الآن بـ«استباق الحوادث» وعلى النحو والكيفية التى كانوا يدعون ويسمّون بناتهم باسماء تبعث على الأمل والرجاء مثل ام ايمن وام الخير وام المكارم وام البركة.

ويظهر لنا هنا ان اسم ام البنين كانت قد كنيت بـ (فاطمة) منذ نعومة اظفارها وقبل زواجها من الامام علي عليه السلام وانجابها لأربعة اولاد منه[1]، بسبب ان عقيل كان قد اشار الى هذه الكنية عندما طلب منه الامام عليه السلام ان يبحث له في قبائل العرب من زوجة بمواصفات معينة وخاصة.

ولقد غلبت هذه الكنية على اسمها الحقيقي (فاطمة) حتى غدت علماً وباتت

---

(١) يذهب البعض الى ان سبب تسمية فاطمة الكلابية بام البنين قد تم مؤخراً وبعد زواجها بالامام علي عليه السلام وذلك عندما طلبت هي من الامام ان يستبدل ويغير اسمها، وحينها استفسر الامام منها عن علة ذلك قالت: «بانه عند مناداتها باسم فاطمة ترى فى وجوه الحسن والحسين وزينب عليهم السلام علائم الحزن والألم لان هذا الاسم يذكرهم بامهم فاطمة الزهراء، فما كان من الامام ـ وفقاً لهذه الرواية ـ إلا ان يغيّر اسمها الى ـ ام البنين ـ ونرى هنا ان اسم ام البنين كان قديماً وقبل زواجها ولقائها بالامام عليه السلام إلا أنها ربما طلبت من الامام والذي كان يناديها في الغالب باسم فاطمة ـ ليستذكر ذكرى زوجته وحبيبته الزهراء ـ بان يناديها باسمها الآخر وهو ام البنين تجنباً من سماع ابناء فاطمة الزهراء لاسم امهم الراحلة، رغم ان سماع اسم الام الراحلة ـ كما هو متعارف الآن ـ قد يبعث الفخر والفرحة والاستذكار عند الابناء لا الحزن ـ ويؤيد هذا المنحى ما قاله عقيل لاخيه علي عليه السلام ازاء الزواج بالحرف: «تزوّج ام البنين الكلابية» ولو لم يكن اسمها ام البنين لقال له: «تزوج فاطمة... الخ».

لا تعرف ولا تذكر إلا بها وحتى نسى الكثيرون اسمها الاول.

وطبيعي ان الله سبحانه قد حقق الامل والرجاء الذي من اجله قد كنيت (فاطمة) العامرية الكلابية به وهو «ام البنين» في السنوات التالية.

حيث إنها وبعد زواجها من الامام علي عليه السلام قد رزقها الله تعالى باكثر من ثلاثة اولاد هم اربعة على وجه التحديد، وقد كان كل واحد منهم ولا سيما اولهم وهو العباس فارساً وشجاعاً وباسلاً يشار اليه بالبنان، واما اسماؤهم فهي كما يلي:

١ ـ العباس ٢ ـ عبد الله ٣ ـ عثمان ٤ ـ جعفر

هذا ونشير الى ان ام البنين العامرية الكلابية لم تكن هي الفتاة الوحيدة في الاسلام التي كنيت بهذا الاسم (ام البنين) بل نجد هناك قبلها او بعدها من كنى بناته بهذا الاسم.

ولقد برزت مكانة بعضهن او اختفت تبعاً لمواقفهن وادوارهن السياسية والدينية والاجتماعية والادبية عبر التاريخ.

ومن النساء اللاتي كنيت باسم «ام البنين» وامكن احصائها هي كما يلي:

١ ـ ام البنين: وهي فاطمة بنت حزام الكلابية وهي موضوع هذا الفصل.

٢ ـ ام البنين: المعروفة بالخصومة الكلابية، وتدعى هذه ايضاً باسم فاطمة وهي زوجة عقيل بن ابي طالب وتشابه ام البنين هذه ام البنين الاخرى (ام العباس) في الاسم والكنية وفي العشيرة والقبيلة وهي كلاب... والعجيب هنا هو أنها انجبت لعقيل اربعة اولاد على النحو الذي انجبت الاخرى اربعة اولاد ايضاً.

٣ ـ ام البنين: ليلى الكلابية وهي بنت عمر بن عامر بن فارس.

٤ ـ ام البنين: العابدة بنت محمد بن عبدالله وكانت هذه تعدّ في وقتها من الزاهدات والعابدات.

٥ ـ ام البنين: المروانية وهي زوجة الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك ويذكر عن سيرتها أنها كانت تمتاز بفضائل وخصائص محمودة ومنها اسهامها في مشاريع خيرية مختلفة فضلاً عن شهرتها في الجود والكرم والسخاء.

٦ ـ ام البنين: الخنساء وهي الشاعرة العربية المشهورة تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمية وتعدّ هذه من خيرة وطليعة شاعرات العرب في عصرها، ولم تبلغ منزلتها شاعرة اخرى، ولقد توفاها الله سبحانه عام (٤٦هـ).

ومن بديع شعرها المعروف ولانزال نحفظه منذ دراستنا الابتدائية والمتوسطة والذي نظمته في رثاء اخيها صخر هو:

يذكر لي طلوع الشمس صخراً ... واذكره لكل غروب شمس
ألا يا صخر لا انساك حتى ... افارق مهجتي ويشق رمسي
ولولا كثرة الباكين حولي ... على اخوانهم لقتلت نفسي

ومن شعرها المشهور ايضاً القصيدة والتي منها هذه الابيات:

وان صخراً لتأتم الهداة به ... كانه علم في راسه نار
حمّال الوية شهّاد اندية ... خواض اودية للجيش جرار

٧ ـ ام البنين: وهي والدة الامام الثامن (عند الشيعة الامامية) علي بن موسى الرضا عليه السلام (ت ٢٠٣هـ) وقد كان لهذه السيدة الجليلة منزلة مرموقة وفضائل محمودة يحسدها عليها كثير من النساء حتى انه قد نظم في شأنها قصيدة ومنها هذه الابيات:

ألا أن خير الناس نفساً ووالدا ... ورهطاً واجداداً علي المعظم

اتـــتنا بـــه للـــعلم والحـــلم ثـــامناً امـــــاماً يـــؤدي حـــجة الله تكـــتم

اما عن الحالة الاجتماعية والفكرية لام البنين (والدة العباس) فقد كانت هذه من النساء الفاضلات في سمو آدابها وحسن سمعتها وسماتها، فضلاً عن كونها من المقرات بحق اهل البيت في الولاية والادارة والامامة ومخلصة في هذا الولاء والمودة، وأنها ـ من ثم ـ كانت ذات عقل راجح وايمان عميق وادب جم يحسدها على ذلك الكثيرون.

فليس من العجيب هنا ان يقع الاختيار عليها لتكون زوجة بارة ومخلصة للامام علي عليه السلام حيث عدّ زواجها هذا كسباً وشرفاً لعشيرتها وقبيلتها لمصاهرتها أعز عشيرة واقدس قبيلة في العرب. كما وعدّ ايضاً ربحاً لأهل البيت حيث انضمت الى صفوفهم امرأة عفيفة ونجيبة باءت عبر اصلاب الشجعان والفرسان، فضلاً عما كانت تحمله وتتحلى به عن ولاء مطلق وودّ عارم وانحياز كامل لهذا البيت الكريم.

وقد تجلى بعض ذلك ساطعاً وظاهراً في التربية والرعاية التي مارستها ازاء ابنائها الاربعة والتي حيّرتهم ليكونوا قنابل موقوته والغام متفجرة وسيوفاً مشرعة بوجه كل اعداء اهل البيت ومناوئيهم وحيثما وجدوا وحلّوا وفي هذا المكان او ذاك.وازاء ولائها المطلق هذا لأهل البيت كان ابناء هذا البيت الكريم عليه السلام بدورهم يثمنون موقفها هذا ويكنون لها الحب العارم والود والعطف الكبيرين، وقد احلوها بينهم في المنزلة والمكانة التي تستحقها معززة ومبجلة، لانها وبزواجها من علي عليه السلام باتت من ضمن نساء اهل البيت عليهم السلام مع مكانة مميزة ودرجة خاصة بما ليس لها نظير.

اما بقية سيرتها فقد توزّع على بعض الفصول القادمة من هذا الكتاب.

ام البنين تزف الى علي عليه السلام

عند رحيل فاطمة الزهراء عليها السلام جوار ربها بعد عدة أشهر من رحيل والدها الرسول صلى الله عليه وآله كانت قد اوصت زوجها الامام علي عليه السلام قبل الرحيل وعند اقتراب اجلها فيما اوصت به قولها:

«جزاك الله تعالى عني خير الجزاء، يا ابن عم اوصيك اولاً ان تتزوج بعدي بابنة اختي امامة فانها تكون لولدي (الحسن والحسين) مثلي، فان الرجال لابد لهم من النساء واجعل لها يوماً وليلة وللحسنين يوماً وليلة».

لذا فقد اضطر الامام بعد وفاة الزهراء عليها السلام ان يبادر الى اختيار امرأة تتولى شؤون اولاده وتعاملهم معاملة الام لابنائها فضلاً عن رعايته وخدمته خصوصاً ـ فيما يتعلق بالاولاد ـ وانهم لا زالوا براعم صغار ولم تفتح بعد، وأن اكبرهم وهو الامام الحسن عليه السلام كان عمره حينذاك في حدود (٧) سنوات وعدة شهور وقد ترك فقد الزهراء عليها السلام اللوعة والألم في نفوسهم.

وتنفيذاً لوصية الزهراء الحرفية فقد تزوّج الامام من امامة بنت ابي العاص وامها هي زينب بنت الرسول صلى الله عليه وآله ومن بعد ذلك تزوج الامام من ام البنين.

وقبل الخطبة والزواج من ام البنين فاطمة، اقبلت هذه مرة على امها ثمامة الكلابية لتقص عليها حلماً كانت قد شاهدتته لتوه في المنام، وخلاصته هو: «انها رأت كأن قمراً وثلاثة كواكب في السماء نزلوا وصاروا في حجرها فضمتهم الى صدرها وهي فرحة ومسرورة بذلك ولكن عندما انتبهت من نومها لم تجد شيئاً»

فحزنت وتألمت على فقد هؤلاء.

واخذتها امها ثمامة الى من يفسّر لها طبعية هذه الرؤيا، فكان التعبير لهذه الرؤيا هو ـ ان هذه الفتاة ستتزوج من رجل عظيم ينجب له منها اربعة بنين يكون بينهم وبين عشيرته واحد منهم هو كالقمر في ليلة تمامه وكماله بين الكواكب والنجوم.

وما هي الا فترة قصيرة حتى يطرق بابها رسول الامام عليعليه السلام الذى جاء ليخطبها الى الامام من اهلها (ولي امرها) كزوجة للامام مكرمة ومرورة، فاسرع الأخير فرحاً اليها فاستجابت باعتزاز وفخر.

وهنا استذكرت ام البنين الرؤيا والذي جاء في تعبيرها بان رجلاً مهماً وعظيماً سيطلب يدها ولم يكن في ذلك الوقت من هو اعظم من الامام عليعليه السلام مكانة ودرجة وعلماً وادباً وخلقاً وبلاغة وفى طول العالم الاسلامي وعرضه.

اما الشطر الثاني من الرؤيا فظلت ام البنين تكنزه في فكرها في انتظار تحقيقه في يوم لاحق من الايام.

ان زواج الامامعليه السلام من ام البنين لم يطلب من ورائه هنا امرأة ذات حسن وجمال ولا امرأة تكتمل فيها صفات الاثوثة، وانما كان يطلب امرأة ولدتها الفحولة من العرب، وكان يريد نقاء الاصل ونقاء الروح، وهذه الصفات هي التي جاءت بالعباس واخوته الى الحياة الدنيا.

هذا ولا نعلم على وجه الدقة والتحديد موعد هذا الزواج الميمون حيث لم تُشر كتب التاريخ الى وقته، ولكن اذا ما علمنا بان التاريخ مولد الابن البكر وهو العباسعليه السلام كان في عام (٢٦هـ).

لذا فيمكن ان نستنتج بان تاريخ زواجها من الامام علي عليه السلام كان طبعاً قبل هذا التاريخ بمدة قد تكون في حدود سنة واحدة او اكثر بمدة قليلة.

ولقد راى الامام فيها العقل الراجح والايمان الوثيق وسمو الآداب ومحاسن الصفات فاعزّها واخلص لها كاعظم ما يكون الاخلاص.

وحينما زفت ام البنين الى بيت الامام علي عليه السلام كان الحسن والحسين عليهما السلام مريضين فانقطعت من اول يوم في خدمتهما ورعايتهما، رغم ان الجميع كانوا في اعمار متقاربة وقالت: «اني لن اشعر بفرحة الزواج إلا بعد شفاء إبنيّ الحسن والحسين».

وقيل انها قالت لهم ـ عند الدخول ـ أنا هنا خادمة عندكم جئت لخدمتكم فهل تقبلون بهذا الشرط وإلا فاني راجعة الى داري.

فرحب بها الحسن والحسين وزينب عليهم السلام وقالوا لها: «انت عزيزة كريمة وهذا بيتك».

ولقد احبها الحسن والحسين بدورهما حباً جماً واعتبراها ـ كما اعتبرت هي نفسها ـ اماً رحيمة وعطوفة عليهما، وبالمقابل فقد احبتهما ام البنين بدورها كما و كانت تحنو عليهما وتلاطفهما بحنانها وهو ـ ما لا تكنه لاولادها ـ مما عوضهما عن الخسارة الكبيرة التي اصابتهما بفقد ورحيل امهما فاطمة الزهراء عليها السلام.

وعن هذه الحالة يقول الاديب الشاعر علي محمد الحائري:

افاطم بعدك ام البنينْ ... ستقبس من جمرة المصطلينا
هي الكفّ تعقب خير النساء ... اريت على شيم الحازمينا
سليل الاكرم من قومها ... وبنت البهاليل اذ ينسبونا

علماً بان العثور على امرأة تحمل مثل هذا السلوك المحمود والمواصفات الحسنة ازاء ابناء زوجها ـ من زوجة اخرى ـ امر نادر في عالم اليوم والأمس.

حيث نرى ان غالبية النساء في المجتمع تغلب على طبيعتهن الغيرة والأثرة، وطالما تسبّبت زوجة الاب في بعث مآسي وكوارث فظيعة في العائلة، وذلك حين ينام ضميرها وتبتعد عن انسانيتها حيث تتولى الاساءة الى ابناء زوجها الصغار ـ من زوجة اخرى ـ وتحاول الوقيعة بينهم وبين أبيهم لتستأثر هي ـ وخصوصاً ان كانت تحمل شيئاً من الجمال والحسن ـ بكل قلبه وعاطفته وبالتالي بثروته وملكيته ان وجدت دون هؤلاء المساكين.

وقد تزداد هذه الحالة والنزوة شدة وقسوة ازاء ابناء زوجها فيما اذا رزقت هي باطفال من زوجها، حيث تحاول هنا ان تدع كل افكار وعواطف واهتمام زوجها منصباً على اولادها من دون اولاده الآخرين، وكأن هؤلاء ليسو باولاده ولم ينزلوا من صلبه عبر زوجته الاولى.

ولقد زادت ام البنين في النبل والسلوك الحسن وتألقت مكانتها وعظمتها حين زرقها الله تعالى باربعة اشبال، حيث قامت باشعار وتنبيه ابناءها وابناء فاطمة الزهراء عليها السلام بانهم جميعاً اخوة واشقاء، حيث غرست في قلوبهم جميعاً الحب المتبادل والاخلاص والوفاء والاخاء والتعاون المشترك حتى بات الواحد منهم يفدي اخاه بكل ما يملك وباغلى ما لديه؟.

وعن طبيعة هذه الحالة نظم الادبى الشاعر السيد سلمان هادي آل طعمة يقول:

ام ـ ابي الفضل ـ خير معتمد ... وام ـ عثمان ـ بيضة البلد
ثالثهم ـ جعفر ـ الأبي ومن ... ما لانَ في شدة ولم يجد
وام ـ عبد الله ـ الذي اجتمعت ... فيه خصال تهدي الى الرشد

ونظم الشاعر الشيخ هادي كاشف الغطاء حول الموضوع يقول:

ام البنين طابت الابناء ... منك كما طابت الآباء
ام الاسود من بني عمرو العلا ... ام الحماة والاباة النبلا
ام ابي الفضل وام جعفر ... وام عبدالله شبل حيدر
وام عثمان الذي سماه ... باسم ابن مظعون الاب الأواه
الأنجبين الطاهرين انفساً ... الاكرمين الطيبين مغرسا
آجرك الله وايانا فما ... املك لو رمت اعزيك فما

كما ونظم شاعر ثالث هو الاديب علي محمد الحائري يقول:

ويا ام من نصروا في الطفوف ... حسيناً ولم يرتضوا العيش هونا
هززت بهم راسيات الجبال ... بما نلت من ذكرهه ثائرينا

اما عن هؤلاء الاشبال الاربعة الذين رزقت بهم ام البنين ـ والذين كانوا في العدد والصورة وفقاً للشطر الثاني من ا لرؤيا التي شاهدتها قبل خطبتها من الأمام ـ فهم باختصار كما يلي:

١ ـ العباس: وهو الوليد الاول حيث ولد في يوم الجمعة (٤) شعبان من عام (٢٦هـ) علماً بان اخاه الحسين كان قد ولد في شهر شعبان ايضاً وفي الثالث منه من عام (٣هـ).

ولقد كان العباس وسيماً وجميلاً وفقاً لما سنشير اليه في الفصل القادم، ولقد كان عمره في يوم عاشوراء وهو يوم شهادته مع بقية اخوته (٣٤) سنة.

وقد سماه الامام علي عليه السلام في اليوم السابع من ولادته بالعباس لعلمه بشجاعته وسطوته وصولته وعبوسه عند قتال الاعداء ومنازلة الظالمين في كل ادوار حياته، حيث جاء في الصحاح ان عباس هو كشداد وهو الاسد الضاري، ولقد عق (فدى)

له والده كبشاً كما فعل مع الحسن والحسينعليهما السلام من قبل وامر امه ان تحلّق راسه وتتصدّق بوزن شعره فضة او ذهباً على المساكين فضلاً عن الأذان في الأُذن اليمنى والاقامة في اليسرى عند ولادته.

٢ ـ عبدالله: وهو الوليد الثاني لام البنين وكان عمره يوم الطف وشهادته (٢٥) سنة.

٣ ـ عثمان: وهو الوليد الثالث لام البنين وكان عمره يوم استشهاده في كربلاء (٢٣) سنة.

٤ ـ جعفر: وهو الوليد الرابع والأخير لام البنين وكان عمره يوم استشهاده (٢١) سنة[١].

وهكذا عاش الاشبال الاربعة لام البنين مع بقية اخوتهم من ابناء فاطمة الزهراءعليها السلام او سواهم من الأخوة عاش الجميع في اخوة ومحبة كاملة في المدينة المنورة او في الكوفة من دون ان يعكّر صفو هذا الحب والود المتبادل اي شيء الى حين انتقال والدهم العظيم عليعليه السلام الى جوار ربه عام (٤٠هـ) مستشهداً في الكوفة بسيف الشقي ابن ملجم المرادي، حيث عاد الجميع الى المدينة منذ ذلك الوقت ليعيشوا في ظل عهد جديد هو عهد الدولة الاموية التي سامت جماهير المسلمين في هذا القطر او ذاك الخسف والجور والذي امتد هذا الى وقت سقوطها وانهيارها في عام(١٣٢هـ).

ولقد عاشت ام البنين في المدينة ولم تتزوج بعد رحيل زوجهاعليه السلام، وكانت

---

(١) تشير كثير من المصادر الى ان عمر جعفر عند استشهاده كان (١٩) سنة، وهذا غير صحيح حيث ان والده الامام عليعليه السلام كان قد استشهد قبل اكثر من (٢٠) سنة من وقت مصرعه.

هي في نفس هذه البلدة يوم خروج الحسين عليه السلام منها الى مكة المكرمة ثم الى كربلاء برفقة ابنائها الأربعة، وكذلك بقت مقيمة في المدينة حين وصلها نعي الحسين عليه السلام واولادها الاربعة جميعاً، وظلت حية ترزق في المدينة الى يوم رحيلها الى دار الآخرة وهو يوم الجمعة (١٣) جمادي الثانية من عام (٦٤هـ) وقد دفنت في البقيع بالقرب من مرقد فاطمة الزهراء عليها السلام.

ولقد بقي اسمها وذكرها خالداً ومتألقاً في سجل الخالدات والعظيمات والذي لا يجود الزمن بمثلهن إلا نادراً، كما وبرزت لها بعد رحيلها الى جوار ربها كرامات من الله تعالى غنية عن التعريف ومثل الكرامات التي برزت لولدها الاول العباس والتي سنشير اليها موجزاً في فصل مستقل قادم.

لذا نرى كثيراً من ابناء بلدنا وقطرنا يتوجهون الى الله تعالى عبرها ـ على بعد المزار ـ في تحقيق مطالب معينة او حل مشاكل مستعصية او محن وكوارث عظيمة او طلباً للشفاء من امراض مزمنة ومستعصية او سوى ذلك. حيث يجدون الاستجابة الكاملة والتامة والسريعة لكثير منها والفرج لغالبيتها باذن الله تعالى.

ولما بلغ اشده واستوى

ولد العباس بن علي عليه السلام في (٤) شعبان من عام (٢٦هـ) وفي خلافة عثمان بن عفان في المدينة المنورة، ويقال هنا ان الامام علي عليه السلام كان قد دمعت عيناه حينما راى إبنه الوليد هذا لاول مرة، حيث قام الامام بضمه اليه واخذ يتحسّس يده اليمنى واليسرى ويهز رأسه من اسى ثم يقبّل راسه تم يمرّ براحته على صدره الغض، لانه يعلم وفقاً لفراسته ولما اخبره به رسول الله صلى الله عليه وآله عن الله تعالى عما سيجري على ولده الحسين عليه السلام واخوته من مآسي ونكبات في ارض كربلاء بقطر العراق في عهد الدولة الاموية وفي خلافة يزيد بن معاوية على وجه التحديد.

وانه عليه السلام من ثم ما تزوج من ام البنين إلا ليأخذ ابناؤها ادوارهم كاملة في ملحمة الطف بكربلاء في نصرة اخيهم الحسين عليه السلام وبقية اهل بيته نصرة غير محدودة.

وحين استفسرت ام البنين من الامام علي عليه السلام عن علة بكائه عند مشاهدته للوليد وسبب حركة يده على اعضاء جسمه وراسه بصورة خاصة... الخ.

إلا انه من جوابه لها لم يخبرها عما يعلمه هو عن مستقبل هذا الطفل وما سيجري عليه في يوم عاشوراء مع اخيه الحسين عليه السلام من مصائب وكوارث حتى الا يعكر الأمر صفو حياتها ومعيشتها.

وانما اكتفى الامام علي عليه السلام بان قال لها بان مكانة هذا الطفل ستكون عظيمة وسامية عند الله تعالى في يوم القيامة، وان سبحانه وتعالى سيمنحه جناحين سيطير بهما في الجنة كالملائكة على النحو الذي اعطى اخاه جعفر بن ابي طالب

(ت ٨هـ) مثل هذين الجناحين[١].

ففرحت الزوجة لهذا التعليل المفرح والمسر الذى جاء على لسان زوجها ازاء ما قام به برأس واعضاء وجسم الطفل، وايقنت بصحة ذلك لما تعهده في زوجها من بصيرة نافذة وفراسة صادقة نظرة بعيدة.

قد كان العباس عليه السلام منذ ولادته وسيماً جميل الصورة والشكل والمنظر وشديد البياض بصورة غير اعتيادية، ويقال عنه هنا انه كان اجمل طفل على الاطلاق بل آية من آيات الجمال.

وزاد البعض بالقول بان تقاطيع وجهه كانت تبرق كالبدر المنير في ليلة تمامه وكماله، فكان لا يحتاج في الليلة الظلماء الى ضياء، فضلاً عما كان يتصف به من ثغر باسم ووجه طلق.

ولذلك فقد اطلق عليه اسم «قمر بني هاشم» حيث ان العرب كانت تصف الرجل الوسيم الطاهر الاخلاق بالقمر.

هذا وليس العباس وحده هو الذي سميّ بالقمر بل سبقه آخرون من اجداده في هذا الوصف لحسن وجمال صورهم فقد كان «عبدمناف» والد هاشم يسمى «قمر البطحاء» وكان «عبد الله» والد الرسول الكريم صلى الله عليه وآله يسمى «قمر الحرم».

وبمرور الزمان برزت بقية خصال وشمائل العباس عليه السلام حيث تجلت شجاعته

---

(١) يرى البعض ان الامام عليه السلام كان قد اشعر ام البنين هنا بتفاصيل مأساة ولدها العباس في كربلاء، ونرى ان الامام قد احتفظ بقلبه بكل تلك التفاصيل ـ والتي وردته عن النبي صلى الله عليه وآله عن الله تعالى ـ ولم يشعر بها إلا الخواص او من تطلب الحال اشعاره، وذلك حتى لا تؤثر هذه على حياة واستقرار وهدوء العائلة والاولاد.

في المنازلات وفي ميادين القتال لكونه طويل الساق حيث «كان يركب الفرس المطهم ورجلاه تخطان في الارض»[١]، لانه عليه السلام كان قد ورث شجاعتين احداهما هاشمية وهي الاربى والارقى وقد جاءته هذه عن طريق والده الامام علي عليه السلام. والاخرى قد ورثها عن طريق امه فاطمة ام البنين عبر آبائها من فرسان العرب وشجعان القوم.

وعن هذه الشجاعة يقول السيد جعفر الحلي:

بطل تورث من ابيه شجاعة فيها انوف بني الضلالة ترغم

كما وظهرت عليه ايضاً صفات حميدة اخرى كالاباء والنجدة والسؤدد والكرم ودماثة الخلق والعطف على الفقراء والضعفاء، فضلاً عن انه كان من علماء الزهاد ومن زهاد العلماء وهذه واحدة اخرى من فضائله.

وعن هذه نظم احد الشعراء يقول:

وفي العباس من كرم السجايا كثير ليس يحصر في مقال
وفاء نجدة زهد وعلم وايثار وصدق في المقال
عفاف ظاهر حلم وجود وباس صادق عند النزال

كما وقال شاعر آخر حول الموضوع:

---

(١) كانت ام البنين تخشى على العباس ازاء جماله وخصاله الاخرى من اعين الحساد من ان يصيبه اذى او مكروه وكانت تردّد امامه وخلفه هذه الابيات:

اعيذه بالواحد من عين كل حاسد
قائمهم والقاعد مسلمهم والجاحد
صادرهم والوارد مولدهم والوالد

لقد جمع العباس كل فضيلة تزان بها عرب المقاول والعجم
له الجود والاقدام والحلم والتق وقد زانه الايمان والحكم والعلم

هذا ولم يشتهر العباس عليه السلام بلقب «قمر بني هاشم» فقط بل اطلق عليه عبر الايام عدة القاب حميدة ومجيدة اخرى وان ظل الوصف الاول هو المشهور والغالب، ومن هذه الالقاب والاوصاف التي قرنت بالعباس وغدت علماً عليه هي:

١ ـ ابو الفضل:

وسمّي بذلك لانه رزق بولد وقد وضع له اسماً وهو «الفضل» فضلاً عن كونه صاحب فضل ومروءة وشهامة بحق وحقيقة.

وفي هذا يقول الشاعر السيد راضي السيد صالح القزويني:

ابا الفضل يا من اسس الفضل والابا ابي الفضل إلا ان تكون له ابا

كما ويقول شاعر ثاني هو الشيخ محسن ابو الحب الكبير في هذا المعنى:

ابو الفضل لا تحصى مواقف فضله فمن ذا يحاربه ومن ذا يقاربه
وحاز علاً لو حازت الشمس بعضه لما حجبتها يوم دجنٍ سحائبه

ويقول شاعر ثالث ايضاً حول الموضوع:

بذلت ابا الافضال نفساً نفيسه لنصر حسين عز بالنصر من مثل
ابيت التذاذ الماء قبل التذاذه فحسن فعال المرء فرع من الاصل
فانت اخو السبطين في يوم مفخر وفي يوم بذل الماء انت ابو الفضل

٢ ـ العبد الصالح:

وسمّى العباس هذا اللقب والصفة وهي نفس الصفة التي اطلقها واضافها الله

تعالى الى انبيائه وناشري شريعته وامنائه على وحيه لانه كان من الصالحين الأبرار.

علماً بان اول من منح هذه الصفة للعباس هو الأمام جعفر الصادق عليه السلام (ت١٤٨هـ) وذلك في الزيارة المخصوصة التي خاطب بها عمه العباس حين ابتدأها بهذه العبارة «السلام عليك ايها العبد الصالح».

٣ ـ الشهيد:

وسمّي بهذا اللقب لانه سقط مخرجاً بدمه على ارض كربلاء في يوم عاشوراء، حيث قدّم حياته رخيصة على طريق الحرية والعزة والكرامة، حيث ـ ان الجود بالنفس اقصى غاية الجود ـ كما جاء في المثل المشهور.

٤ ـ ساقي عطاشى كربلاء (السقاء) وبطل العلقمي[1].

ولقد اطلق عليه هذا اللقب لانه غامر بحياته واقتحم جموع الاعداء بآلافهم

---

(١) نشير الى ان العرب في الجاهلية والاسلام كانت تفتخر بالسقاية حيث جاء في الحديث النبوي الشريف:

«افضل لاعمال عند الله ابراد الكبد الحرى من بهيمة وغيرها»

وينقل عن الامام جعفر الصادق عليه السلام حول الموضوع قوله: «من سقى الماء في موضع يوجد فيه الماء كان كمن اعتق رقبة ومن سقى الماء في موضع لا يوجد فيه الماء كان كمن احيا نفساً ومن احياها فكانما احيا الناس اجمعين».

وكان عبدالمطلب يتولى سقاية الحجيج وكان يفتخر بهذه المهمة، كما ان ابا طالب بعده قام هو الآخر بسقي الحاج في مكة المكرمة، وان عيسى بن زيد بن علي كان طيلة فترة تستّره في الكوفة يسقي الماء على جمل، وان القاسم بن موسى الكاظم عليه السلام قد تولى هذه المهمة عند تستّره في العراق.

والسقاية هي من الامور السبعة التي تمنى امين الوحي جبرائيل ممارستها فما لو طلب الله تعالى منه الاقامة في الارض، اما البقية فهي: «عيادة المرضى، السير خلف الجنائز، اداء صلاة الجماعة، اصلاح ذات البين... الخ».

المؤلفة في ارض كربلاء للوصول الى نهر العلقمي، وكان ذلك في الايام الاخيرة للعشرة الاولى من محرم ولعدة مرات، وفي المرة الاخيرة استشهد على ضفاف هذا النهر ولقب بـ«بطل العلقمي».

اما عن علة ذهابه الى النهر فهو لجلب الماء ليروي عطش اخيه الحسين عليه السلام واهل بيته واصحابه، بعد ان منع جنود العدو الماء عنهم لغرض ارغامهم على الاستسلام من دون قيد او شرط.

علماً بانه لم يشرب من الماء شيئاً عندما كان على ضفاف النهر رغم عطشه الشديد والذى لا يقل عن عطش الآخرين، لأنه آثر ان يشرب اخوه الحسين واهل بيته واصحابه اولاً ثم هو يشرب من بعدهم.

وفي هذا المعنى نظم الشاعر هذا الشعر الشعبي على لسان العباس نفسه وهو:

شلون اشرب واخوي حسين عطشان سكنة والحرم واطفال رضعان
واظن گلب العليل التهب نيران يا ريت الماي بعده لا حله ومر

كما ويقول شاعر آخر حول هذا المعنى:

أأبرد قلبي بالزلال وبرده ويحرق من آل الرسول قلوب
فيا نفس موتي بالضما وتقطعي وان كان ماء الشط منك قريب
فوالله لا ذقت من الماء قطرة الى حيث سهم المنون يصيب

ونظم شاعر شعبي ثاني هذا الشعر الشعبي واراده ان يكون على لسان السجاد عليه السلام او العباس:

شلون اشرب لذيذ الماي حاشه واهلي گضت كلهم عطاشه
وحسين الرمل أمسه فراشه

٥ ـ صاحب او ابو القربة:

لقد اطلق على العباس عليه السلام هذا الوصف لانه استشهد على ارض كربلاء في العاشر من المحرم وهو يحمل قربة مملوءة بالماء الذي جلبه من نهر العلقمي لغرض ايصالها الى مخيم الحسين لسقي من فيه من اهل البيت والاصحاب، إلا انه قد تعذّر عليه إيصال الماء بعد ان قطعت ذراعاه في الطريق وخلال الألتحام بالاعداء، فضلاً عن تسديد احد شياطين الكوفة لسهم حاد الى هذه القربة ادى الى اسالة ماؤها على الارض.

٦ ـ حامل الراية[1]:

وهو من اشرف الالقاب التي نسبت الى العباس عليه السلام لكونه قد حمل راية الحسين عليه السلام دون اي شخص آخر من اصحابه او اهل بيته في ملحمة كربلاء، حيث قبضها بيد من حديد ولم تسقط من يده إلا حين قطعت يداه وهوى اثرها صريعاً عند ضفاف نهر العلقمي حيث مرقده الحالي:

٧ ـ حامي الظعينة:

واطلق عليه هذا الوصف وذلك لقيامه بحماية وحراسة وخدمة نساء اهل البيت عليهم السلام طيلة مدة انتقالهن من المدينة الى كربلاء عن طريق مكة المكرمة، حيث كان هو الذي يتولى انزالهن وترحيلهن من والى المحامل فضلاً عن مسؤوليته الكاملة في حماية مخيمات هؤلاء النساء في كربلاء من ان يصيبها اي سوء او مكروه، وفي هذا يقول الشاعر السيد جعفر الحلي:

حامي الظعينة اين منه ربيعة ... ام اين من عليا ابيه مكرم

---

(١) يدعى هذا الوصف في ايران وافغانستان والباكستان والهند وبنغلادش باسم «علمدار».

كما ونظم الخطيب الشيخ محمد علي اليعقوبي حول هذا المعنى يقول:

حميت الظعينة من يثرب وانزلتها الجانب الا منعا

٨ ـ باب الحوائج:

ولقد اشتهر العباس بن علي عليه السلام فيما بعد بين عامة المسلمين بهذا اللقب وذلك لكثرت ما بدرت منه من كرامات وقضاء الحاجات السائلين، حيث ما قصده ذو حاجة بنيّة خالصة إلا قضى الله تعالى حاجته ولا سأله بحرمته سائل إلا وتيسّر عليه مطلوبة، ذلك لان من سنن الله تعالى الجارية في اوليائه واحبائه اكرامهم باظهار ما لهم من الكرامات، اضافة لما ادخره سبحانه لهم من الدرجات الرفيعة والعالية في الحياة الآخرة تقديراً لنضالهم وسعيهم في الحياة الدنيا بالطاعة له والذود عن الحق ونصرة المظلومين والمستضعفين... الخ.

وعن هذه الكرامات نظم احد الشعراء يقول:

فكم لأبي الفضل الابي كرامات لها تليت عند البرية آيات
وشاراته كالشمس في الافق شوهدت لها من بنات المجد او مت إشارات

كما ونظم الشيخ كاظم الأزري حول الموضوع يقول:

باب الحوائج ما دعته مروعة في حاجة إلا ويقضي حاجها

علماً بان الامام السابع (عند الشيعة الامامية) موسى بن جعفر الكاظم (ت ١٨٢ هـ) يوصف هو الآخر بانه ايضاً (باب الحوائج) لذا يرتاد الكثير من ذوي الحاجات مرقده الشريف في مدينة الكاظمية للدعاء والاستجارة بالله تعالى في حل مشاكلهم وقضاء حاجاتهم وتيسير امورهم ومعضلاتهم التي تلفهم وتحيط بهم، حيث يجدون من الله سبحانه ببركة الامام عليه السلام الاستجابة السريعة لكل

هذه المطاليب والمشاكل والمعضلات.

وعن هذه الحالة نظم احد الشعراء يقول:

لِـذا إنّ دهـتك الرزايـا والدهـر عـيشك نكـد
بكـاظم الغـيظ مـوسى ويـالجواد محـمد

٩ ـ كبش الكتيبة:

ولقد اطلق الحسين عليه السلام هذا اللقب على العباس حين طلب الاخير منه الأذن باقتحام ميدان المعركة والهجوم على جيش ابن سعد، بعد ان نفذ صبره، حيث لم يعطه الحسين عليه السلام الأذن وقال له:

«انت كبش كتيبتي» وانشد عليه السلام:

عـباس كـبش كـتيبتي وكـنانتي وسري قـومي بـل اعـزّ حصوني
لمن اللـواء اعـطي ومـن هـو جـامع شمـلي وفي ضـنك الزحـام يـقيني

١٠ ـ اسد آل محمد

ولقد نال العباس عليه السلام هذا اللقب لشجاعته وشدة بأسه وصلب عزيمته وقوة ايمانه كما وهناك القاب اخرى للعباس منه قمر العشيرة، واخو زينب، والضيغم، والغضنفر، والعميد، والطيار، والغر المحجل، وابو الشارة...الخ.

هذا وكان العباس عليه السلام اضافة لما اشتهر به من القاب وصفات عبر الزمن كان ومنذ نعومة اظفاره ذكياً فطناً فضلاً عن ايمانه العميق بالله تعالى والأنقياد التام لكل اوامره ونواهيه.

وينقل عن ذكائه وايمانه هذا هو انه عندما كان في الخامسة من عمره اي في سنة (٣١هـ) دعاه مرة ابوه واجلسه في حجره واخذ يداعبه مداعبة الأباء لاطفالهم

وقال له:

ـ قل واحد.

ـ فقال العباس: «الله واحد».

ـ فقال الامام عليه السلام: قل اثنين.

ـ فامتنع العباس ان يقول اثنين وقال لوالده «اني استحي ان اقول اثنين بلسان قلت به للتو واحدا».

انه لأمر غريب وعجيب حقاً ان يصدر مثل هذا القول من طفل معصوم يافع لم يتجاوز الخامسة من عمره وهو يشهد فيه بالوحدانية لله تعالى والايمان العميق والراسخ به.

ولقد كانت العقيلة زينب وبطلة كربلاء ـ وهي لا زالت صغيرة ـ الى جوارهما وهي تسمع ما يقول اخوها العباس لوالدها حول توحيد لله فقالت لأبيها:

ـ «اتحبنا».

ـ فقال الامام «نعم».

ـ فقالت: «يا ابي لا يجتمع حبّان في قلب مؤمن، حب الله وحب اولاده، وان كان ولابد فالحب هو لله تعالى والشفقة للاولاد».

فاعجب الامام من كلامها الذي يحدد علاقة القلب وارتباطه بالله تعالى، كما واعجب ايضاً قبل دقائق من جواب ولده العباس ـ على صغر سن الأثنين ـ بذلك كثيراً وضم الأثنين الى حجره وتضاعف حبّه وهيامه بهما، كما ودعا لهما بالتوفيق والخير والعافية.

علماً بان هذا القول ليس بمستبعد على هذا الفتى رغم ما قاله والده عليه السلام في حقه:

«ان العباس زق العلم زقا» ولا مستبعداً ايضاً على تلك الفتاة بسبب انهما يعيشان في احضان امهما (ام البنين) والتى كانت لا تفتأ تلقنهما وتربيهما وبقية ابناءها في البيت كل مبادئ التوحيد واحكام الاسلام وسبل العبادة والتقوى، فضلاً عن غرس وبث روح الشجاعة والفداء والاقدام في نفوسهم للدفاع عن كل هذه المفاهيم والافكار.

ناهيك عن متابعة الامام علي عليه السلام لهم باستمرار، والذي ليس هو اباً ومربياً ومرشداً فقط لكل هؤلاء الأبناء والبنات في البيت يعلّمهم ويرشدهم الى كل معالم الخير ومبادئ الصلاح بل هو في الحقيقة اب واقعي للأمة كل وفقاً لما قال له الرسول صلى الله عليه وآله مرة:

«يا علي انا وانت ابوا هذه الامة»، وقوله صلى الله عليه وآله ايضاً:

«كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

ولكن للاسف هنالك في هذه الامة من لا يتقبل هذه المعالم والمبادئ، بل يسعى ويجهد لهدمها وقبرها وهي التي ادت بالمسلمين للسير الى الوراء والامتثال فيما بينهم، وما ادى اليه هذا الأمر من تعثر نشر رسالة الاسلام في بقاع الارض كافة في وقت كان الطريق ممهداً ومفتوحاً امام هذه الرسالة لتسود وتعمّ كل بقعة في العالم ويستظل بفيئها كل انسان في العالم ايضاً.

هذا ونشير الى انه لا يعرف إلا القليل من الناس عن شؤون العباس عليه السلام الشخصية لا سيما وانه استشهد ولم يتجاوز ذرية. وهل كان لهؤلاء الذرية احفاد ملأت سطح الارض كما ملأت ذرية وابناء اخويه الحسن والحسين عليهما السلام ارجاء العالم بما ليس له نظير.

ولمن لا يعرف ذلك وسواهم نشير ونقول لهم ان العباس بن علي عليه السلام كان قد تزوج من احدى قريباته الهاشميات وتدعى هذه «لبابة بنت عبيد الله بن العباس بن عبدالمطلب» وقد رزقه الله تعالى منها عدة ابناء وهم بالتسلسل:

١ ـ عبيد الله:

وقد وضع له هذا الاسم تيمناً باسم جده لأمه، وكان هذا يعدّ من كبار العلماء وموصوفاً بالجمال والكمال والمروءة، ولقد تزوج من ثلاث زوجات، وكانت له منزلة مشهودة ومميزة عند الامام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام وذلك كرامة لموقف والده العباس من ابيه في ملحمة كربلاء وكان كلما راى عبيد الله رق واستعبر باكياً، وحينما سئل عن علة ذلك اجاب:

«لانه يذكرني بموقف ابيه يوم الطف» ولقد رحل الى جوار ربه عام (١٥٥هـ).

٢ ـ الفضل:

ولقد كني العباس عليه السلام بهذا الولد واصبح اسمه (ابو الفضل) رغم انه الثانى في التسلسل.

ولقد كان متكلماً معظماً حريصاً على الدين وذو شجاعة وبسالة كوالده العباس. وكان يقال له ويلقب بـ «إبن الهاشمية» وقد خلّف ثلاثة اولاد هم: جعفر، عباس الاكبر، محمد.

٣ ـ الحسن: وهو من دون عقب.

٤ ـ محمد: وهو من دون عقب.

٥ ـ القاسم: وهو من دون عقب.

٦ ـ بنت واحدة.

وفي ادناه شجرة مختصرة للعباس بن علي عليه السلام منقولة من عدة مصادر موثوقة ولا يصلها الشك او الارتياب من قريب او بعيد:

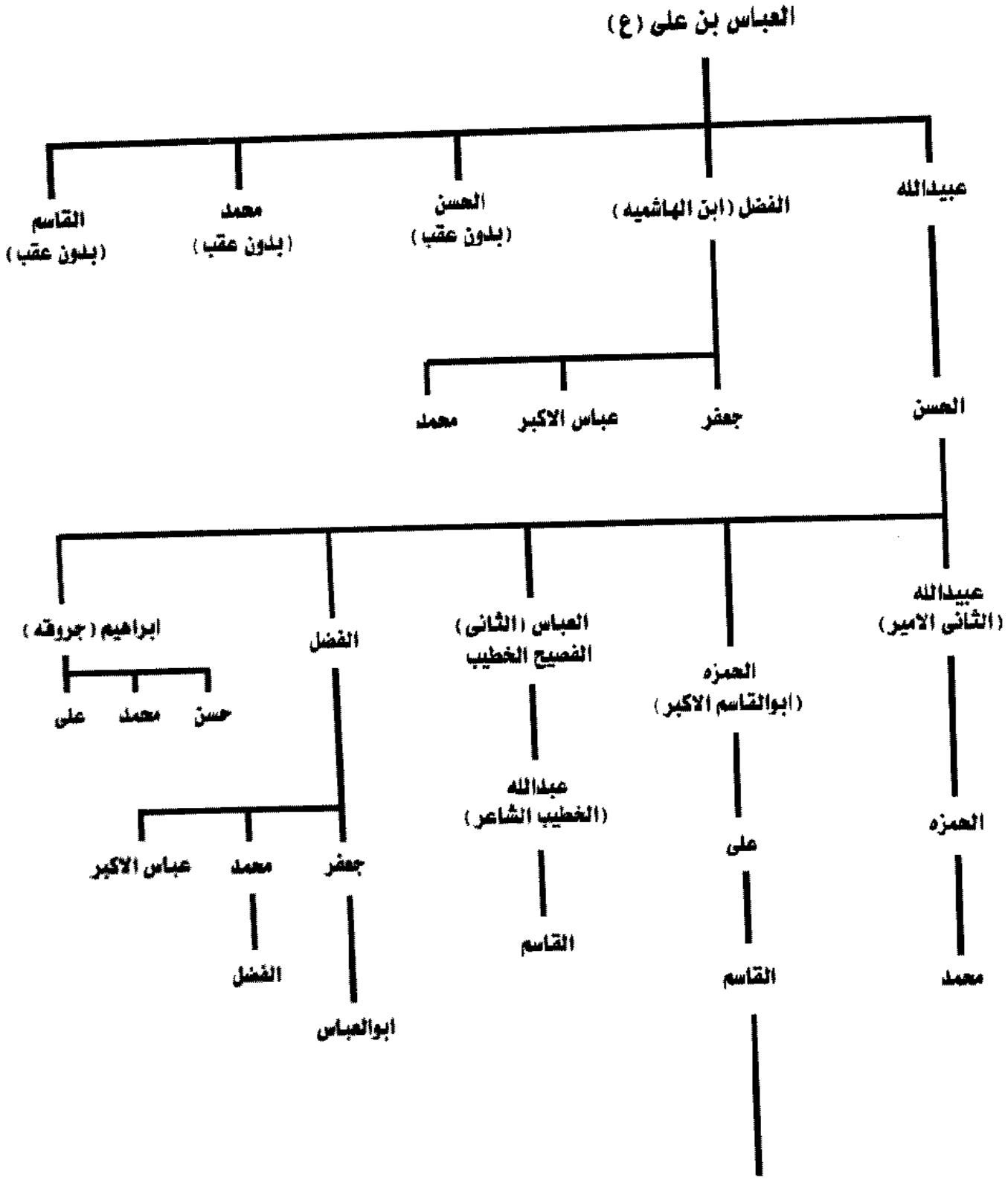

الحمزه الغربي (ابوعلي) - صاحب المزار المشهور في قضاء المدحتيه بمحافظه بابل العراق

هذا ولقد انتشر ابناء واحفاد وذرية عبيد الله في المدن المختلفة والمشرق والمغرب حتى باتوا في عهد معين اعداداً ليست بقليلة وان كانوا دون اعداد ابناء ذرية الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية.

ويؤيد هذا القول هو انه قد قيل مرة للامام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن الكيفية التي تمّت بموجبها قسمة ارض فدك بعد ان تم اعادتها من قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز (ت ١٠١هـ) اصحابها من اهل البيت حيث اجاب بالقول:

«لقد اعطي الربع منها الى اولاد العباس والبقية لنا...».

ان غالبية ذرية العباس بن علي قد جاءوا عبر نجله البكر عبيد الله، حيث اعقب هذا ولداً باسم الحسن، وهذا الاخير يعد اكثر عقباً من ابناء عمه الفضل، وربما كانت غالبية ذرية العباس عليه السلام (وقيل كلهم في رواية اخرى) ترد عن طريقه، ومن اعقاب الحسن هذا جاء بعض الاشراف الموجودين حالياً في العراق والشام ومصر واليمن وايران وشبه القارة الهندية.

ومن اعقاب الحسن هو عبيدالله الثاني ويعرف بالامير لتوليه امارة الحرمين بمكة والمدينة عند بداية العصر العباسي فضلاً عن كونه قاضي للحرمين الشريفين.

ولعبيد الله الثاني (الامير) ولد يدعى حمزة وكان عالماً يشار اليه بالبنان، وقد عاصر هذا الخليفة العباسي المأمون (ت ٢١٨ هـ)، ولقد اضاف المأمون على عطائه المقرر بمائة الف درهم بسبب نسبه وعلمه الغزير.

وللحمزة هذا ولد يدعى (محمد) وكان مشهوداً ومشهوراً بالشجاعة والبطولة،

إلا انه قد استشهد غدراً في عهد القرامطة، ولا يزال بعض اعقابه يقطنون الآن في الاردن وسورية ويعرفون هناك بابناء الشهيد او (بني الشهيد).

وللحسن بن عبيد الله بن العباس عقب آخر هو (الحمزة) ويكنى بابي القاسم الاكبر وهو جد والد الحمزة الغربي صاحب المزار المشهور الواقع في قضاء المدحتية بمحافظة بابل ويعرف بالحمزة الغربي و(ابو علي).

حيث ان الحمزة هذا (صاحب المزار ويلقب بابي علي) هو ابن القاسم بن علي بن الحمزة بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي والذي ورد على باب مزاره قول الشاعر:

لا تلمني على الوقوف بباب ... تتمنى الاملاك لثم ثراها
هي باب لحمزة الفضل ارخ ... ـ جابر الكسر بالخلود بناها

علماً بان غالبية ذرية العباس (وربما كلهم) قد جاءوا عن طريق ولده عبيد الله والقليل جداً عن طريق ولده الآخر الفضل، اما بقية ابنائه (الحسن، محمد، القاسم) فقد كانوا من دون عقب هذا رغم ان البعض يرى بانه ليس للعباس ذرية على وجه الارض بتاتاً[1].

---

(١) يذهب البعض الى نفي وجود ذرية واحفاد للعباس عليه السلام وان ابناءه ـ ان وجدوا ـ قد رحلوا من دون عقب يذكر اما نحن فنرى عكس ذلك تماماً، حيث ان للعباس عليه السلام اولاد، وان ذريته في غالبيتها من عبيد الله والقليل من الفضل والبقية وهم الحسن ومحمد والقاسم فلا عقب لهم.
ويؤيد تواجد الذرية هو انه لما سئل الامام جعفر الصادق عليه السلام عن طريقة قسمة ارض فدك عند استردادها اجاب عليه السلام: «اعطي الربع لاولاد العباس والبقية لنا».
كما ان الناعي حين عزى ام البنين في المدينة بمصرع العباس اضطربت وسقط حفيدها الذي كانت تحمله كما وكانت تحمل هذا الحفيد (عبيد الله) الى البقيع لرثاء اولادها الأربعة.

واخيراً ـ وليس آخراً ـ لقد بلغ العباس بن علي عليه السلام عنفوان الشباب واستعد للدخول الى التاريخ من اوسع ابوابه لما اتصف به من جمال وخلق وتقوى وشجاعة، وكل هذه الخصال اهلته بحق ليكون من اهل البيت بل من قادة هذا البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وفي هذا يقول الشاعر السيد نور علي العامري:

لك الفخر بالعليا لك السعد راتب ... لك العز والاقبال والنصر غالب
لك المجد والاجلال والجود والعطا ... لك الفضل والثما لك الشكر واجب
سموت على هام المجرة رفعة ... ودارت على قطبي علاك الكواكب

ولقد زاد البعض من الناس عند الاشارة بمنزلة العباس ومكانته في القول:

ان هذه المنزلة والمكانة تؤهله لأن يكون من المعصومين بل وعدّه منهم فعلاً وان لم يدخل رسمياً في سلسلة الأئمة المعصومين الأثنى عشر (عند الشيعة الامامية)، ولقد نظم احد الشعراء وهو محمد علي الاوردبادي قصيدة اشار الى هذه النقطة حين قال:

اجل عباس الكتاب والهدى ... والعلم والدين واصحاب العبا
عن ان يطيش سهمه فينثني ... والأثم قد اثقل منه منكبا
لم نشترط في ابن النبي عصمة ... ولا نقول انه قد اذنبا
ولا اقول غير ما قال به ... (له الامام) في الرجال النجبا
فالفعل منه حجة كقوله ... في الكل يروي عن ذويه النقبا

كما ويستأنس من العباس عليه السلام العصمة ما جاء على لسان الامام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام (ت ٩٥هـ) في رثائه ومدحه لعمه العباس حين قال:

«وان لعمي العباس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغبطه عليها جميع الشهداء

يوم القيامة».

حيث اذا لم يكن معصوماً حقيقة فكيف يغبطه المعصوم على ما اعطي من درجة ومكاناً عالية ورفعة لان المعصوم لا يغبط غيره (او من كان دونه على وجه الخصوص) وإلا لمارس وزاول ما قام به المغبوط من اعمال وافعال.

وكذلك ما جاء على لسان الامام الصادق (ت ١٤٨هـ) في زيارته للعباس عليه السلام:

«لعن الله امة استحلت منك المحارم وانتهكت في قتلك حرمة الاسلام».

حيث إن حرمة الأسلام لا تنتهك بقتل اي مسلم مهما كان عظيماً ومهما كان اثره في الاسلام مميزاً ومشكوراً، إلا ان يكون هو الامام المعصوم.

فلابد اذن ان يكون للعباس هنا مرتبة من العصمة ومنزلة سامية اعدّت لجميع الشهداء من غير الأئمة المعصومين، وهذا مقام فوق العصمة المرجوة له.

ان هذه المكانة السامية للعباس عليه السلام ودرجته العالية دعت بعض العارفين من العلماء والأعلام لان يقدّم زيارة العباس على زيارة اخيه الحسين عليه السلام لانه بابه في الحوائج، اي ان هؤلاء يبدأون بزيارة العباس اولاً ثم يتوجهون بعد ذلك مباشرة الى زيارة الحسين عليه السلام.

وفي هذا المعنى نظم الشاعر السيد مهدي الاعرجي يقول:

قصدتك قبل ابن النبي محمد ... وادمع عيني كالحيا في انسكابها
لأنك في كل الحوائج بابه ... وهل يقصدون الدار من غير بابها

وهذا تشريف آخر ووسام ثمين يضاف الى الأوسمة العديدة التي تطرز صدر العباس والتي نالها باستحقاق وجدارة منذ نعومة اظفاره والى وقت استشهاده في طف كربلاء بل والى ما وراء هذا الوقت.

اخوة العباس عليه السلام واخواته

لقد قلنا في فصل سابق ان فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله كانت اول زوجة تزف الى الامام علي عليه السلام ويقترن بها ثم اعقبها بعد رحيلها الى جوار ربها زوجات عديدة ربما جاءت البعض منهن بعد رحيل من سبقتها او بدون ذلك، حيث احلّ الله تعالى للرجال جمع عدة زوجات الى بعض في عصمته وبوقت واحد ولكن بشرط عدم تجاوز الأربع واقامة العدل والمساواة فيما بينهن.

علماً بان العهد والوقت الذي عاش فيه الامام علي عليه السلام كانت عادة «التعددية الزوجية» هي السائدة والسارية بين الناس حتى جاء الاسلام ووضع الشروط القاسية لتداولها التي ادت بمرور الوقت الى زوالها او التقليل من غلوائها إلا عند الضرورة والحاجة، وكل واحدة من هذه تقدّر بقدرها.

لقد كانت زوجات الامام علي عليه السلام عديدة ولكل واحدة منهن حديث خاص ومستقل بها ادى الى التحاقها بركب الأمام، واننا في هذا الموجز لم نشر الى اي حديث او تفصيل عن اي منهن، إلا ذاك الذي يخص (ام البنين فاطمة بن حزام)، لان هذا البحث قد اعدّ لاستكشاف كنهها، فضلاً عن ابنها العباس عليه السلام، وربما كان لزوجات الأمام الأخرى في المستقبل وخصوصاً عن فاطمة الزهراء عليها السلام بحث مستقل آخر فيه شيء من التفصيل والايضاح.

ان زوجات الأمام علي عليه السلام في غضون عمره المديد هي (١٠) زوجات كما تشير الى ذلك وثائق التاريخ المعبرة ـ وان ذهب البعض الى أنها (٩) فقط ـ ومن

هذه الزوجات الكريمات العفيفات انجب الامام العديد من الأولاد والبنات «لانه كان وافر الحظ من الذرية»[١] وانه قد «سمى ابناءه باسماء الانبياء والخلفاء ومنهم محمد بن الحنفية وابو بكر وعمر وعثمان»[٢] وقد ملأت هذه الذرية آفاق الارض بما ليس لها نظير وباسم «السادة والاشراف والهاشميين» في البلاد العربية و«السيد وشاه» في كثير من الاقطار غير العربية.

اما عن اسماء اخوة العباس واخواته الذين انجبهم الامام من زوجاته كافة فهي:

الاخوة والاخوات

١ ـ الحسن، والحسين، وزينب الكبرى، زينب الصغرى(ام كلثوم) وامهم فاطمة الزهراء عليها السلام.

٢ ـ محمد الاوسط وامه امامة بنت ابي العاص وامها زينب بنت الرسول صلى الله عليه وآله.

٣ ـ محمد الاكبر (ابن الحنفية) وامه خولة بنت جعفر الحنفية.

٤ ـ العباس، عثمان، جعفر، عبدالله وامهم فاطمة (ام البنين).

٥ ـ عبد الله، ابوبكر، محمد الاصغر وامهم ليلى بنت مسعود الدارمية.

٦ ـ محمد الاصغر وامه ام ولد.

٧ ـ يحيى، عون وامهم اسماء بنت عميس الخثعمية.

٨ ـ عمر الاكبر، رقية وامهم الصهباء بنت ربيعة التغلبية.

٩ ـ ام الحسن، رملة الكبرى وامهما ام مسعود بنت عروة بن مسعود الثقفي

١٠ ـ ام هاني، ميمونة، زينب الصغرى امامة، رملة الصغرى، ام كلثوم الصغرى،

---

(١) عبقرية الامام ـ عباس محمود العقاد.

(٢) عظمة الامام علي ـ عرفات العصيبي السعيد.

فاطمة، خديجة، ام الكرام، ام سلمة، ام جعفر، جمانة، نفيسة، ابنة لم تسم وامهم محياة بنت امرئ القيس.

لذا فمجموع اولاد الامام عليعليه السلام من صلبه هو (٣٣) فرداً منهم (١٤) ولداً و (١٩) بنتاً وفقاً لما جاء في طبقات ابن سعد[١].

(١) الامام علي بن ابي طالب ـ محمد رضا، تذكرة الخواص ـ سبط ابن الجوزي.

العباس عليه السلام في رفقة والده

نشير الى ان نسبة كبيرة من الناس في العالم تعرف عن العباس بن علي من خلال دوره المميز والبارز في ملحمة كربلاء التي جرت هناك في محرم من عام (٦١هـ) والتي اشتهر بها واصبح دوره فيها يضاهي دور اخيه الحسين عليه السلام فيها.

ولكنهم ـ للأسف ـ لا يعرفون عن مواقفه الشجاعة الخالدة وتضحياته العظام الاخرى في سبيل اعلاء كلمة الله تعالى ونشر دينه ومعالمه في الارض قبل ذلك التاريخ وفي ارض الحجاز او الشام او العراق.

ان العباس عليه السلام كما قلنا من قبل قد كان منذ شبابه باسلاً وشجاعاً ومقداماً تهابه الناس وتحترمه، وقد ابلى بلاءً حسناً في محاربة الكفر والكفار هنا وهناك.

فبعد ان بايع المسلمون اباه للخلافة في المدينة عام (٣٥هـ) ومن ثم انتقال الوالد من المدينة الكوفة ليكون قريباً من المناطق المضطربة والقوات والتحركات المعادية، كان العباس كالحسن والحسين ومحمد بن الحنفية رفقته في الحضر ورفقته في الحرب كما كانوا معه في ايام السلم.

حيث اشترك هؤلاء الابناء النجباء جميعاً مع والدهم في كل المعارك والمنازلات التي قامت بينه وبين خصومه من الناكثين القاسطين والمارقين، حيث كان هؤلاء الاخوة ذراع الاب اليمنى بل عيناه اللتين يبصربهما، وذلك لانه ليس من اللائق ان يبعد ويجنّب الامام عليه السلام اولاده عن ميادين وساحات الحرب ويدع سواد الناس لخوضها والاكتواء بنيرآنهاولهيبها.

لذا كان عليه السلام يتقدم هو وابناؤه في اقتحام صفوف الاعداء ـ من فرط حبهم، وتعلقهم بالامام وابنائه ـ كانوا لا يسمحون لهم باقتحام صفوف الأعداء ومنازلة خصومهم، حيث كانوا يؤثرون ان يكونوا هم من الاوائل الذين يندفعون في الحرب ويتقدمون في المنازلة دونهم حفاظاً عليهم من ان يمسهم احد بسوء او مكروه وهم احياء ينظرون اليهم عن كثب.

لقد اشترك العباس قمر بني هاشم وفخر عدنان مع ابيه علي عليه السلام في جميع حروبه ومعاركه وكان يحارب فيها شجعان العرب ويجند لهم على الارض كالاسلام الضاري.

وهكذا فكما كان علي عليه السلام معجزة الرسول صلى الله عليه وآله فقد كان العباس عليه السلام معجزة علي، وكما تكرر النبي صلى الله عليه وآله في علي وفي سبطيه فقد تكرر علي في العباس.

هذا وفي كل معركة لم يكن الامام ليأذن لولده العباس بالنزال، اما حباً له لصغر سنه بالنسبة الى اعمار سواد الجيش او صوناً من ان تصيبه عيون الاعداء، رغم انه كان يلح في طلب النزال وينتهز الفرص المواتية كمقابلة الاعداء وحربهم عند تطلب الحال وربما مقنعاً من دون اجازة.

كما وكان الامام علي عليه السلام ايضاً لا يكلف ولديه الحسن والحسين عليهما السلام بمنازلة الاعداء كثيراً، وانما كان يكلف ولده الآخر محمد بن الحنفية باكثر منهما ومن سواهما، وعندما سُئل ابن الحنفية مرة عن علة ذلك اجاب:

«ان الحسن والحسين هما عينا والدي وانا ذراعه، وان الذراع هي التي تحمي العينين».

كما وقال الامام عليه السلام عن هذه الحالة بالحرف:

«اخشى ان يصيب الحسنين مكروه فتذهب ذرية رسول الله».

وعن شجاعة العباس في معركة صفين والتي جرت عام (٣٧هـ) يروى انه خرج من بين صفوف جيش الامام علي في صفين شاب مقنّع في خطوات ثابتة نحو افراد جيش معاوية وارتقى مرتفعاً من الأرض في وسط سهل صفين وصاح باعلى صوته يعدى فيه نزال اشجع شجعان جيش معاوية.

فتقاعس اهل الشام من منازلته ـ ظناً منهم انه الامام علي عليه السلام او احد قادته البارزين ـ وجلسو ينظرون اليه حيث لفهم الخوف والخشية ولم يبرز احد منهم لمنازلته.

وهنا نادى معاوية رجلاً من اصحابه (كان محسوباً من شجعانهم) وكان يعدّ بالف فارس ويدعى (ابو الشعشاع) فقال له:

«انك ابرع فارس في الشام فتقدم واقتل هذا الرجل ليكون في قتله عبرة للآخرين» فاجابه ابو الشعشاع:

«كلا ان أهل الشام يعدوني بالف فارس، وهو لا يستحق ان انازله وسابعث اليه احد اولادي ليقتله».

فنادى ابو الشعشاع احد اولاده وكان رجلاً قوياً فتبارز مع الشاب المقنع فقُتل. ثم بعث اليه آخر فقتله الشاب ايضاً، حتى بعث اليه سائر اولاده ـ ويقال ان عددهم كان سبعة ـ فقتلهم الشاب جميعاً والحق آخرهم باولهم.

واثر ذلك برز ابو الشعشاع بنفسه لمواجهة هذا الشاب المقنّع وسار نحوه وهو يخاطبه: «لقد قتلت ايها الشاب كافة اولادي والله لاقتلنك الآن شر قتلة واثكل بك اباك وامك».

وهنا استل ابو الشعشاع سيفه واندفع بقوة نحو الشاب، حيث جرت بينهما معركة عنيفة تمكن الشاب من ضرب خصمه ضربة قاضية قضت عليه والحقته باولاده غير مأسوف عليه وعليهم.

ثم تقدّم الشاب امام صفوف جيش العدوان وهو يصيح بهم:

هل من مبارز..؟ فلم يجبه احد او يخرج اليه من ينازله من بين صفوف الخصم. وعاد الشاب المقنع الى صفوف جيش الامام حيث تعجب افراده من بسالة هذا الشاب النادرة والذي صرع اشجع شجعان الشام، والتي لم يعرف العرب لها مثيلاً إلا في بطولة الامام عليعليه السلام او الحمزة بن عبد المطلب او جعفر الطيار.

وهنا دعاه الامام عليعليه السلام وازال اللثام (القناع) عن وجهه فاذا هو ابنه العباس قمر بني هاشم، فقبّل الامام ما بين عينيه وباركه على شجاعته وبسالته التي ابداها في منازلة الاعداء[1].

وهكذا نرى ان الشجاعة والبسالة ليست غريبة على ابناء اهل البيت ابتداءً من الامام علي وجعفر الطيار ومروراً على الحسن والحسين والعباس ومحمد بن الحنفية والقاسم ومسلم وزيد بن علي ويحيى بن زيد... الخ ومن دون انتهاء.

حيث ان كل واحد من هؤلاء الفرسان قد حارب بعنف وشدة وفي هذه الموقعة او تلك وقتل فيها الكثير من الخصوم واوردهم صرعى على ارض صفين او كربلاء او الكوفة او فخ او باخمرى او الجوجزان... الخ حتى يروى عن

---

(١) العباس بن علي ـ محمد كامل حسن نقلاً عن كتاب مقتل الحسين للخوارزمي العباس / بطولة الروح وشجاعة السيف ـ محمد هادي.

الرسول صلى الله عليه وآله في هذا الشأن قوله:

«لو ولد ابوطالب الناس كلهم لكانوا شجعاناً».

هذا وبعد رحيل الامام علي عليه السلام الى الرفيق الاعلى في عام (٤٠هـ) ظل العباس وكان عمره حينذاك (١٤) سنة، ظل موالياً لأخوته ومؤيداً ومناصراً لكل حقوقهم ودعواتهم باليد واللسان والقلب.

وحين وفاة اخيه الحسن المجتبى الزكي عام (٥٠هـ) راى العباس بام عينيه جنازة اخيه الحسن عليه السلام وهي ترمى في الطريق بالسهام، فهاله الأمر وعظم عليه الحال ولم يطق عليه صبراً، حيث اشتعلت في احشائه الحمية والنخوة والشجاعة الهاشمية والكلابية، فما دعاه لأن يجرد سيفه وان يفتك ويبطش بمروان بن الحكم ومن يقف خلفه من ازلام بني امية، لولا ان اخاه الحسين عليه السلام كان قد نهاه ومنعه من امضاء ارادته هذه بقوله له: «ليس يومك هذا يا اخي» وذلك تبعاً لوصية الامام الحسن عليه السلام نفسه والمتضمنة عدم دفنه عند جده المصطفى صلى الله عليه وآله اذا ما ادى هذا الدفن الى الاقتتال والفتنة والتي هي بالحرف:

«لا تهرق من امري مل محجة من دم».

واثر ذلك جيء بالجثمان الطاهر الى البقيع ليوارى الثرى قرب مرقد امه الزهراء عليها السلام ولولا هذا النهي من اخيه لما ابقى العباس من اعدائه باقية ولوضع سيفه في رقابهم، كما وضع ابوه علي عليه السلام ـ من قبل ـ سيفه في رقاب آبائهم في يوم صفين وبدر وغيرها.

حيث صبر العباس على الأمر على أحر من جمر الغضا ينتظر الفرصة المناسبة لردّ هذا التعدي والتحدي بكيل الصاع صاعين والضربة بضربتين.

ولقد كان المكان المناسب والملائم والفرصة المواتية التي كان يرجوها قد اطلّت بعد عقد كامل من هذا التعدي وليست في طرق وشوارع المدينة وانما على مسافة بعيدة عن هذا المكان يزيد على الألف كيلومتر وفي ارض كربلاء بقطر العراق على وجه التحديد وفي المحرم من عام (٦١هـ).

وبالفعل حلّ هذا الموعد ووصل الى المكان المحدد، حيث كاان العباس عليه السلام هناك لاعدائه من ازلام النظام الضربات الموجعة والمؤلمة حتى قيل ان كل بيت من بيوت هؤلاء الازلام والمرتزقة في الكوفة او اطرافها قد ضمّ ناعية او ناعي على قتلاهم في كربلاء بسيف العباس او الحسين او سواهما من فرسان بني هاشم او الاصحاب الميامين.

المدينة بعد هلاك معاوية

عندما هلك معاوية بن ابي سفيان في دمشق بتاريخ ١٥ رجب من عام (٦٠ هـ) قام بالأمر من بعده ولده يزيد، وكان معاوية ـ والذي كان ينظر الى الدولة الاسلامية كأنها ملك خاص له ولاولاده من بعده ـ كان قد قرّر من قبل بتدبير منه او بايحاء من بعض مستشاريه او بهما معاً[١] ان لا يخرج السلطان والحكم من بيته بنصب نجله يزيد ولياً للعهد.

وهو ـ معاوية ـ وان كان يعرف مباذل ابنه يزيد إلا انه كان يتغافل عنها حيث كان يردّد دوماً: «لولا هواي في يزيد لابصرت رشدي».

وبنصب معاويه لابنه يزيد ولياً للعهد يكون بذلك قد تجاهل الكثير من الصحابة[٢] والتابعين[٣] المنتشرين في الاقطار الاسلامية والذين كانوا اهلاً لتسّم المنصب الذي آثر ان يشغله يزيد بعد هلاكه وغيابه عن الحياة الدنيا.

وكانت عملية نصب يزيد ولياً للعهد عام (٥٦هـ) هي من محدثات عهد معاوية

---

(١) ينقل هنا عن الحسن البصري (ت ١١٠) قوله: «افسد امر هذه الامة اثنان: عمر بن العاص في التحكيم والمغيرة بن شعبة في البيعة ليزيد» نهضة الحسين ـ هبة الدين الشهرستاني.

(٢) الصحابة: هم الذين صاحبوا الرسول ﷺ واسلموا على يده واخذوا عنه العلم وتعلموا منه ونقلوا حديثه واطاعوه وعملوا في خدمة العقيدة الاسلامية ونشرها.

(٣) التابعون: هم من لق الصحابة وان لم يصحبوهم واضاف البعض انه لابد من ان يكون قد صحبوهم ويلقوا منهم شيئاً وان آخر عصر التابعين هو في حدود عام (١٥٠هـ).

وبدعها وقد احدثها معاوية في اسوء وافضع مهزلة ومسرحية عرفها التاريخ في اختيار اولياء العهد.

وقد تم ذلك عن طريق شراء الذمم بالمال والمناصب والاغراءات الاخرى ثم اختتم الحفل البائس ـ الخاص بالاختيار ـ عندما صعد احد ازلام معاوية المنبر في المسجد الجامع في دمشق ليقول للناس ويهدّدهم برفيع صوته:

«امير المؤمنين هذا ـ واشار الى معاوية ـ واذا ما مات فهذا ـ واشار الى ولده يزيد ـ ومن ابى (عارض) فهذا ـ واشار الى السيف او السيّاف ـ الذي كان يقف بين يديّ معاوية وبيده سيف طويل بطول الطغيان الاموي»[1].

وبذلك فقد انتقلت الخلافة الراشدة من اسلامية ثورية الى ملك عضوض وملكية وراثية ومزرعة اموية، وغدت كسروية وهرقلية كلما هلك كسرى وهرقل قام كسرى وهرقل مكانه.

لقد كان معاوية ـ ولا سيما بعد رحيل الامام الحسن عليه السلام متساهلاً ومتسامحاً مع الحسين عليه السلام ولم يمسّه بسوء او ضرر وذلك مغبة الفتنة واضطراب الامن وتمرّد الاقاليم والجماعات الاسلامية عليه، لما يعرف عن الحسين من اباء وعزة وان شيعته وانصاره حينذاك هم غيرهم الذين كانوا في عهد اخيه الحسين عدداً وعدة

---

(١) كان معاوية مع عمر بن العاص والمغيرة بن شعبة وزياد بن ابيه يعدون من دهاة العرب، ولمعاوية في دهائه مقولة مشهورة هي: «ما وضعت سوطي اذا امكن وضع لساني وما وضعت سيفي اذا امكن وضع سوطي، وانا بيني وبين الناس حبل (خيط) لا ينقطع اذا ارخوه شددته واذا شدوه ارخيته»... ويظهر ان معاوية كان من الدهاء والحلم على طرفي نقيض في امور كثيرة منها نصبه لولي عهده يزيد وقتله لحجر بن عدي الطائي صبراً في عذرا بالشام وسبه للامام علي عليه السلام على المنابر... الخ.

وموقفاً.

وكان معاوية قد طلب البيعة (في حينه) من الحسين عليه السلام إلا ان الحسن كان قد اعترض على ذلك بعد صلحه المعروف معه[1] وقال له بالحرف:

«لا تكرهه فانه لا يبايع ابداً او يُقتل، ولن يُقتل حتى يُقتل معه اهل بيته».

فتركه معاوية ولم يتعرض له ابداً من قريبٍ او بعيد طيلة مدة حياته.

كما ونصح معاوية ابنه يزيد عندما فرضه على رقاب المسلمين نصحه بعدم مسّ الحسين عليه السلام من بعده بسوء او التعرض له من قريب او بعيد وان يصفح عنه عند المقدرة عليه وذلك لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله وموقعه المميز والخاص في قلوب المسلمين وفي هذا القطر او ذاك.

إلا ان يزيد بن معاوية حين تربّع على عرش السلطة واستوى على كرسي النظام والذي كانت تنقصه كل مقومات الرجل المناسب في المكان المناسب تجاهل كل نصائح والده اليه ازاء الحسين عليه السلام بل سحق هذه النصائح باقدامه، حيث

---

(١) ان من شروط الصلح بين الحسين بن علي عليه السلام وبين معاوية هي:

١ ـ ان يعمل معاوية بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخلفاء الصالحين وان ترجع الخلافة من بعده الى المسلمين حيث يختارون بارادتهم الحرة من يرونه اصلح لها.

٢ ـ الا يؤاخذ الذين ناصروا اباه علي عليه السلام بما صنعوا ضد معاوية والا يحرم احد من حقه.

٣ ـ الكف وايقاف حملات السب والشتم واللعنة ضد الامام علي عليه السلام وعدم تشجيعها وان لا يذكر الامام إلا بخير.

٤ ـ الاستمرار في دفع العطاء المقرر له ولاخيه الحسين عليه السلام. علماً بان معاوية لم يف للحسن او يعرها اي اهتمام او اعتبار ولو بشرط واحد فقط، ذلك لان معاوية كان قد خدع الحسن في الصلح على امضاء وتنفيذ هذه الشروط ثم اعلن انه قد وضعها تحت قدميه.

اعز الى واليه (عامله) في المدينة وابن عمه ـ الوليد بن عتبة بن ابي سفيان ـ باخذ البيعة له من الحسين عليه السلام وسواه من أبناء الصحابة بالشدة والعنف وطلب منه ضرب عنق كل من يتخلّف من هؤلاء عن اداء البيعة هذه فوراً وارسال رؤوسهم اليه.

وهكذا غدت الخلافة اما بالبيعة لمن يتربّع على عرشها من دون نقاش او كلام او استفتاء، واما التهيؤ لقطع الرؤوس وارسالها الى العاصمة عند الرفض والاعتراض عليها.

وقام الوالي (العامل) في المدينة بدوره بتنفيذ اوامر يزيد المشدّدة حيث كلف حرسه الخاص بالتوجه الى الحسين واخيه العباس وابن الحنفية وابن الزبير وابن عمر... الخ واستدعائهم جميعاً للمثول امامه في هذه اللحظة ومن دون تأخير، واكدّ عليه في اوامر مشددة بانه يهمه في الدرجة الاولى حضور الحسين واخيه العباس قبل الآخرين.

ولما اشعر رسول الوالي الحسين عليه السلام برغبة الوالي في مقابلته في هذه الساعة اجابه الحسين عليه السلام بالعودة الى الوالي واشعاره بانه في الطريق اليه بعد قليل.

وقال الحسين لمن معه من الناس بصدد الموضوع: «بان أغلب الظن ان طاغيهم في الشام معاوية قد هلك وان الوليد يريدنا في هذا الوقت لمبايعة يزيد وهو امر لن يحدث ابداً».

وطلب الحسين عليه السلام من اخيه العباس استدعاء وتهيئة (٣٠) شخصاً من رفاقه ومعارفه لمرافقتهم له الى دار الوالي، وعند الباب قال الحسين عليه السلام لهؤلاء:

«انه اذا علا صوته فعليهم المسارعة في اقتحام دار الوليد ليخرجوه منها عنوة».

ودخل الحسين دار الوالي واستقبله الوليد بحفاوة وتكريم، وبعد ان استقر المجلس بالحسين نعى الوليد اليه هلاك معاوية ثم صارحه بضرورة البيعة ليزيد.

فاجابه الحسين بالقول: «ان مثلي لا يبايع يزيد سرا، فاذا دعوت الناس الى البيعة دعوتنا معهم فكان امراً واحدا».

فردّ عليه الوالي: «حسناً لك ما تريد».

ونهض الحسين عليه السلام من مكانة وهمّ بمغادرة الدار إلا ان مروان بن الحكم قال للوليد: «احبس هذا الرجل حتى يبايع او اضرب عنقه وارسل راسه الى الخليفة كما امّرك، لانه ان فارقك الآن ولم يبايع لا تقدر عليه بعد».

وهنا اشتد غضب الحسين عليه السلام على مروان وصاح في وجهه:

«يابن الزرقاء انت تقتلني ام الوليد كذبت والله واثمت».

وحدثت مشادة ما بين الطرفين ارتفع خلالها صوت الحسين عليه السلام وهو يردّ بعنف على مروان وهنا سمع العباس صوت اخيه الحسين قد علا فشهر سيفه وصاح في رجاله: «هلم بنا» واقتحم العباس مع رجاله دار الوليد حيث لم يجرؤ احد من حرس الوليد عند الباب على اعتراضه او منعه من الدخول لما يعرفون عن شجاعة العباس وجرأته الكبيرة وعنفه بما ليس له نظير.

فاخرج العباس ورجاله الحسين قهراً من دار الوليد قبل حدوث ما لا يحمد عقباه بين الطرفين.

ولقد استغل الحسين عليه السلام الفترة القصيرة التي سبقت موعد انعقاد البيعة للطاغية الجديد في جمع اهله واقربائه وتهيئة متاعهم واثاثهم تمهيداً للخروج بهم من المدينة للابتعاد عن مراسيم ومقدمات حفلة البيعة المتوقعة للحاكم المتربع على

عرش الشام، وعن فصول المسرحية الجديدة الخاصة بقطع الرؤوس وارسالها الى العاصمة لمن تحفظ او امتنع عن اظهار التأييد والموافقة لهذه البيعة المشؤومة.

وقال الحسين عليه السلام لاخيه محمد بن الحنفية ـ بعد ان طلب منه البقاء في المدينة لموافاته باحوال البلدة وشؤون اهلها اولاً باول ـ قال له بالحرف:

«والله يا اخي لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد ومثلي لا يبايع مثله».

وبالعبارة الاخيرة فقد ختم الحسين عليه السلام صيحة تحديه للطاغية يزيد وبدأ بالخطوة الاولى في رحلة الألف ميل نحو مصارع شهادته.

وهو بهذا قد وضع وصية ابيه علي عليه السلام على فراش الموت اليه والى اخيه الحسن نصب عينيه والتي تقول بالحرف:

«اوصيكما وجميع ولدي ومن بلغه كتابي هذا بتقوى الله وان لا تبغيا الدنيا وان بغتكما قولا بالحق واعملا للآخرة وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عونا...».

وهكذا ترك الحسين واخوه العباس وبقية اهل بيته المدينة المنورة باتجاه مكة المكرمة لعلّ الله تعالى ان يجعل لهم من امرهم رشدا.

وقبل الرحيل اقبل الحسين عليه السلام الى قبر جده رسول الله صلى الله عليه وآله فودّعه وهو يبكي ثم توجه الى قبر امه الزهراء فودّعها ايضاً، ثم مضى الى قبر اخيه الحسن عليه السلام ففعل مثل ذلك ورجع الى منزله عند الصبح.

نعم قبل الحركة وانطلاق مسيرة التحدي لم تبق جارية ولا مولى ولا فتى ولا فتاة إلا وتعلق بالحسين وبنسائه واولاده، ومنهم ام البنين سيفارقها ابناؤها الاربعة ـ

ولا تملك سواهم - وكل واحد منهم كالقمر في ليلة تمامه وكماله.

وقام الحسين عليه السلام بدوره بتقديم شكره وثناءه لهم على شعورهم الفياض هذا وطلب منهم التزام جانب الصبر والهدوء، كما واخبرهم بان كل شيء لا يحدث على وجه الارض إلا بعلم الله تعالى وارادته وانه لا راد لهذا الحكم والارادة.

فتركوهم ودموعهم تسيل على وجناتهم حزناً لفراق آل رسول الله عنهم حيث ما هان عليهم ان يحرموا من طلعة الحسين وفيها نور النبوة، ولا هان عليهم ان يمسّوا ويغدوا وقد ارتحل عنهم خير بيت واعز رهط واشرف قوم.

وعن هذه الحالة نظم الشاعر دعبل الخزاعي يقول:

لا اضحك الله سن الدهر ان ضحكت وآل احمد مظلومون قد قهروا
مشردون نفوا عن عقر دارهم كأنهم قد جنوا ما ليس يُغتفر

المسيرة الطويلة

كان خروج الحسين عليه السلام مع اخيه العباس عليه السلام وبقية اخوته وابنائه (بما فيهم اخوة العباس الثلاثة) واهل بيته وبعض خاصة اصحابه من المدينة في يوم (٢٨) رجب من عام (٦٠هـ)، وكان عليه السلام يردّد عند خروجه من مدينة جده الرسول صلى الله عليه وآله قوله تعالى:﴿**فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين**﴾.

وفي هذا المعنى نظم الشاعر السيد حيدر الحلي يقول:

خرج الحسين من المدينة خائفاً ... كخروج موسى خائفاً يتكتم

وقد انجلى عن مكة وهو ابنها ... وبه تشرفت الحطيم وزمزم

خرج الحسين عليه السلام والعباس من المدينة في جوف الليل لا يلويان على شيء وهما لا يطلبان بخروجهما الكرسي والسلطان، بل فراراً من الظلم والطغيان بعد ان آن اوان المحنة وبدت علائم الامتحان والابتلاء.

لقد سار موكب الحسين والعباس في طريقهم الى مكة على الطريق العام (الاعظم) الذي يسير عليه عادة كل رائح وغاد، فقيل للحسين:

«لو تنكّبت الطريق الاعظم الى احدى الطرق الفرعية التي توصل الى مكة المكرمة حتى لا يدركك الطلب ـ اسوة بما فعل عبد الله بن الزبير قبل ليلة حين فرّ من المدينة الى مكة ولم يدركه رسل الوليد في الطريق ـ

فاجاب الحسين عليه السلام بقوة وعزم:

«لا والله لا افارقه او انظر الى ابيات مكة يقضي الله ما هو قاض».

والظاهر هنا ان وجود العباس في الموكب الحسيني وبقية شباب اهل البيت الشجعان حال دون تعرّض رسل الوالي له بسوء او مكروه عند الخروج او في الطريق.

نعم سار الحسين عليه السلام على الطريق الاعظم مع كل صحبه من اهل بيته بكل اباء وشمم حتى وصل الى مكة المكرمة بسلام وامان واستقبل استقبالاً حافلاً من قبل المكيين، ثم حطّ رحله في دار العباس بن عبد المطلب.

ولقد كان حال اهل البيت ومشاعرهم وهم سائرون من المدينة الى مكة في الموكب الحسيني الجليل هو وفق ما جاء على لسان سكينة بنت الحسين عليه السلام والتي قالت:

«لم يكن في شرق الارض وغربها اهل بيت اشد خوفاً وهماً وغماً منا آل رسول الله».

لقد وصل الحسين واخوته واهل بيته الى مكة في يوم (٣) شعبان ـ اي بعد مضي خمسة ايام من مغادرتهم المدينة ـ وكان عليه السلام يردّد عند دخوله البلد الامين قوله تعالى:﴿**ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي ان يهدين سواء السبيل**﴾.[1]

وبوصوله عليه السلام الى مكة المكرمة بدأت الصفحة (المرحلة) الثانية من مسلسل الكفاح والنضال ضد الظلم والجور، بعد ان كانت مغادرته للمدينة وابتعاده عن مسرحية البيعة لطاغية الشام هي الصفحة (المرحلة) الاولى في هذا النضال والكفاح.

ولقد ظل الحسين مقيماً في مكة عدة شهور، وكان الناس خلالها يختلفون اليه

---

(١) سورة القصص، الآية ٢٢.

بكرة وعشية ويجلسون حواليه وهم يسألوه عن احكام دينهم واحاديث نبيهم، وكانوا ايضاً يستمعون كلامه وينتفعون بما يسمع منه ويضبطون ما يروون عنه من دون خوف من ازلام وعيون النظام القائم.

كما وقد اطلت عليه ووافته خلال هذه المدة كتب اهل العراق ولا سيما اهل الكوفة والبصرة وهم يدعونه ويلحون عليه فيها بالقدوم اليهم والقيام معه بالأمر والتضحية دونه، لا سيما بعد ان تسنم يزيد زمام السلطة والحكم، وانه قد اخضرّ الجناب واينعت الثمار وانه لا امام لهم سواه، وانهم ـ كما اضافوا ـ لم يحضروا الصلاة مع الولاة وانهم ايضاً في مائة الف وانهم عند عدم الاستجابة لهذا النداء والدعوة سيحاجونه عند الله تعالى في يوم الحشر والحساب.

وكان مجموع ما بلغ من رسائل اهل الكوفة زهاء (١٢) الف رسالة وكل رسالة موقّعة من قبل رجلين او ثلاثة او اربعة، وصادف ان تسلّم الحسين عليه السلام منهم في يوم واحد فقط ما يقرب من (٦٠٠) رسالة كما تشير اليه احدى الروايات.

وعن هذه الرسائل قال الحسين عليه السلام لعبدالله بن العباس لما الحّ عليه بترك المسيرة الى العراق (وتغييرها الى اليمن ان كان ولابد منها قال له:

«يا بن عم لقد كثرت عليّ كتبهم وتواترت عليّ رسلهم ووجبت عليّ اجابتهم».

كما ونصحه البعض بعدم استصحاب النساء والاطفال معه وذلك خشية ان يصيبه مكروه وهم بجواره كما جرى للخليفة عثمان في المدينة من قتل ونساؤه وولده ينظرون اليه إلا انه عليه السلام اجابهم بما يقنعهم[1].

---

(١) نشير الى انه ليس من عادة العرب او غيرهم ـ في الغالب ـ استصحاب النساء والاطفال الى

ساحات القتال او مناطق التوتر والنزال وذلك خشية ان يصيبهم مكروه او وقوعهم في الاسر كغنائم.

لذا فقد وجّه الامام علي عليه السلام اللوم الشديد الى طلحة والزبير على استصحابهم لأم المؤمنين عائشة الى البصرة للمطالبة المزعومة بدم الخليفة عثمان وتركهم لزوجاتهم في بيوتهم، لان خروجها من بيتها على الجمل ليس اهون من قتل الخليفة عثمان لانه كان لها من الله تعالى ستر وحرمة فهتكت وابيحت الحرمة بهذا الخروج وان من يرى قتالها يرى قتلها.

ان الامام الحسين عليه السلام لم يغفل هذه النقطة او ينساها عند استصحابه لنسائه الى العراق، وانما كان يرجو من ذلك الجانب الاعلامي لنهضته وثورته بحمل ألسنة ناطقة معه لنشرها في العالم الاسلامي، لان كل ثورة تخلو من النشاط الاعلامي ستؤول الى النسيان والضمور بمرور الزمن ولا تذكر إلا في بطون بعض كتب التاريخ كنبأ بسيط مشوّه عن حقيقتها وواقعها.

ان ثورة الحسين عليه السلام لو كانت بغير نساء لذهب دم مفجّرها هدراً ولما شعر او احسّ احد من المسلمين لان رؤوس الشهداء كانت ستدخل الكوفة او دمشق على أنها رؤوس خوارج ودون ان يعرف احد أنها لآل رسول الله صلى الله عليه وآله لانها لا تتكلم ولا تحرك ساكناً ودون ان يعرف هؤلاء عظم المأساة التي انزلها الطاغية يزيد بالحسين وآله واصحابه في كربلاء.

ان نساء الحسين رغم ما اصابهن من المتاعب والقلق طيلة الطريق إلا ان ما قدمن للثورة الحسينية من اعلام وكشف للحقائق ونشر للوعي وتنبيه للغافلين وفضح للدعايات المضللة يهون بجواره كل تعب والم اصابهن هنا وهناك.

وعن هذه الحالة كتبت الدكتورة بنت الشاطئ في كتابها بطلة كربلاء بالحرف: «ان موقف السيدة زينب بعد المذبحة هو الذي جعل من كربلاء مأساة خالدة».

وكتب انطون بارا في كتابه «الحسين في الفكر المسيحي» بالحرف: «لو لم تقم زينب بدورها الصعب الذي قامت به لما زادت الواقعة ونتائجها عن واقعة اية معركة تدار فيها الايدي والسيوف وتصهل فيها الخيل».

وزاد كاتب آخر وهو جمال المشاط في كتابه دروس من نهضة الحسين بالقول: «ولا غلو في ان عطاء زينب المتمثل بمواقفها الخطابية والاعلامية التي تنم عن عميق ما خبرت به من حنكة سياسية

علماً بان قيام الحسين عليه السلام هذا وتحديه للنظام القائم كان لابد منه ولو لم يدعه احد من العراق ولم تأته كتب اهل الكوفة لان كل ما صنعته كتب ووفود الكوفة وسواها هو التعجيل في الخروج من مكة.

ولئن كانت تضحية الامام علي عليه السلام وجهاده في منع كارثة طوفان الجور والظلم من نزولها، إلا ان ولده الامام الحسين عليه السلام قام من بعده بالرحيل الى العراق وبتضحية حياته في هذا القطر وذلك ليمنع امتداد هذه الكارثة واستمرارها.

فكأنّ، دم الأب أمتد هنا ليلتقي مع دم الابن ليكونا الشلال العرم والتيار الجارف الذي ينير للناس ـ كل الناس ـ الدرب المفضي الى الكرامة والحرية والمساواة.

وعن هذا الأمر يقول الشاعر المعروف ابو العلاء المعري:

وعلى الدهر من دماء الشهيد ... ين علي ونجله شاهدان
فهما في اواخر الليل فجران ... وفي اولياته شفقان

ولقد آثر الحسين عليه السلام هنا وقبل ان ينطلق موكبه السامي الى قطر العراق ان يسبقه الى هناك رسول او سفير واحد له او اكثر وذلك ليشعروه عن حقيقة الوضع في الساحة العراقية وطبيعة الرسائل الواردة اليه، وذلك لكي يكون سيرة وحركته على ارض صلبه وثابتة وبعيداً عن العواطف والاهواء والرغبات غير المدروسة

وضلاعة في شؤون الاجتماع والاعلام لا يمكن ان يقارن بما عداه من عطاء انثوي في تاريخ هذه الدنيا فلا نفرتيتي ولا كاترين ولا الخنساء ولا جان دارك ولا شجرة الدر ولا كوريسكايا... لا هذه ولا تلك بقادرة على ان تواكب مستوى العطاء في الفكر وفي براعة انهاء المواقف والانتقال بتدوير الكلام من موقف الضعف والمغلوب الى موقف المنتصر والغالب الذي جاءت به هذه العقيلة الهاشمية والتي سجلت بها مجتمعة ملحمتها العظيمة الخالدة»..

بدقة وعناية، ومخافة ان يلومه لائم فيما بعد على خطوته هذه بانه قد خطاها من دونما حذر او تبصر.

ولقد كان ابن عمه مسلم بن عقيل ـ وكان عمره حينذاك (٣٨) سنة ـ هو طليعة وأحد الرسل والسفراء الذين ارسلهم الى الكوفة.

ولقد رحب اهل الكوفة بمسلم رسول الحسين خير ترحيب وفتحوا له قلوبهم قبل ايديهم واظهروا له كل علائم الطاعة والاخلاص، وقد تلى عليهم رسالة الحسين عليه السلام الموجهة اليهم فزادتهم هذه تصميماً على الفداء معه والتضامن من اجل الاطاحة بكل الطغاة والظالمين.

ولقد بايعه عند وصوله الى الكوفة على الموت والشهادة والكفاح ضد النظام القائم ما يقرب من (١٨) الف رجل ان لم يكن اكثر من ذلك.

واثر هذه الوقائع والحوادث كتب مسلم الى الحسين عليه السلام رسالة ضمنها تفصيلات الوضع العام في الكوفة وطالبه فيها التعجيل في المسير اليها ومن دون ابطاء حيث ان اهلها هم في انتظاره واستقباله على احرّ من الجمر.

وهكذا قرر الحسين عليه السلام التوكل على الله والاستعداد للحركة الى العراق استجابة لنداءات وصيحات اهل الكوفة الملحة والمتواصلة بالقدوم اليهم والكفاح تحت لوائه لتقويض اركان الظلم واستئصال شأفته من الجذور واقامة حكم ودولة العدل والحرية.

علماً بان الحسين عليه السلام في رحيله التاريخي هذا الى قطر العراق لم يقع ضحية خدعة لم يحسن تدبّرها اوضحية انصار لم يقف على حقيقة نياتهم او مدى اخلاصهم وولائهم له.

بل ان الأمر كان على العكس تماماً حيث كان عليه السلام لا يضع قدمه في كل خطوة كان يخطوها إلا على ارض ثابتة ومتماسكة وان تصميمه وارادته في الرحيل الى العراق كان حكيماً وبليغاً، وانه عليه السلام: «كان يهتدي الى مسؤولياته بنور ايمانه وبصوت ضميره وليس بتحريض قوة خارجية»(١).

ولكن اذا ما كلفته هذه الخطوة ان يقدم حياته كثمن لها فليكن ذلك ولكن ليتم امام اوسع الجماهير وامام اكثر من قطر وبلاد حتى يمكن للشهادة من ان تؤتي ثمارها كاملة لكل الناس والفداء صداه لكل الاقطار والتضحية انعكاسها لجميع بلدان العالم.

ذلك لانه عليه السلام من اهل بيت لم يخلقوا لانفسهم ولا لبلدهم ولا لقطرهم بل صاغهم الله تعالى ليكونوا لكل الناس حيثما حلوا ولكل الاقطار والبلدان على الارض هداية ورحمة وبركة وسعادة وكرامة.

وهذا ولم تستطع (مكة) ان تحول دون خروج الحسين واهله واصحابه منها لانه عليه السلام كان قد: «وعد وعزم وقرر فما تستطيع قوة في الارض ان تصدّه عن النضال في سبيل الحق وما يستطيع اي انسان ان يغمه بايثار السلامة والعافية»(٢).

ولقد كان الجميع في مكة المكرمة واثقين من ان رحيل الحسين عليه السلام الى العراق ـ فيما لو حصل ـ فانما يكون هذا بالتأكيد بعد انتهاء فريضة الحج وعيد الاضحى المبارك لعام (٦٠هـ) وليس قبل هذا الوقت مطلقاً.

إلا أنه عليه السلام كان قد فاجأ جماهير الناس يوم الثلاثاء (٨ذي الحجة) وهو يوم

---

(١) ابناء الرسول في كربلاء ـ خالد محمد خالد.

(٢) سكينة بنت الحسين ـ الدكتورة بنت الشاطئ.

التروية[١] بذهابه الى الحرم الشريف والطواف بالبيت المقدس والسعي بين الصفا والمروة والتحلل من احرامه وجعلها عمرة منفردة وترك التمتع بالحج.

ثم قام بتوديع اهالي مكة الذين كانوا في سبيل تركها الى منى وعرفات لاتمام مراسيم الحج لذلك العام ـ الوداع الذى لا لقاء بعده ـ

لم يخرج الحسين عليه السلام لوحده بل سار معه حشد كبير من اهل بيته وعلى راسهم اخوه العباس عليه السلام ـ واخوته الثلاثة ـ ومواليه وعدد كبير من اهالي الحجاز ونفر من اهل الكوفة والبصرة من قدموا اليه وهم يحملون رسائل الدعوة ومواثيق البيعة وليبلغوه ايضاً بدعوة اهالي الكوفة للأسراع في القدوم الى العراق[٢].

هذا ولولا حب من خرج مع الحسين له وتعلّقهم به ما تركوا ديارهم الآمنة ليخرجوا معه وهم لا يدرون ما يخبئه لهم الغد من احداث وما قد ينزل بهم من متاعب واهوال.

وعند بدء رحيله عليه السلام من مكة امر بقرطاس وقلم وكتب لبني هاشم عليه ما يلي:

---

(١) سمي يوم التروية لانهم (الحجيج) كانوا يرتون فيه من الماء من منى ويخرجون الى عرفات. وعندما سئل الحسين عليه السلام عن اسباب خروجه يوم التروية قال: «لو لم اعجل لاخذت اخذا».

(٢) نشير هنا الى وجود «هجرتان في الاسلام اخلدهما التاريخ الابد، هجرة الرسول صلى الله عليه وآله من مكة الى المدينة اسست الاسلام ووطّدت دعائمه، وهجرة الحسين من المدينة الى الكوفة اعادت جدة الاسلام ونشرت كلمته «ذكرى الحسين ـ محمد علي آل ياسين. ويذهب آخرون الى ان «الهجرة الأولى كانت وغايتها البناء وان الهجرة الثانية كانت وغايتها المحافظة على البناء» الامام الحسين ـ عبد الله العلايلي.

فما «اقرب الشبه واشد التطابق والتقارب بين الهجرتين في العوامل والثمرات، بل وحتى في الحالات النفسية» مأساة الحسين ـ الشيخ عبد الوهاب الكاشي.

«بسم الله الرحمن الرحيم.. من الحسين بن علي الى بني هاشم.. اما بعد فانه من لحق بي منكم فقد استشهد ومن تخلف لم يدرك الفتح والسلام».

ولقد كان الحسين عليه السلام يردّد عند الرحيل، او أنها نظمت على لسان حاله:

سأمضي وما بالموت عار على الفتى ... اذا ما نوى حقاً وجاهد مسلما
وواسى الرجال الصالحين بنفسه ... وفارق مثبوراً وخالف مجرما
فان عشت لم اندم وان مت لم آلم ... كفى بك ذلاً ان تعيش وترغما

وفي رحيل الحسين عليه السلام الى العراق نظم الشاعر يقول:

لما راى الشرع الشريف مضيّعاً ... وحبال دين الله عدّن رثاثا
وبني امية في العباد تحكّموا ... ويزيد افسد في البلاد وعاثا
امّ العراق على النجائب طالباً ... حقاً له من جده ميراثا
عجباً بني الطلقاء اضحت تدعي ... سلطان آل محمد ميراثا
وتساق آل محمد ما بينهم ... سوق السبايا لا يجدن مغاثا

غادر الحسين عليه السلام مكة المكرمة باتجاه الكوفة في قطر العراق بعد ان ودّع الكعبة بيت الله تعالى وهو يحمل روحها بين جنبيه وشعلتها بكلتا يديه تواكبه الملائكة وتباركه وتطيف به كانها حذرة عليه لانه البقية الباقية من ارث السماء المتواجدة على سطح الارض.

هذا ولن نشير هنا الى تفصيل ما حدث لرسول الحسين عليه السلام في الكوفة وهو مسلم بن عقيل[1] حيث انفض عنه اهل الكوفة واخذ لوحده في منازلة قوات وعساكر والى الكوفة بشجاعته المعهودة والتي وصفها احدهم بقوله:

---

(١) لقد تم توضيح سيرة مسلم بن عقيل مفصلة في كتابنا «مسلم بن عقيل ـ بريق النبوة في ظلمات الكوفة».

«انه كان ياخذ الرجل من يده ويرمي به فوق الدار».

حتى القي القبض عليه وضرب عنقه من اعلى قصر الامارة[١] ورمي بجسده الطاهر مع راسه من هناك الى الارض.

فضلاً عن قتل هاني بن عروة ـ رئيس قبيلة مذحج اليمانية ـ وبالطريقة نفسها التي قتل بها مسلم من قبل، والتي وصلت اليه عليه السلام هذه الاخبار والمفزعة وهو في نقطة «زرود» على طريق العراق.

كما ولن نشير الى لقاء الحسين عليه السلام في النقطة المذكورة «زرود» مع زهير بن القين البجلي ليصبح هذا العلم بعد اول لقاء له مع الحسين من خيرة انصاره واعوانه بل من قادة جيشه واركان حربه والعمود الفقري فيه.

ولن نشير ايضاً الى لقاء الحسين عليه السلام مع الشاعر المعروف الفرزدق في نقطة «الصفاح» والذي قال للحسين عليه السلام بعد ان استفسر منه عن طبيعة الموقف في العراق بالحرف:

---

(١) قصر الامارة شيّد في الكوفة عند تمصيرها عام (١٧هـ) في عهد القائد سعد بن ابي وقاص، وكان يعرف بقصر سعد وبقصر الامارة، ثم اصبح داراً خاص للعمال والولاة، وكان سوره يرتفع الى (٢٠م)، وقد احكم بناؤه حتى بات من المتعذر اقتحامه والسيطرة عليه بسهولة عند غلق ابوابه.

وعند دخول عبد الملك بن مروان اليه بعد انتصاره على جيش مصعب بن الزبير عام (٧١هـ) وضع راس مصعب عند يديه، وحينئذ تقدّم احد الجالسين وهو «عبيد بن عمير» وقال لعبد الملك: «ايها الخليفة كنت جالساً هنا ورأيت راس الحسين بين يديّ مصعب بن الزبير، وفي هذا اليوم ارى في نفس المكان راس مصعب امامك، وادعو الله ان لا يريني ذلك اليوم الذي ارى فيه رأسك بين يديّ شخص آخر.. فتشائم عبدالملك من هذا الكلام وقام من كرسيه غضباً واصدر في الوقت امراً بتهديم القصر وتسويته بالارض.

«قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني امية والقضاء ينزل من السماء والله يفعل ما يشاء وربنا كل يوم هو في شأن»

كما ولم نتطرق الى لقاء الحسين عليه السلام مع الطرماح بن عدي بن حاتم الطائي في نقطة «العذيب» والذي اجاب الحسين حين استفسر منه عن الموقف في الكوفة، اجاب بمثل جواب الفرزدق من قبل ولكن مع شيء من التغيير والأضافة وهو بالحرف: «ان الاشراف قد استمالهم ابن زياد[1] بالاموال اما سائر الناس فهم معك واما سيوفهم فهي مشهورة عليك».

واخيراً ـ وليس آخراً ـ لن نتناول تفاصيل وقائع ملاقاة الحر بن يزيد الرياحي للحسين عليه السلام في نقطة «ذو حسم» عند ابواب العراق، والذي كان طليعة الجيش الذي حشده والي الكوفة ابن زياد لمحاربة الحسين وايقاف مسيرته التاريخية الى العراق، وما جرى ـ خلال اللقاء ـ بينه عليه السلام وبين الحر من حديث وكلام اوشك ان يفجر الموقف في ذلك المكان النائي من صحراء العراق الغريبة.

حيث قال الحسين عليه السلام للحر في النهاية وان بعد ان ضيق الاخير عليه الخناق وطلب منه ان يصحبه الى الوالي في الكوفة، قال عليه السلام له:

«انها الحرب إذن ثكلتك امك».

---

(١) بالنظر والتكرار ورود اسم عبيد الله بن زياد بن ابيه وعمر بن سعد بن ابي وقاص في هذا البحث لكونهما يعدّان من قادتي البغي والعدوان في ملحمة كربلاء، لذا فقد اكتفينا هنا بايراد اسم «ابن زياد» للاول «ابن سعد» للآخر، كما ويطلق على الاول اسم «ابن مرجانة» لان امه تدعى مرجانة وهي جارية مجوسية تزوجها والده فصار منها، ويطلق على زياد بن ابيه اسم «ابن سمية» وعلى ابي سفيان بـ«ابن حمامة» وعلى معاوية «ابن هند» وعلى يزيد «ابن ميسون».

فاجابه الحر جواباً مهذباً وهو: «اما والله لو غيرك من العرب يقولها لي ما تركت ذكر امه بالثكل كائناً من كان، ولكن والله ما لي الى ذكر امك من سبيل إلا باحسن ما يقدر عليه».

وسكن غضب الامام لهذا الجواب.

نعم لن نشير الى كل ذلك او سواه هنا للاختصار الذي آثرناه في هذه الدراسة، رغم ان كل ذلك هو مسجل ومدون في الكتب والابحاث التي تولت كتابة تاريخ واقعة كربلاء ومنها كتابي السابق الذي يحمل عنوان هو «الحسين عليه السلام... ثورة دائمة».

إلا انه اذا كان ولابد من ان نشير الى شيء هنا قبل الانتقال الى الفصل التالي فهو ان ركب الحسين عليه السلام واصحابه واهل بيته ـ بما فيهم النسوة والاطفال ـ قد سار قدماً الى العراق لا يلوي على شيء، وقد كلف العباس عليه السلام هنا بالمسؤولية الكاملة في خلال هذه الرحلة الصعبة بحماية ورعاية هؤلاء النسوة والاطفال وطيلة الطريق من حيث تأمين سلامتهم وراحتهم واستقرارهم في المحافل وفي الختام وعند الدخول اليها والخروج منها.

وقد امتدت هذه المسؤولية ايضاً واستمرت حتى في ارض الطفوف في كربلاء، وظلت قائمة وفعالة لحين شهادته عليه السلام ورحيله الى جوار ربه عند ضفاف العلقمي في العاشر من المحرم الحرام.

ويظهر هنا ان الحسين عليه السلام كان قد كلف اخاه العباس بتحمّل هذه المسؤولية لعلمه بشجاعة هذا الفتى المغوار وعزيمته وابائه ونخوته.

لذا فقد كان الاختيار مصيباً وفي مكانه ومن ثم فان المكان بالمكين ـ كما يقول

المثل العربي الشائع ـ ولأن العباس عليه السلام ـ كما قلنا اكثر من مكان ـ هو رجل المهمات الصعبة في معسكر كانت كل مهماته وواجباته شاقة وصعبة.

وهكذا فقد حلّ ركب الحسين عليه السلام في كربلاء ولا احد في هذا الركب يعلم ما يخبئه لهم المستقبل من امور ومفاجئات بعد ان احاط به جيش العدوان من كل جانب احاطة السوار بالمعصم ولم يدع له حرية الحركة والانتقال.

إلا انه كان هناك شخص واحد في هذا الركب المقدّس كان يعرف كل شيء عما سيحل بركبه من مصائب ونوائب وهو قائد الركب والمسيرة الامام الحسين عليه السلام لانه كان قد استقىٰ وتلقىٰ تفصيلات كل ذلك من اخيه وابيه وجده عن الله تعالىٰ.

إنها كربلاء التى حلّ في ارضها الحسين عليه السلام وركبه، ولئن كانت هذه البقعة من ارض العراق قد خفيت على سواد الناس، فانها كانت ملء كل اسماع واذهان وافكار سائر الانبياء والمرسلين والصفوة من عباد الله المخلصين منذ ان خلق الله الارض.

وعن النقطة الاخيرة نشير الى ان الامام علي عليه السلام في مسيره الى صفين عام (٣٧هـ) جعل طريقه اليها عبر ارض كربلاء، وعند وصوله اليها صلىٰ فيها واخذ تربة من ارضها فمشىٰ ثم قال:

«واهاً لكِ من تربة ليقتلن بك قوم يدخلون الجنة بغير حساب، ها هنا محط ركابهم وها هنا مهراق دمائهم».

وقبل الامام علي «مرّ عيسىٰ بن مريم عليه السلام على ارض كربلاء وتوقّف فوق

مطارح الطف ولعن قاتلي الحسين ومهدري دمه الطاهر فوق هذه الثرىٰ»[١].

كما ويصف احدهم هنا علاقة الحسين بارض كربلاء بالحرف:

«كانما كانت ارضه تناديه فلبىٰ نداءها»[٢].

نعم هي كربلاء والتي نظم في حقها احد الشعراء وهو عبد الله العلايلي قصيدة جاء في بعضها:

فـيا كـربلاء كـهف الابـاء مجسـماً ... ويـا كـربلاء كـهف البـطولة والعـلا
ويا كـربلاء قـد حـزت نـفساً نـبيلة ... وصـيرّت بـعد اليـوم رمـزاً الى السما
ويا كربلاء قـد صرت قـلبي كـل ذي ... نـفس تـصاغر دون مـبدئها الدنـا
ويا كربلاء قـد حـزت مجـداً مـؤثلاً ... وحزت فـخاراً يـنقضي دونـه المـدىٰ

وقال شاعر ثاني عن كربلاء:

هـي كـربلاء فـقف عـلى عـرصاتها ... ودع الجـفون تجـود في عـبراتهـا
مـا بـالها لم تـروهم مـن مـائها ... حـتىٰ تـروّت مـن دمـار قـباتها
الله اكـبر يـالها مـن وقـعة ... ذابت لهـا الاحشـاء في حـرقاتها

كما ونظم شاعر ثالث حول الموضوع يقول:

سل كربلاء كم حوت منهم بدور دجىٰ ... كأنهـم فـلك للأنجـم الزهـر

---

(١) الحسين الفكر المسيحي ـ انطون بارا.

(٢) الامام علي بن ابي طالب ـ عبد الفتاح عبد المقصود.

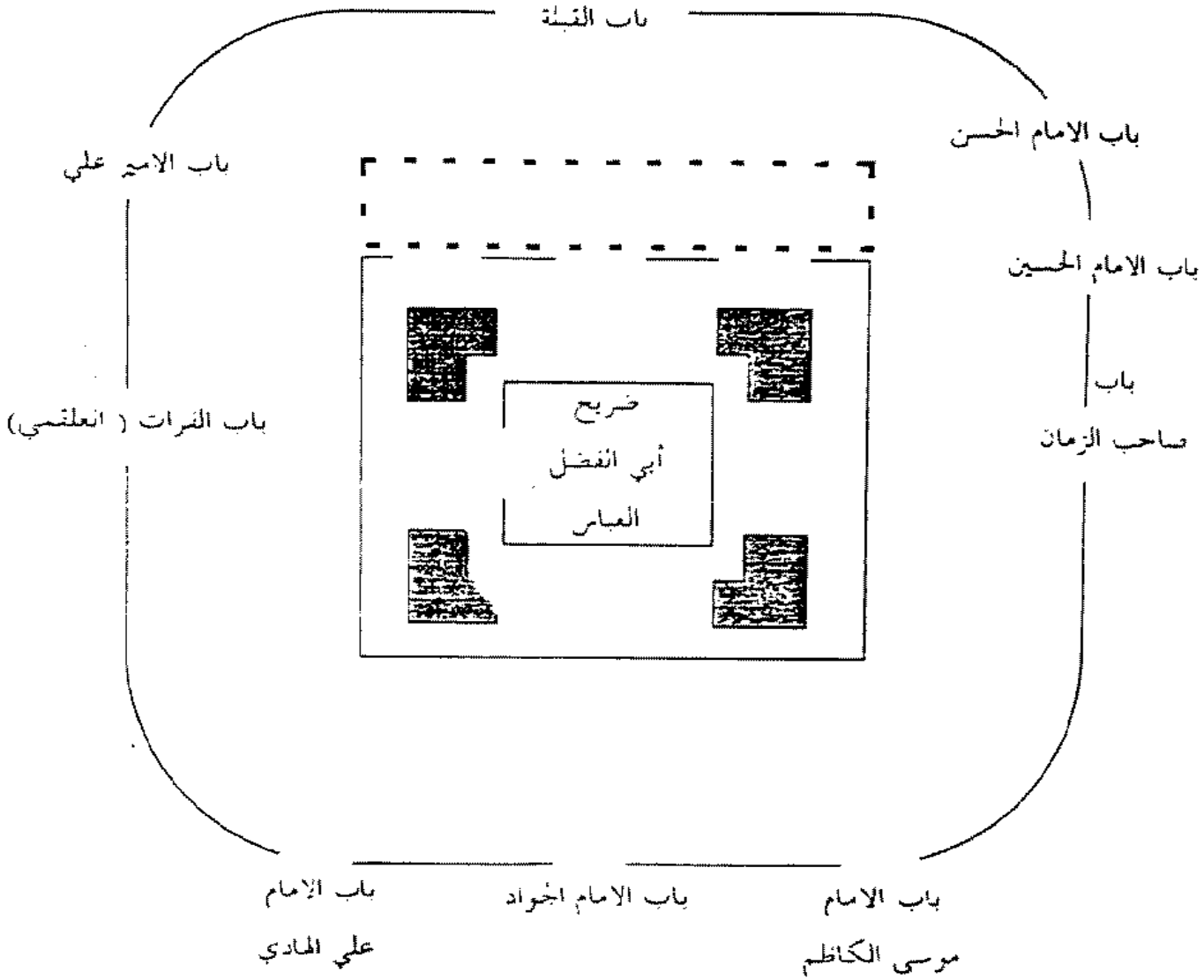

مخطط للحرم العباسي المقدس في كربلاء

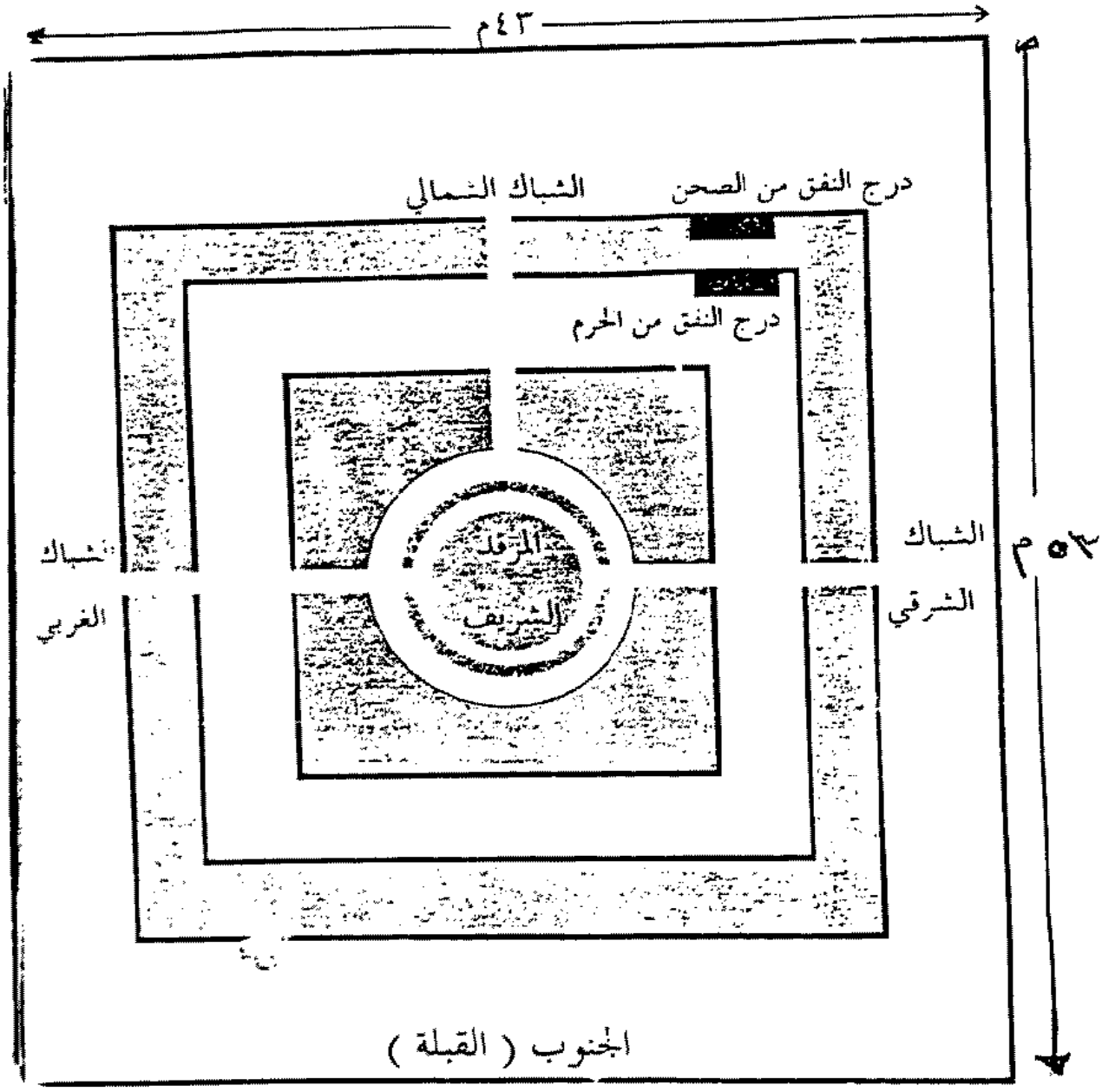

خارطة للنفق الأرضي لمرقد سيدنا أبي الفضل العباس (عليه السلام) في كربلاء

عند اعتاب كربلاء

وصل ركب الحسين عليه السلام الىٰ ارض كربلاء وحط رحاله علىٰ ثراها في يوم الخميس ٢ محرم من عام (٦١هـ) بعد ان استغرق سفره من مكة اليها عبر صحراء الحجاز ونجد (٢٤) يوم حيث بدأت بوصوله هذا الصفحة (المرحلة) الثالثة من معركة الكفاح والنضال ضد الضلال والطغيان والجور، وبوصوله هذا ايضاً تبدأ الفصول الاشد حسماً وصعوبة في رحلة الخروج الدامية.

ولقد قام الحسين عليه السلام ـ بعد يقينه بان نهايته ستكون علىٰ هذه الارض ـ قام بشراء الارض التي تحيط بالمنطقة رغم أنها ارض خالية ومهملة وجرداء وغير مزروعة وهي ايضاً من دون مالك حقيقي، وهي بمساحة (٤) اميال في (٤) اميال ودفع ثمنها لمن ادعى ملكيتها نقداً.

وبلغ ما دفعه اليهم حوالي (٦٠) الف درهم وهو غالبية ما كان يحمل من نقود.

ولقد تصدق الحسين عليه السلام بالارض بجعلها صدقة جارية ومشيراً الى ان هذه الارض برمتها ايضاً هي حلال ومباحة لولده وأنصاره وزوراه، وهي حرام في نفس الوقت على غيرهم.

ومؤكداً على من يقطن في هذه المنطقة بان يرشدوا الناس الى مكان قبره المرتقب، فضلاً عن ان يقوموا بضيافة زواره القادمين لمدة (٣) ايام متتالية.

وبعد ذلك وحين استقر بالحسين المقام بهذه الارض جمع عليه السلام أقربائه

واصحابه وخطب فيهم حيث جاء في بعض ما قال لهم[١].

«اللهم انا عترة نبيك محمدﷺ وقد اخرجنا وطردنا وازعجنا من حرم جدنا وتعدّت بنو امية علينا، اللهم فخذ لنا بحقنا وانصرنا على القوم الظالمين» ثم التفت الى اصحابه وقال:

«الناس عبيد الدنيا والدين لعق على السنتهم يحوطونه ما درّت معائشهم، فاذا محصوا بالبلاء قل الديانون. ألا ترون الى الحق لا يعمل به والى الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله، فاني لا ارى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما».

---

(١) لقد اكد الحسينعليه السلام في كل خطبة القاها في عرصة كربلاء على مكانة الاسرة النبوية التي ينتسب اليها والتي اخرجت الناس من الظلمات الى النور علّ ذلك يؤثر على اهل الكوفة فينصرفوا عن قتاله، علماً بان خير من وصف هذه الأسرة وتضحياتها هم كتاب وادباء كثيرون اخترنا منهم ثلاثة «لبناني وسوري ومصري» فالكاتب اللبناني عمر ابو النصر يقول في كتابه فاطمة بنت محمد بالحرف:

«ان الأسرة النبوية قد كتب ان تعيش في الدنيا عيش الاشجار العظيمة في الصحاري المحرقة تظلل الناس بوارف ظلها وهي تصطلي حر الهاجرة وأوارها، ولو ان القدر انصفهم ووفاهم اجورهم لما سعد احد في الحياة سعادتهم ولا هني فيها هناءهم».

أما الكاتب الثاني السوري فهو علي الطنطاوي حيث يقول في كتابه ـ قصص من التاريخ بالحرف:

«من العجب ان يسع المسلمون بعدلهم الذمي والكافر، ولكن عدلهم ضاق عن آل محمد، لقد قدّموا الحياة السعيدة للنصراني واليهودي ولكنهم لم يجدوا لابن بنت النبي إلا الموت الأليم».

والثالث هو الكاتب المصري خالد محمد خالد حيث كتب في ـ ابناء الرسول في كربلاء بالحرف:

«من العجب ـ كما يحدثنا التاريخ ـ انهم خرجوا لجريمتهم بعد ان صلى بهم قائدهم صلاة الصبح، اصحيح أنهم صلوا وقرأوا في آخر صلاتهم ـ اللهم صلي على محمد وآل محمد؟ ـ اذن ما بالهم ينفلتون من صلاتهم ليحصدوا بسيوفهم آل محمد».

ولقد علّق وعقّب بعض اصحابه على كلمته هذه بكلمات وعبارات ثورية ونارية تدل وتنم على مدى اخلاص هؤلاء الاصحاب وحبهم وولائهم للحسين عليه السلام والقضية التي جاء من اجلها.

فقد قام زهير بن القين وقال بصراحة: «سمعنا يا بن رسول الله مقالتك ولو كانت الدينا لنا باقية وكنا فيها مخلدين لآثرنا النهوض معك على الأقامة فيها».

أما برير بن خضير الهمداني فقد صرّح بقوله: «يا بن رسول الله لقد منّ الله بك علينا ان نقاتل بين يديك وتقطع فيك اعضاؤنا ثم يكون جدّك شفيعنا يوم القيامة».

وجاء دور نافع بن هلال البجلي ليقول بكل قوة: «سر بنا معافى شرقاً ان شئت او مغربا فوالله ما اشفقنا من قدر الله ولا كرهنا لقاء ربنا وانا على نياتنا وبصائرنا نوالي من والاك ونعادي من عاداك».

ولقد وصف احد الشعراء وهو السيد رضا الهندي هذه الحالة في هذه الابيات:

وقفوا يدرؤون سمر العوالي بفراق النفوس والارواح
فوقوه بيض الضبايا بالنحور البيض والنبل بالوجوه الصباح
ادركوا بالحسين اكبر عيد فغدوا في منى الطفوف اضاحي

ولقد بعث الحر بن يزيد الرياحي من كربلاء من يخبر رئيسه ابن زياد بنزول الحسين في كربلاء، فما كان من ابن زياد إلا ان يجيب على ذلك برسالة مستعجلة موجهة الى الحسين عليه السلام نفسه والتي جاء في بعضها: «يا حسين قد بلغني نزولك كربلاء وقد كتب اليّ يزيد ان اذيقك المنون او تنزل على حكمي وحكم يزيد».

ولما فرغ الحسين عليه السلام من قراءة هذه الرسالة الخائبة رماها الى الارض وقال:

«لا اصلح الله قوماً اشتروا مرضاة المخلوق بسخط الخالق».

ووصل عمر بن سعد بن ابي وقاص[١] الى مسرح العمليات الحربية في ارض كربلاء في يوم (٣) محرم الحرام ومعه (٤) آلاف رجل مرسلاً من سيده ابن زياد لتسلم قيادة كل الوحدات والتشكيلات العاملة والمحتشدة في الجبهة او التي ستردّ تباعاً لغرض فرض شروط الذل والاستسلام عنوة على الحسين عليه السلام، وعسكر على ارض كربلاء على مقربة من معسكر الحسين.

هذا وقد تردد ابن سعد كثيراً قبل قبوله لهذه المهمة القذرة حيث تمارض وحاول ان يعتذر عن هذا التكليف ولكنه خشي بطش ابن زياد والي الكوفة وجور سيده التالي في الشام يزيد، فضلاً عما كان يأمله من اسناد حكم ولاية الري اليه فقد مال لعابه لها فوافق على المهمة صاغراً.

لقد كانت غالبية الناس تكره الخروج الى حرب الحسين حيث كان ابن زياد اذا وجّه الرجل الى قتال الحسين عليه السلام في الجمع الكثير فيصلون ولم يبق منهم الا القليل.

ومردّ ذلك هو كراهتهم لقتال الحسين ومنازلته والذي هو ابن بنت رسولهم

---

(١) كان ابن سعد قد عيّن حاكماً على الري ـ وهو اقليم يقع جنوب بحر قزوين ـ وكان يستعد لمغادرة الكوفة الى مقر عمله الجديد لولا مجئ الحسين عليه السلام الى العراق وتكليفه بقيادة الجيش المرسل لمواجهته.

علماً بانه لو كان ابن سعد خليقاً بابيه سعد بن ابي وقاص لطلب ثأر أبيه من يزيد، لا أن يكون خادماً عنده ولكنه أخلع وانماع فكانت الدنيا منذ صغره ميلة وصبوة، والثأر هذا يخص السم الذي سق معاوية اباه سعد فقضى عليه. «وقد اصبح سق السم من قبل معاوية لأعدائه شعار معاوية واشياعه» كما يقول عباس محمود العقاد في كتابه ـ ابو الشهداء ـ

ونجل خليفتهم، حيث باتوا على يقين بضلال هذه الحرب وانهم بفعلهم هذا انما يحاربون الله ورسوله ويقاتلون من امروا بمودته وطاعته.

ومن اجل السيطرة على الموقف والاستعداد للمواجهة اصدر ابن زياد اوامره المشددة بالنفير العام والتجنيد الشامل والتعبئة العامة، كما واستعمل في تنفيذ هذا سياسة الترهيب والترغيب.

وبعدها امر ابن زياد ان ينادي المنادي في اسواق الكوفة وسككها انه «قد برئت الذمة ممن لم يخرج لمقاتلة الحسين».

وبذلك فقد تم السيطرة على الموقف، كما واصبح سوق الحدادين في الكوفة في اليوم السادس من المحرم او قبله بمدة قصيرة قائماً على قدم وساق، فكل من تلقاه اما ان يشتري سيفاً او رمحاً او سهماً او سناناً ويحددها عند الحداد وينقعها بالسم تمهيداً للخروج الى المعركة القادمة في ارض كربلاء.

وهكذا فقد اوعز ابن زياد الى شمر بن ذي الجوشن المرادي بالخروج الى كربلاء وعلى راس (٤) آلاف مقاتل، والى الحصين بن نمير التميمي في (٤) آلاف اخرى، والى شبث بن ربعي التميمي في الف فارس... الخ.

وبذلك فقد احتشد تحت لواء ابن سعد على صعيد كربلاء يوم (٦) محرم ما يقرب من (٢٠) الف مقاتل، ثم تبع واعقب هؤلاء سواهم من المقاتلين والفرسان والمرتزقة ليصبح المجموع قبل يوم عاشوراء باكثر من (٣٠) ألف مقاتل في اقل تقدير.

وهكذا فقد استطاع واحد من احط خلق الله وهو عبيد الله بن زياد ان يجمع لقتال الحسين وهو سيد شباب اهل الجنة هذا العدد من الرجال وان يعبأ العالم

الاسلامي كله ضد اهل البيت من غير رادع او معترض.

وعن طبيعة هؤلاء المقاتلين وجنسياتهم فيقال عنهم بالحرف:

«ان اهم ما في حركة الحسين ان كل من حاربه وتولى قتله كان من اهل الكوفة ولم يحضره شامي واحد»[1] او حجازي او بصري، وهم ممن شايعوه (الحسين) وطاوعوه وعاهدوه وبايعوه.

ولقد اشعر ابن زياد قائد جيشه في ميدان العمليات في كربلاء وفي رسالة لاحقة اشعره فيها بضرورة «ان يشتدّ في قتال الحسين حتى يضع يده في يد يزيد ويلعن مبايعته بالخلافة وان يستعمل الماء كورقة ضغط بيده للتضييق على الحسين لاستحصاله هذه المبايعة وفقاً لما جرى مع الخليفة عثمان بن عفان من قبل حين منع الماء عنه».

ولقد تناسى هذا الوغد ـ يكتب رسالته الى ابن سعد ـ ان الحسين نفسه هو الذي حمل الماء الى الخليفة عثمان في المدينة عند حصاره وعانى الامرين في سبيل ذلك، ثم اذا ما كان الحسين عليه السلام هو المقصود هنا في منع الماء عنه فما ذنب النسوة والمرضى والاطفال الذين هم في معيته زضمنا ركبه.

وفي اليوم السابع من المحرم اشتد الحصار والتضييق على الحسين وعلى من معه وكل الاطراف والجهات، كما واشتد لذلك العطش فيهم ايضاً ـ بعد ان نفد ما كان لديهم من الماء حيث كان الصيف شديد الحرارة في ذلك العام ـ وان بينهم وبين شاطئ الفرات رماح مشرعة وسيوف مرهفة ولا يمكن الوصول اليه ونقل الماء إلا باغماد هذه السيوف وابعاد هذه الرماح.

---

(١) مروج الذهب ـ المسعودي.

ويقال هنا ان الحسين عليه السلام كان قد طلب بن اخيه العباس ان يحفر له بئراً، فحفر العباس في ثلاثة مواضع ـ وقيل اكثر ـ فلم يعثر على الماء واشعر الحسين عليه السلام بذلك.

علماً بانه قد حيل بين الحسين والماء لمدة ثلاثة ايام، وكان هذا الامر هو اعظم ما عاناه الحسين من المحن والخطوب في كربلاء، حيث كان يسمع صراخ اطفاله وهم ينادون العطش حيث ذاب قلب الامام حناناً ورحمة لذلك المشهد الرهيب فقد ذبلت شفاه اطفاله وذوي عودهم وجف لبن المراضع، مما اضطره للطلب من قادة جيش البغي والعدوان لسقي الاطفال فقط بالماء فكان جواب احدهم على نداء الحسين هذا هو:

«يا حسين الاترى الماء يلوح كأنه بطون الحيات والله لا تذوق منه جرعة حتى تذوق الحميم من نار جهنم».

وقال ثالث: «يا حسين ألا تنظر الى الماء كانه طبذ السماء، والله لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشاً»، «فكان سماع هذا الكلام عند الحسين اشد من منعهم اياه الماء»[1].

وعن هذه الحالة يقول الشاعر السيد حيدر ا لحلي:

ما خلت ان الدهر من عاداته ... تروي الكلاب به ويضمي الضيغم

ويقدّم الاموي وهو مؤخر ... ويؤخر العلوي وهو مقدم

وقيل ان يكلف العباس بالذهاب الى نهر الفرات لجلب الماء سمع الحسين واصحابه صوتاً قبيحاً يقول: «يا حسين... يا عباس والله لن تذوقا من الماء قطرة

---

(١) تذكرة الخواص ـ سبط ابن الجوزي.

واحدة حتى تموت عطشا».

وادرك الاخوان ان الرجل كان يسترق السمع وانه من اذناب الزنيم ابن سعد. فاجابه الحسين: «اللهم اقتله عطشاً ولا تغفر له ابدا».

وبالفعل فقد قتل هذا الوعد في الكوفة فيما بعد عطشاً وفقاً لما قال له الحسين في كربلاء. وهنا طلب الحسين عليه السلام من اخيه العباس عليه السلام ان يتولى عوضه مهمة سقي الاطفال والنساء واصحابه بالماء بعد كل الذي سمعه من اعداء الله ورسوله بصدد سقي الماء.

وجاء العباس عليه السلام الى نهر الفرات[1] وهو على راس (٢٠) راجلاً و(٣٠) فارساً من اصحاب الحسين وهما ثلثا جيشه تقريباً، وهم يحملون معهم (٢٠) قربة خاصة بالماء.

حيث مضى الجميع الى ضفاف النهر غير مبالين بكثرة الاعداء، حيث كانت مبادرتهم هذه هي مهمة انتحارية، ولكن الله سبحانه نصره كما نصر رجاله وحقق

---

(١) ان نهر الفراب المقصود به هنا هو نهر العلقمي القديم المتفرع من الفرات الذي يسقي كربلاء ومنه الى الكوفة، واثره الآن ظاهر قرب مرقد العباس.

والطف اسم عام لاراضي تنعسر عنها المياه، وسميت حوالي نهر العلقمي البارزة من شواطئه طفاً لذلك، وسميت واقعة الحسين فيه واقعة الطف.

وعن هذا النهر نظم الشاعر عبد الباقي العمري الفاروقي الموصلي يقول:

بعداً لشطك يا فرات فرّ لا ... تحلو نماؤك لا هني ولا مري

ايسوغ لي منك الورود وعنك قد ... صدّ الامام سليل ساقي الكوثر

علماً بان الشاعر المذكور قد توفي عام (١٢٧٨هـ ـ ١٨٦٢م) ودفن في الروضة القادرية وقد ارّخ وفاته بنفسه فجاء مطابقاً وهو: بلسان يوحد الله ارخ «ذاق كاس المنون عبد الباقي».

مرادهم وهدفهم.

وعند وصولهم الى الشريعة التي يستقي منها الماء والتي كانت محروسة بجمع كثيف من الحراس يقدّر تعدادهم بـ (٤٠) آلاف ذئب تحت امره الزنيم عمرو بن الحجاج الزبيدي، سألهم بعض هؤلاء الحراس عن غرض القدوم الى النهر.

فاجابوهم: لشرب الماء.

فقالوا: «اشربوا هنيئاً ما شئتم ولكن لا تحملوا منه شيئاً».

وكان جواب كل واحد من انصار الحسين عليه السلام:

«لا والله لا نشرب منه قطرة واحدة والحسين ومن معه عطاشى».

فقال عمرو بن الحجاج:

«لا سبيل الى سقي اولئك، وأنما وضعنا في هذا المكان لنمنعهم من الماء».

ولله درّ من نظم هذا الشعر الشعبي على لسان العباس مجسداً هذا الموقف:

شلون اشرب واخوي حسين عطشان سكنة والحرم واطفال رضعان

واظن گلب العليل التهب نيران يا ريت الماي بعده لا حلة ومر

او ما قاله الشاعر الشعبي الآخر على لسان العباس او السجاد عليه السلام حول الموضوع:

شلون اشرب لذيذ الماي حاشه واهلي گضت كلهم عطاشه

وحسين الرمل أمسه فراشه

او ما قاله شاعر ثالث حول الحالة هذه:

بذلت ايا عباس نفساً نفيسة لنصر حسين عز بالنصر من مثل

ابيت التذاذ الماء قبل التذاذه فحسن فعال المرء فرع من الاصل

فانت اخو السبطين في يوم مفخر وفي يوم بذل الماء انت ابو الفضل

وقيل هذا ان العباس عليه السلام ارتجز هذه الارجوزة عند الطلب منه شرب الماء دون البقية في المخيم:

يا نفس من بعد الحسين هوني وبعده لا كنت او تكوني
هذا الحسين وارد المنون وتشربين بارد المعين
تا الله ما هذا فعال ديني ولا فعال صادق اليقين

واثر ذلك حدثت بعض المناوشات بين الطرفين تمكن بعدها العباس عليه السلام ورفاقه من السيطرة على الموقف بازاحة قوات العدو وشق طريقهم الى ضفاف النهر عنوة وملْ قربهم كلها بالماء وجلبها الى داخل مخيم الحسين من دون ان يخدش اي رجل منهم بخدش وذلك لخشية القوم من الدنو منهم لوجود العباس عليه السلام معهم، كما ولم يكن احد يجرأ على التصدي لهم خوفاً من العباس وبطشه.

وعن هذه الحالة نظم احد الشعراء وهو السيد محسن الامين العاملي يقول:

لا تنسى للعباس حسن بلائه بالطف عند الغارة الشعواء
واسى اخاه بها وجاد بنفسه في ستي اطفال له ونساء
ردّ الألوف على الألوف معارضاً حدّ السيوف بجبهة غراء

كما ونظم شاعر ثاني وهو السيد جعفر الحلي حول الموضوع ومشيداً بشجاعة العباس:

او تشتكي العطش القواطم عنده وبصدر صعدته الفرات المفعم
ولو استق نهر المجرة لارتق وطويل ذابله اليها سلم
لو سدّ ذو القرنين دون ورده نسفته همته بما هو أعظم

في كـــفه اليـــسرى الســـقاء يـــقله ... ويكـــــفه اليمـــنى الحســـام المخـــذم
مـــثل الســـحابة للـــفواطـم صـــوبه ... فـــيصيب حـــاصبه العـــدو فـيرجـم

ونظم شاعر ثالث حول نفس الموضوع يقول:

اني لاذكـــــر للـــــعباس مـــــوقفه ... بكـــربلاء وهـــام القـــوم يخـــتطف
يحـمي الحسـين ويحـميه عـلى ظـمأ ... ولا يـــــولي ولا يـــــثني فـيختلف
ولا ارى مـــشهداً يـــوماً كـــمشهده ... مـع الحسـين عـليه الفـضل والشرف
اكـــرم بـــه مـشهداً بـانت فـضيلته ... ومـــــا اضـــاع له افـعاله خـلف

هذا وان الكمية المحدودة من المـاء التـي جـاء بـها العـباس عليه السلام الى مـخيم الحسين عليه السلام والبالغة (٢٠) قربة لم تعدّ تكفي لشرب وارواء العدد الكبير من آل واصحاب الحسين والذي عددهم جميعاً مـا يـقرب مـن (٢٠٠) شـخص عـدا الخيول والابل التي جاءت معهم من الحجاز.

كما وانها كانت آخر ما تم الحصول عليه من الماء في كـربلاء حـتى مـقتل الحسين واهل بيته واصحابه في يوم عاشوراء.

لذا فقد امتدّ العطش بهؤلاء وشعروا بمرارته وقسوته بدءاً من اليوم الثامن من المحرم وحتى العاشر منه اي لمدة ثلاثة ايام متوالية.

ان هذا كان موقف اهل الكوفة[1] بمنع الماء عن الحسين وانصاره، بينما كان

---

(١) لقد تردد في هذا البحث لفظ «اهل الكوفة» او «القوم» لمرات عديدة باعتبارهم قد كـتبوا للحسين عليه السلام للقدوم اليهم للنضال معه ثم انقلبوا عليه ليصطفوا الى جانب النظام القائم وضـمن سرايا جيشه حتى قال المسعودي في مروجه: «وأهم ما في حركة الحسين ان كل من حاربه وتولى قتله كان من اهل الكوفة لم يحضره شامي واحد».
ولقد تم ذم وتقريع هؤلاء من قبلنا او من غيرنا عبر الزمن على فعلتهم هذه باعتبار انهم قد سحقوا

موقف الحسين عليه السلام بالمقابل هو انه سقى جيش الحر بن يزيد الرياحي في صحراء العراق الغربية، كما وسقى خيلهم عند ما كان يملك الماء.

كما وسقى من قبل ذلك الوقت الامام علي عليه السلام في صفين جيش معاوية عندما استولت فرسانه بالقوة بقيادة مالك الاشتر على الشاطئ (الشريعة) بعدما امتنع ورفض هذا الطاغية وجنوده من سقي جيش الامام عندما كان الماء في ايديهم وتحت هيمنتهم وسلطتهم.

مبادءهم وانضموا الى جانب معسكر الظلم والظالمين، حتى إنتشر لدينا مثل عنهم يقول:
«الكوفي لا يوفي» و«اغدر من الكوفي» «لا أمان لأهل الكوفة».
ولفرض حصر معنى اهل الكوفة الذين نعنيهم هنا، نقول ان الذين نقصدهم هم شرار اهل الكوفة وهم الذين عاشوا فيها قرب منتصف القرن الأول الهجري وبين وقت اتخاذها من قبل الامام علي عليه السلام عاصمة له والى ما بعد وقت استشهاد الحسين عليه السلام بقليل، وليس الذين يقطنونها الآن أو بعد الوقت الوارد آنفا.
ذلك لان اهل الكوفة الآن كلهم جميعاً لا يقلون حباً وولاءاً واخلاصاً للحسين واهل بيته من اي محب وموالي آخر في اي بقعة من العالم، ولا نجد بين صفوفهم من كان يقصدهم الامام علي عليه السلام حين طلب مصارفة عشرة منهم بواحد من اهل الشام والذي قال فيهم: «اخلاقكم دقاق وعهدكم شقاق ودينكم نفاق وماؤكم زعاق المقيم بين اظهركم مرتهن بذنبه والشاخص عنكم متدارك برحمة من ربه» كما وقال عنهم ايضاً: «لوددت اني لم اركم ولم اعرفكم، معرفة والله جرت ندما واعقب سدما، قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحاً وشحنتم صدري غيظاً وجرعتموني نغب التهام انفاساً وافسدتم علي رايي بالعصيان والخذلان».
كما ان الكوفة كانت على مرّ التاريخ احدى المدن المحسوبة في الولاء لاهل البيت إلا في فترات وظروف استثنائية، ولقد انجبت الكوفة ـ على مر الزمن ـ شخصيات علوية جاهرت بالولاء لعلي عليه السلام واولاده وافكاره، وقاومت طغيان الامويين وعسفهم بحد السيف وقدّمت، رقابها رخيصة في الدفاع والذود عن هذا الحب والولاء.

حيث اصرّ اصحاب علي هنا على معاملة القوم بالمثل إلا ان جواب الامام لهم كان: «لا نفعل ما فعل الجاهلون».

فهذه هي اخلاق وخصال ابناء هاشم وعبد المطلب، وتلك هي اعمال وافعال ابناء حرب وامية وبين هذه وتلك ما بين السماء والأرض لان الأناء ينضح دائماً بما فيه.

هؤلاء يسقون خصومهم واعدائهم بل ولابلهم وخيولهم وهم في قلب الصحراء حيث لا ماء ولا حياة، واولئك يردون جميلهم هذا بمنع الماء عن مناوئيهم بل وعن نسائهم واطفالهم ومرضاهم وهم بجنب وجوار النهر المتدفق ماؤه وتشرب منه الحيوانات والبهائم حينما تريد وقدر ما تريد.

والعجيب هنا ان سياسة منع الماء قد مارسها كل من الجد والاب والحفيد من بني امية بحق الجد والاب والحفيد من بني هاشم ـ وهكذا ينضح كل اناء بما فيه كما تقدم بيانه. ذلك لانها مسيرة واحدة من عائلة تمثل كل الجور والظلم والطغيان في مواجهة عائلة تمثل كل العدل والانصاف.

وبمقدار ما كانت العائلة الاولى تمثل الصفحة السوداء والقائمة من التاريخ، فان العائلة الاخرى (الثانية) كانت تمثل الصفحة البيضاء والناصعة منه.

وفي سقي العباس للماء في كربلاء نظم الشيخ محسن ابو الحب الكبير يقول:

اذا كان ساقي الحوض في الحشر حيدر ... فساقي عطاشى كربلاء ابو الفضل
على انه ساقي الناس في الحشر قلبه ... مريع وهذا بالظما قلبه يغلي
أخي كنت لي درعاً ونصلاً كلاهما ... فقدت فلا درعي لديّ ولا نصلي

بدء العد التنازلي

نشير هنا الى ان ابن سعد قد كتب الى سيده ابن زياد في ـ النخيلة[١] ـ والتي انتقل اليها بعد وصول الحسين عليه السلام ارض كربلاء ليكون قريباً من مسرح العمليات ـ اثر مقابلاته المتكررة مع الحسين ـ كتب اليه خطاباً عاجلاً ربما كان لجسّ نبضه وربما تخلصاً من المهمة القذرة التي انيطت بكاهله يتضمن ادعاءات واقوال منسوبة للحسين لم يتفوّه او يقول الأخير عليه السلام بها جملة وتفصيلاً ولا من قريب او بعيد.

ومما كتب له في خطابه هو: «ان الحسين قد اعطاه العهد في ان يرجع الى المكان الذي خرج منه او ان يسير الى ثغر من ثغور المسلمين ليكون رجلاً منهم او ان يأتي الى يزيد ويضع يده في يده».

وقد ختم خطابه هذا بعبارة: «وفي كل هذا الرضا لكم والصلاح للأمة».

---

(١) النخيلة: وقد سميت بهذا الاسم لكثرة نخيلها، وهي موضع قرب الكوفة ومعروف في الوقت الحاضر باسم «جسر العباسيات» التابع لناحية الكفل بمحافظة بابل، وكانت النخيلة حينذاك قاعدة عسكرية متقدمة لتجهيز وانطلاق الجيوش، وقد كان الأمام علي عليه السلام يعسكر فيها عندما كان يتهيأ للخروج الى الحرب.
كما واتخذها ابن زياد معسكراً له ولبث فيها حتى جاءه من يخبره بشهادة الحسين عليه السلام على ارض كربلاء حيث تركها وعاد مسرعاً الى الكوفة لاتخاذ الاحتياطات الاحترازية في حفظ الأمن واستتابه قبل ان يفلت الزمام من يده حين يشيع خبر استشهاد الحسين وآله واصحابه بين ابناء الكوفة.

وقد ظل ابن سعد ينتظر الجواب من سيده ليرى ما يقوله ويفعله حوله.

وعند قراءة ابن زياد ما جاء في خطاب قائد جيشه ظن أو انه قد حصل لديه اقتناع كامل بان هناك تحولاً كبيراً وخطيراً قد حصل في موقف الحسين من النظام القائم، وربما قد جاء هذا كنتيجة طبيعة للحصار الظالم الذي طلب فرضه عليه، او بسبب ضعفه وقلة اعوانه ومناصريه او بسبب آخر قد يكون غير هذا او ذاك.

لذا فقد عزم على الاجابة بالايجاب والموافقة على ما جاء في خطاب ابن سعد، إلا ان رفاق ومستشاري الضلالة ضمن حاشية ابن زياد حالوا دون تحقيق هذه الخطوة، رغم ان المسألة هي برمتها موضوعة ومدسوسة من صنع ابن سعد ولا اساس لها من الصحة قليلاً او كثيراً.

ولقد كان ضمن حاشية السوء لدى ابن زياد الكثير من الموتورين والمنتفعين ومنهم على سبيل المثال الشمر بن ذي الجوشن ـ ويعدّ هذا الوغد من الد واشد اعداء اهل البيت.

حيث اشار هذا الأخير على بن زياد بعد ان سمع مقولة ابن سعد كاملة حول الحسين، اشار اليه وقال بالحرف: «لقد امكنك الله من العدو ويمكنك هنا ان تسيّره الى الطاغية يزيد، ادعه اولاً لينزل على حكمك هو واصحابه فان عاقبت كنت ولي العقوبة وان عفوت كان ذلك لك».

فاستصوب ابن زياد هذا الرأي وقر قراره على ان يكتب رسالة جوابية عنيفة الى مرؤسة ابن سعد يضمنّها ما اشار اليه الشمر، وبالفعل كتب اليه رسالة جاء في بعضها:

«انه لم ابعثك لتكف عن الحسين او لتمنيه بالسلامة والدعة والبقاء ولا لتكون

له عنده شفيعاً، فاعلم انه اذا نزل الحسين واصحابه على حكمي فخير ما حصل وإلا فازحف عليهم جميعاً حتى تقتلهم عن بكرة ابيهم وتمثل بهم ايضاً فانهم يستحقون ذلك، واذا ما قتلت الحسين فاوطئ الخيل صدره وظهره فانه ـ عاق شاق قاطع ظلوم ـ ولتكن على علم ـ يابن سعد ـ بانك ان مضيت على امرنا جزيناك جزاء السامع المطيع وان ابيت فاعتزل عملنا وجندنا ودع الشمر ليحلّ مكانك في قيادة جيش البغي والعدوان فانه قد امّرناه امرناه والسلام».

وجاء الشمر بالرسالة هذه الى ابن سعد على عجل ـ وفي ٨ محرم على وجه التحديد ـ وقرأها من الفها الى يائها حيث سقط في يديه، وحين سأله هذا الوغد مالذي سيفعله الآن فاجاب.

«لقد افسدت علينا امراً كنا نرجو صلاحه والله لن يستسلم الحسين ابداً».

فاجابه الشمر: «امضي لأمر امرك وقاتل او فخل بيني وبين الجند».

فقال ابن سعد بعد إن حسم موقفه: «انا أتولى تنفيذ ذلك».

وهنا طلب ابن سعد من الشمر ان يتولى قيادة افراد المشاة (الرجالة) في جيشه.

واراد الشمر بعد ذلك ان يلعّب لعبته بفت عضد وقوة تماسك جيش الحسين والتأثير على معنوياته واضعاف شوكته وذلك ـ بتصوره ـ عن طريق تقديم الأمان للعباس بن علي واخوته الثلاثة بسبب التقاء نسب ام البنين (والدة العباس) مع نسبة، حيث يرجعان الى عشيرة وقبيلة مشتركة وواحدة هي كلاب.

ولم يفهم الشمر او يعلم بان القضية التي جاء من اجلها العباس الى كربلاء هي اسمى واعظم وارفع من قضية النسب والانتماء القبلي، وان اخلاص العباس وايمانه بالطريق الذي يسير عليه اخوه الحسين لا يمكن لاية قوة غاشمة في العالم

ولا لأية اغراءات مهما عظمت ان تزيحه او تحركه عنه وان كان قيد انملة.

ففي صباح (٩محرم) تقدّم هذا الوغد ليقف امام معسكر الحسين ـ بعد ان استحصل الأذن على ذلك من قبل ـ واخذ يصيح برفيع صوته:

«اين بنو اختنا؟ اين العباس واخوته».

فقال الحسين لأخوته: «كاني اسمع فتى يناديكم».

فقال العباس واخوته: «انه الشمر».

فقال الحسين: «اجيبوه ولو كان فاسقاً فانه بعض اخوالكم».

فقال العباس واخوته بعد ان تقدموا الى قرب مكان الشمر: «ما شأنك وما تريد يا بن ذي الجوشن».

فاجاب: «يا بني اختي اخرجوا فأنتم آمنون ولا تقتلوا انفسكم مع الحسين والزموا طاعة يزيد».

فقال له العباس عليه السلام بحدّة: «لعنك الله يا شمر ولعن امانك وقبحت وقبح ما جئت به، لئن كنت خالنا ـ كما تدعي ـ فكيف تؤمننا وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله لا امان له، وتأمرنا ان ندخل في طاعة اللعناء واولاد اللعناء[1]، إن امان الله خير من امان ابن سمية».

وتكلم اخوة العباس بنحو كلامه حيث اغلظوا له القول ثم رجعوا.

وهكذا ضرب العباس (واخوته) بذلك مثلاً اعلى في الاباء والشمم والتضحية والتمسك بالمبادئ السامية الشريفة.

---

(١) هذه اشارة ـ كما ورد في تاريخ الطبري ـ الى لعن الرسول صلى الله عليه وآله لابي سفيان ومعاوية وابنه واخيه يزيد عندما كان الاول يركب حماراً والآخر يقوده والثالث يسوقه.

وعن هذه الحالة نظم الشاعر يقول:

ابـــو الفـــضل رد امـــان العـــدى وســـار الى المـــوت مســـتعجلا
وقـــال اخســـئوا يـــا عـــبيد الورى فـــلســـنـــا نـــطيـــع شرار المـــلا
فـــهيهات نـــذعن لابـــن الدعـــي وحكـــم الطـــليق لئـــيم المـــلا
ألا حـــبذا المـــوت مـــوت الكـــرام عـــلى العـــز والذل مـــنّا فـــلا

وعاد الشمر بدوره الى حجره خائباً وبخفي حـنين ومـغضباً بـعد ان خيّب العباس آماله واسقطها الى القعر حيث ظنه من طراز اصحابه الممسوخين وزمرته المبتذلين الذين بايعوا نفوسهم للشيطان رخيصة وللطغاة زهيدة ان لم تكن من دون مقابل.

وبعد رجوع العباس عليه السلام الى معسكر أخيه بعد اختتام لقائه مع الشمر وافحامه باغلظ الكلام واشده، جاءه زهير بن القين ـ وهو احد قادة الحسين ـ لمـقابلته لغرض رفع معنوياته بعد ملاقاته هذه للشمر حيث قال للعباس:

«أن اباك الامام علياً عليه السلام كان قد طلب من اخيه عقيل ان يختار له امرأة ولدتها الفحول من العرب ليتزوجها لتلد له ولداً شجاعاً ينصر ابنه الحسين في كربلاء، ولقد ادخرك ابوك الامام علي عليه السلام لمثل هذا اليوم فلا تـقصر فـي نـصرة أخـيك وحماية اخوانك والذود عن الرسالة التي جاءوا من اجلها الى هذا المكان».

اما جواب العباس عليه السلام لزهير على هذا النداء والتشجيع فكان بالحرف:

«اتشجعني يا زهير في مثل هذا اليوم، والله لأرينك مع هؤلاء الظالمين شيئاً ما رأيته من قبل».

هذا ولقد كان ما قاله العباس آنفا حقيقة وواقعاً حيث اظهر العباس بالفعل في الدفاع عن اخيه الحسين عليه السلام او في جلب الماء من نهر الفرات (العلقمي) لسقي

الاطفال والنسوة الطاهرات من فنون الشجاعة والبسالة ما اثار اعجاب الجميع وغدا بذلك المثل والرمز في الاقدام والنخوة والايثار يقتدي به الآخرون ويتأسى به المجاهدون في كل وقت ومكان.

والعجيب هنا هوان زهير بن القين والذي كان الى وقت قريب عثماني الهوى وكان يبتعد ويتحاشى حتى عن مجرد ملاقاة الحسين ومواجهته في خلال مسيرته التاريخية الطويلة من مكة الى العراق بعد ادائه لفريضة الحج، يصبح هذا العلم والرائد هو الذي يحث الآخرين ويدعوهم بقوة وعزيمة الى نصرة الحسين عليه السلام والذب عن حياضه وعدم التقصير في ذلك من بعيد او قريب.

والاعجب ـ من مقولة زهير ـ هو موقف الحر بن يزيد الرياحي الذي قَدِم على راس جيش يقف الحر بقوة وعزم امام جند ابن سعد ـ وقبل دقائق معدودة من بدء المنازلة الكبرى والتحام الجيشين ـ يقف ليعلن امام الاشهاد توبته وندمه على ما بدر منه سابقاً من اعمال وانه قرر من هذه اللحظة والدقيقة الانحياز الكامل والوقوف الى جانب صف الحسين. ثم يطلب من قوات الغدر ان يتأسوا به ويكونوا مثله في هذا المجال خصوصاً وانهم دعوه للمجيء اليهم ثم احاطوا به ليقتلوه ويمنعوه من التوجه في بلاد الله العريضة كما ومنعوه ومن معه من ماء الفرات، وها هو واهله قد صرعهم العطش فبئسما خلفتم محمداً في ذريته لا سقاكم الله يوم الظمأ ان لم تتوبوا وتفزعوا عما انتم عليه.

ثم يشتد الحر في خطابه ليقول لجيش ابن زياد وقيادته بصراحة وبرفيع صوته.

«لأمكم الهبل والعبر»[١].

وهكذا نرى بجلاء كيف تؤدي العقيدة ثمارها وكيف يؤدي الاخلاص والايمان بالقضية اكلهما كاملة وكيف يؤدي استيقاظ الضمير مفعوله واثره.

وحل نهار التاسع من المحرم (ويدعى تاسوعاه) والوضع في جبهة كربلاء من الناحية العسكرية والنفسية يزداد تعقيداً وتفاقماً وبات يسير من سيء الى اسوء.

فالقوات العسكرية والامدادات في العتاد والغذاء الخاصة بجيش ابن سعد الباغي متواصلة ومستمرة على قدم وساق ومن دون انقطاع وكأنهم سيواجهون جيوش جرارة وكثيفة للفرس او الترك او الروم او الديلم.

وفي الجانب الآخر حيث معسكر الحسين عليه السلام والذي كانت كل مهماته صعبة ومعقدة حيث ان الحصار يوشك ان يخنقه ويعصره وان العطش يكاد يقتل الصغير والكبير والنساء والرجال والمرضى والأصحاء.

وعند عصر هذا اليوم طلب ابن سعد من جنوده وقواته المحتشدة الاستعداد والتهيؤ للحركة والزحف على الحسين واشعال فتيل الحرب ضده حيث خاطبهم بالقول:

«يا خيل الله اركبي وبالجنة ابشري»

وعلا الصياح وارتفعت الغبرة وتوتر الموقف، وهنا اوعز الحسين لأخيه العباس بالذهاب اليهم لاستطلاع الحال ولمعرفة حقيقة ما يريدون وينوون عمله من كل ذلك.

---

(١) الهبل هو الثكل والعبر هو البكاء وجريان الدمع، ومعنى العبارة: ثكلتكم امهاتكم وبكت على رحيلكم، وهي اسوأ والذع الشتائم التي عرفها العرب واستعملها في الجاهلية والاسلام.

وبالفعل توجه العباس عليه السلام مع (٢٠) فارساً من ضمنهم زهير وحبيب بن مظاهر الى الامام ووقفوا امام جيش البغي والعدوان.

وهنا سأل العباس قائده ما يريدونه من هذا النفير ومن هذا الاستعداد الكامل لقطعات الجيش.

فاجاب ابن سعد:

«انه قد ورد للتو أمرٌ من الامير في الكوفة يطلب منكم النزول على حكمه وإلا فشنّ الحرب عليكم حالاً».

وعاد العباس (ومن معه) ليشعر أخاه الحسين بالموقف الجديد لابن سعد وجيشه المتأهب للقتال.

فطلب منه الحسين عليه السلام العودة الى ابن سعد واستمهاله هذه العشية الى غد لغرض ان نصلي لربنا هذه الليلة وندعوه ونستغفره لأن الله سبحانه يعلم مدى حبنا للصلاة وتلاوة القرآن وكثرة الدعاء له والأستغفار.

فرجع العباس اليه واستمهل منه هذه العشية فقط، حيث ان العباس ـ كما قلنا في مكان آخر ـ هو رجل المهمات الصعبة في معسكر كل مهماته كانت صعبة وشاقة.

ولقد سأل ابن سعد بعض مساعديه عن رايهم حول هذا الطلب فاجابوه:

«سبحان الله لو كان هؤلاء من الديلم او الترك ثم سألوك هذه المسألة لكان ينبغي لك ان تجيبهم اليه من دون إبطاء او تأخير».

عدا الشمر بن ذي الجوشن فانه انفرد بتنفيذ مهمته القذرة حيث قال:

«لو كنت الامير لم انظره».

وعندها ونزولاً عند قرار الاكثرية ـ وافق ابن سعد على تأجيل موعد المنازلة الى صباح الغدكآخر مهلة وانها لن تمدّد مرة اخرى لأي سبب كان، حيث عبّر عن ذلك بقول للعباس:

«انا اجلناكم الى غد فان استسلمتم سرحنا بكم الى ابن زياد وان ابيتم فلسنا تاركيكم».

وجاء العباس الى اخيه الحسين ليشعره بهذه الموافقة.

وفي الطرف الآخر طلب ابن سعد من افراد جيشه ـ وقد قدم الليل ـ ان ينزلوا عن خيولهم وان يكونوا في صباح الغد على اهبة الاستعداد لشن الحرب وبدء النزال ضد الحسين واصحابه الكرام.

وهكذا ارجئ القتال بموافقة الطرفين الى اليوم التالي وهو اليوم العاشر من المحرم الحرام لعام (٦١هـ).

نعم ارجئ القتال بين كل قوات البغي والعدوان بقيادة ابن سعد وبين كل جند العدل والانصاف والحرية بقيادة الامام الحسين عليه السلام ونائبه ومساعده وذراعه اليمنى ابي الفضل العباس عليه السلام.

وهكذا بدأ العدّ التنازلي في التناقض ساعة بعد ساعة ودقيقة إثر اخرى لتصبح ساعة الصفر بالافق او على الابواب ان لم تكن قرب تناول اليد.

ان الذين يبايعونك

عند ما جاء المساء (ليلة عاشوراء) اراد الحسين عليه السلام ان يدع اصحابه واقرباءه على بيّنة من امرهم قبل بدء المنازلة وتشابك السيوف واطلاق السهام ورمي الرماح.

لذا فقد جمع عليه السلام اصحابه واقرباءه وخطبهم خطبة هامة ومؤثرة بما ليس لها نظير في مثل تلك الساعات الحاسمة والحرجة والدقيقة من حياة ملحمة كربلاء، ومما جاء في خطابه:

«لقد نزل بنا ما قد ترون وان الدنيا قد تغيّرت وتنكرت وادبر معروفها، ألا ترون الى الحق لا يعمل به والى الباطل لا يتناهى عنه ليرغب مؤمن في لقاء ربه محقاً، فاني لا ارى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما.

ألا واني لا اعلم اصحاباً خيراً واوفى من اصحابي ولا اهل بيت أبرّ رحماً واوصل ولا افضل من اهل بيتي فجزاكم الله عني جميعاً خيرا فقد بررتم واعنتم وانكم لتعلمون ان القوم لا يريدون وغيري ولو اصابوني لتركوا طلب غيري، واني لأظن ان يومنا مع هؤلاء الاعداء غدا، واني قد اذنت لكم جميعاً فانطلقوا في حل من بيعتي وفي غير حرج وليس عليكم مني ذمام، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً فتفرقوا في سواد هذا الليل حتى يفرّج الله وذروني فانهم لا يريدون غيري ولو اصابوني لهوا عن طلب غيري، فجزاكم الله جميعاً خيراً».

ولقد جسد هذا الموقف الفريد والتاريخي الشاعر السيد الحميري حيث نظم:

لست انســـاه حـــين ايـــقن بـــالمو ... ت دعـــاهم وقـــام فـــيهم خـــطيبا
ثم قـــال ارجـــعوا الى اهـــلكم ليـ ... ـس ســـواي ارى لهـــم مـــطلوبا
فـــاجابوه والعـــيون سكـــوب ... وحشـــاهم قـــد شبّ مـــنها لهـــيبا
اي عـــذر لنـــا غـــدا حـــين نـــلق ... جـــدك المـــصطفى ونحـــن هـــروبا

اما جواب اصحابه واهل بيته بعد ان فرغ القائد من القاء كلمته فلم يكن جواب الأذلاء ولا ردّ الجبناء والضعفاء رغم ان فرص النجاة كانت امامهم مفتوحة وسهلة.

انما كان جوابهم الحاسم والنهائي هو صرخة رجل واحد وبلسان واحد وصوت واحد ومضمونه هو الدفاع والذود عن حياض سبط الرسولﷺ حتى الرمق الاخير والتضحية بالارواح رخيصة دونه.

ذلك لان العقيدة شجرة لا تسقى من دون دماء معتنقيها ولا تتغذى بغير رفاتهم فأن لم تسق وان لم تغذ لن تؤتي اكلها للطالبين ولن تنشر ظلالها للقائلين.

وكنماذج حية لموقف الاصحاب واهل البيت ازاء خطاب الحسينؑ الانف الذكر نشير الى الى أن احدهم وهو زهير بن القين والذي نهض من مكانه وقال:

«والله لوددت اني قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتى اقتل الف مرة وان الله عز وجل يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن انفس هؤلاء الفتيان من اهل بيتك».

كما وقام مناضل آخر وهو مسلم بن عوسجة الاسدي وقال بصوت عال:

«انحن نتخلى عنك ولما نعذر الى الله في اداء حقك، اما والله لا افارقك حتى اكسر في صدورهم رمحي واضربهم بسيفي ما ثبت قائمة بيدي، ولو لم يكن معي سلاح اقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة دونك حتى اموت معك».

وقال مجاهد ثالث وهو سعيد بن عبدالله الحنفي وبكل قوة وايمان:

«والله لا نخليك حتى يعلم الله انا قد حفظنا غيبةً رسول الله ﷺ فيك، والله لو علمت اني اقتل فيك ثم احيا ثم احرق حياً ثم اذرى ويفعل ذلك بي (٧٠) مرة ما فارقتك حتى القى حمامي دونك، انما هي قتلة واحدة ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها ابداً».

وقام بطل رابع وهو عابس بن ابي شبيب الشاكري الهمداني[١] ليقول برفيع صوته:

«والله لو قدرت على ان ادفع عنك الضيم والقتل بشيء اعزّ من نفسي لفعلت».

وبعد هذا ينتقل الكلام من دائرة الاصحاب الى محيط الاقرباء ومن دائرة الافراد والاشخاص الى محيط الجماعات والفئات.

حيث وقف هنا بنو عقيل ليقولوا للحسين عليه السلام قوله رجل واحد وبصوت واحد:

«لا والله لا نفعل ولكن نفديك بانفسنا واموالنا واهلينا نقاتل حتى نردّ موردك فقبح الله العيش بعدك».

كما واعلنت فئة اخرى ـ وكان على راسها العباس بن علي ـ عن مكنونات قلوبها بقولها: «لم نفعل ذلك لنبقى بعدك لا ارانا الله ذلك ابدا».

وهكذا تعدّ كل هذه امجد بيعة في تاريخ التضحية والفداء بيعة على موت محقق لانه ليس هناك دون الموت ادنى احتمال، فهم بذلك قد حملوا مصائرهم فوق اكفهم ومضوا الى حتفهم في حبور وسرور دونه كل سرور، مع انه كان في

---

(١) لقد عرفت عشيرة ـ بنو شاكر ـ والتي هي بطن من همدان اليمانية بالشجاعة والبسالة، وفيهم يقول الامام علي عليه السلام: «لو تمت عدتهم الفا لعبد الله حق عبادته».

وسع كل واحد منهم ان يتجنّب القتل بكلمة واحدة يقولها او بخطوة صغيرة يخطوها.

وكأن الشاعر كان يقصد هذا المعنى حين نظم:

نفوس ابت إلا تراث نبيهم ... فهم بين موتور لذاك وواتر
لقد الفت ارواحهم حومة الوغى ... كما انست اقدامهم بالمنابر

كما ونظم شاعر آخر وهو السيد رضا الهندي في تصوير هذا المشهد العظيم يقول:

وتنادت للذب عنه عصبة ... ورثوا المعالي اشيباً وشبابا
من يفتديهم للكريمة ينتدب ... منهم ضراغمة الاسود غضابا
أسد قد اتخذوا الصوارم حلية ... وتسربلوا حتى الدروع ثيابا
وجدوا الردى من دون آل محمد ... عذباً وبعدهم الحياة عذابا

وقال شاعر ثالث حول الموضوع نفسه:

نصروا ابن بنت نبيهم طوبى لهم ... نالوا بنصرته مراتب سامية

هذا وحين لمس الحسين عليه السلام صدق نية اصحابه واقربائه واخلاصهم غير المحدود وغير المشروط في مفاداة ارواحهم رخيصة دونه، اشعرهم بغامض القضاء الذي لا يردّ ولا يبدل بقوله عليه السلام لهم بصراحة[1].

---

(١) نشير الى ان هذا الذي قاله الحسين عليه السلام وما اعلنه جده الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله ووالده الامام علي عليه السلام من قبل حول استشهاده في ارض كربلاء يندرج ضمن الكرامات والخوارق الممنوحة لهم والتي تفيد العلم بوقت ومكان وتفصيل بعض الحوادث المهمة والحالات الخاصة، حيث تندرج كل هذه من الوقت الحاضر ـ بالنسبة لسائر الخلق او اولي العلم والفهم منهم ـ ضمن نطاق التنبؤ والتوقع والاحتمال، وقد تكون هذه صحيحة او غير صحيحة، ناهيك عما اخبره الله تعالى

«انيِ سأقتل غداً وستقتلون كلكم ولا يبقى منكم احد حتى القاسم وعبدالله الرضيع عدا ولدي زين العابدين، لان الله سبحانه لا يريد ان يقطع نسلي منه»[1].

ولقد اجاب الكل تعقيباً على كلام سيدهم الحسين عليه السلام وبلسان واحد:

«الحمد لله الذي اكرمنا بنصرك وشرّفنا بالقتل أو لا ترضى ان نكون معك في درجتك يا بن رسول الله».

واثرها دعا الحسين عليه السلام لهم بالخير والتوفيق والصلاح.

وكاني بشعور هؤلاء وفقاً لما نظمه الشاعر:

ولما دنت آجالهم رحبوا بها ... كأن لهم بالموت بلغة آمل
فاتوا وهم ازكى الانام نقيبة ... واكرم من يبكى له بالمحافل
عطاشى بجنب النهر والماء حولهم ... يباح الى الوراد عذب المناهل
فلم تفجع الايام من قبل يومهم ... باكرم مقتول لألئم قاتل

هذا ولقد سمعن النسوة كل الذي جرى بين الحسين عليه السلام وبين اهل بيته واصحابه، فاخذن بالبكاء ولطمن الخدود وشققن الجيوب، وهنا دخل الحسين عليه السلام عليهن وقال لهن:

«انظرن اذا انا قتلت لا تشققن عليّ جيباً ولا تخمشن وجهاً ولا تقلن هجرا وصبراً يا بني عمومتي وصبراً يا اهل بيتي، لا رأيتم هوانا بعد اليوم».

لرسوله صلى الله عليه وآله من تفصيلات لبعض الحوادث، وقيام الرسول باشعار ذلك لاعزّ اقربائه واصحابه.

(١) نشير الى انه «ليس للحسين السبط عقب إلا منه وهو ابو الحسينين كلهم لانه كان الوحيد من الذكور من اولاد الحسين عليه السلام على قيد الحياة بعد استشهاد الحسين» سيرة واقوال زين العابدين ـ جميل ابراهيم حبيب.

ثم أمر الحسين عليه السلام اصحابه في تلك الساعات الاخيرة والمظلمة من الليل ان يقاربوا بيوتهم من بعض وان يدخلوا اطناب الاقبية بعضها في بعض حتى تصبح كانها خباءٌ واحد ليستقبلوا القوم من وجه واحد وجهة واحدة والبيوت من ورائهم.

وامر عليه السلام ايضاً ـ في تلك الساعة ـ بحفر خندق عميق (ساقية) خلف هذه البيوت وان يملأ بالحطب والقصب الجاف ليمكن اشعاله عند بدء الحرب او عند الضرورة ليصبح ساتراً منيعاً يتعذر ان تعبره او تقتحمه خيول الاعداء، وليكون القتال والنزال من وجه وطرف واحد وطرف واحد بسبب عدم التكافؤ في عدد القوات بين الطرفين، وبذلك لن تكون هناك إلا جبهة واحدة اذا ما اشتعلت الحرب وتشابكت السيوف وحمي الوطيس[1].

هذا وكانت خيالة ابن سعد ـ في تلك الليلة الظلماء ـ تدور من وراء مخيمات الحسين عليه السلام بل من كل جوانبها حتى جعلوها (المخيمات) في مشكل الحلقة وذلك لرصدها ومراقبتها حتى الا يفرّ احد من داخل المخيمات الى الخارج، كانما كانو ينوون ويريدون من عملهم هذا قتلهم جميعاً والقضاء عليهم، ومن دون ان يسمحوا او يدعوا احداً منهم للأفلات او الهرب من الطوق الذي صنعوه الى الخارج.

اما ما تبقى من الليل فقد امضاه الاصحاب وأهل البيت في العبادة وفي الركوع

---

(١) ان تقريب البيوت من بعضها او حفر خندق من خلفها وملئه بالحطب والقصب لاشعاله عند الضرورة ليدل على اطلاع الحسين عليه السلام على فنون الحرب واساليبها وتكتيكاتها خصوصاً وان الحسين عليه السلام كان قد شارك مع والده الامام علي عليه السلام في معاركه ضد الناكثين والقاسطين والمارقين، حيث كانت له في هذه المعارك مواقف مميزة يسار اليها بالبنان.

والسجود والقيام والقعود والدعاء والاستغفار لله تعالى. وهم اكثر انشراحاً وسروراً بالمصير المشرق الذي ينتظرهم وهم ايضاً «فرحين مستبشرين بقرب لقاء الله وباستشهادهم وهم يضحكون ويتضاحكون»[١].

فضلاً عن «ان خصومهم في تلك كانوا اشراراً.. اشراراً من الرأس الى القاع، ولم يكن فيهم خيّر واحد ولا برّ واحد يمكن ان يشكل وجوده بينهم إمارة احتجاج او علامة استفهام»[٢].

اما مهمة العباس عليه السلام في تلك الليلة او الساعة فكانت حفظ بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته والاصحاب ليجدوا نصيبهم من الراحة او العبادة، حيث ركب جواده وتقلّد سيفه واخذ يطوف حول المخيمات لحراستها خشية ان يتسلل اليها احد من اعوان الشيطان في الظلام او في غفلة من الزمن لحرتها او استفزاز من فيها او ممارسة بعض الاعمال التخريبية الأخرى داخلها.

وعن حالة هؤلاء الاصحاب واهل البيت نظم الشاعر:

لله قوم اذا ما الليل جنهم ... قاموا من الفرش للرحمن عبادا
ويركبون مطايا لا تملهم ... اذا هم بمناد الصبح قد نادا
الأرض تبكي عليهم حين تفقدهم ... لانهم جعلوا للارض اوتادا

كما ونظم شاعر آخر يصف حالة هؤلاء الكرام:

وقد اخذت في نينوى منهم النوى ... ولاح بها للغدر بعض العلائم
غدا ضاحكاً هذا وذا متبسماً ... سروراً وما ثغر المنون بباسم
لقد صبروا صبر الكرام وقد قضوا ... على رغبة منهم حقوق المكارم

---

(١) ابو الشهداء ـ عباس محمود العقاد.

(٢) ابناء الرسول في كربلاء ـ خالد محمد خالد.

ونظم شاعر ثالث حول الموضوع يقول:

السابقون الى المكارم والعلى والحائزون غداً حياض الكوثر
لولا صوارمهم ووقع نبالهم لم يسمع الأذان صوت مكبر

ها قبل ساعة الصفر

لم تمض إلا ساعات معدودة على ارض الطفوف والتي ضمّت فريقان احدهما باع نفسه وحياته رخيصة لله تعالى من اجل اعلاء كلمته ونشر رسالة، وآخر باع نفسه للشيطان من اجل القضاء على هذه الكلمة واخماد وسحق هذه الرسالة «وفي سبيل اكذوبة صغيرة اسمها يزيد وجريمة منكرة اسمها ابن زياد»[١].

نم لم تمض إلا ساعات قليلة واذا بفجر عاشوراء لعام (٦١هـ) يطلّ على ربوع كربلاء ومن ثم اشرقت الشمس وارسلت كل اشعتها وحرارتها الى هذه الارض لتزيد من سخونتها وحرارتها التي وصلت اليها.

هذه الارض التي ستنتقل بعد فترة جد قصيرة من ارض جرداء قاحلة لا يعرفها احد ولم يسمع عنها انسان، تنتقل الى كعبة ثانية ومنار للحرية والتضحية لا فقط لأهل المنطقة او قطر العراق بل لكل العالم من المحيط الى المحيط ومن القلب الى القلب.

وكذلك لا لجيل واحد وهو الذي عاصر احداث هذه الارض وشهر وقائعها عن كتب او سمع انباءها عن بعد وانما لكل الاجيال والسلالات والعصور وفي هذه القارة عن العالم او في القارات الأربع الاخرى.

هذه الارض التي خطّ الحسين عليه السلام رمالها وشعابها صفحة لامعة من تاريخ

---

(١) ابناء الرسول في كربلاء ـ خالد محمد خالد.

الانسانية وطوى وقضى على عرش كانت دعائمه الجور والاستبداد والطغيان.

هذه الارض التي كانت خارج التاريخ ثم جاء الحسين عليه السلام اليها ليدعها تدخل من بعده التاريخ ولكن من اوسع ابوابه.

لقد صلى الحسين عليه السلام باصحابه الفجر (الصبح) ليوم عاشوراء لعام (٦١هـ) وهو يوافق عام (٦٨٠م) وكان يوم الجمعة ـ وقيل يوم الاثنين ـ وبعد الصلاقة قام الامام خطيباً ليلقي في اصحابه واهل بيته حيث القى عليهم كلمة موجزة إستهلها بحمد الله والثناء عليه اجزل الثناء ثم قال:

«ان الله تعالى قد اذن في قتلي وقتلكم في هذا اليوم فعليكم بالصبر والقتال».

ثم بدأ للتحضير للصفحة (المرحلة) الرابعة من معركة الكفاح والنضال ضد قوى الظلم والجور عن طريق صف واعداد رجاله للحرب والمنازلة تمهيداً لنزولهم الى ميدان المعركة والنزال.

لقد كان كل رجال الحسين (٧٢) شخصاً بين فارس وراجل حيث كان منهم (٣٢) فارس و (٤٠) راجل «ما على وجه الارض يومئذٍ لهم شبه» كما يصفهم الحسن البصري التابعي المعروف (ت ١١٠هـ)[1]، وكانوا فضلاً عن ذلك قمة الشهادة والفداء والنخوة والايثار وهم معدودون في علم الله ومعروفون باسمائهم قبل شهاداتهم، وانهم لم ينقصوا رجلاً ولو خذلهم العالم باسره كما ولم يزدادوا آخر ولو نصرهم الخلق كله.

ان «هؤلاءهم انصار الحسين جميعاً بضعة عشرات من الرجال يقفون في

(١) ان سيرة الحسن البصرى وعلاقته بالتصوف مبسوطة في كتابنا «تاريخ التصوف في الاسلام».

وجه الآلاف ويلح عليهم العطش والضيق وينتظرون الموت واحداً واحدا وكلهم اطمئنان الى نيل الموت وجلال الشهادة»[١].

علماً بان هذه القلة المؤمنة كانت كفؤاً لتلك الكثرة التي تملك الكثير من العتاد والسلاح والامدادات العسكرية والغذائية والتي لا تقف هذه ولا تنضب لحظة واحدة.

هذه القلة بعددها وعدتها كانت قوية وصلبة وكبيرة وعملاقة في ايمانها ويقينها، حيث لم تركع ولم تستسلم، بل صمدت وقاتلت تحت لواء الحسين وفي ظله ببسالة عجيبة وشجاعة نادرة حتى آخر جندي وآخر سيف وآخر سهم و«آخر طلقة» بالمفهوم الحديث.

ذلك لان هدفها لم يكن احراز نصر عسكري مؤقت او نجاح تكتيكي لفترة بقدر ما كان تصحيح انحراف عريض بعد ان اصبح تقويمه غير ممكن إلا عن طريق القيام بعملية انتحارية جماعية.

لذا فأن «اغرب ما في ثورة الحسين وصحبه على حكم يزيد بن معاوية انهم كانوا يعلمون مصائرهم قبل الاقدام عليها»[٢].

ويصف احد زعماء جيش ابن زياد هذه القلة المؤمنة وصفاً دقيقاً يقول فيه:

«أثارت علينا عصابة ايديها على مقابض سيوفها كالأسود الضارية تحطّم الفرسان يميناً وشمالاً وتلقى بنفسها على الموت لا تقبل الامان ولا ترغب في مال، ولا يحول بينها وبين حياض المنية او النصر فلو كفننا عنها رويداً لاتت على

---

(١) الامام علي صوت العدالة الاجتماعية ـ جورج جرداق.

(٢) الحسين بن علي ـ محمد كامل حسن.

نفوس العسكر بحذافيرها».

لقد وضع الحسين عليه السلام على رأس ميمنة قواته زهير بن القين، بينما اسند ميسرته الىٰ حبيب بن مظاهر الاسدي، وقد بقّى هو في القلب لادارة المعركة وتوجيهها عن كثب.

١ اما رايته[1] فقد اودعها عند اخيه ابي الفضل العباس لانه قمر بني هاشم واكفأ واشجع الرجال جميعاً واثبت للطعن واشد مراساً من سواه، حيث كان الحسين عليه السلام يعتبره ويعدّه ذراعه الأيمن وساعده القوي الامين١

وانما اودع الراية الى العباس وذلك لان من عادة العرب عند الحرب ان يدعوا الراية عند اشجع رجل في الجيش اذ عليه ان يحتفظ بها مرفوعة دائماً وهو في وسط مجموع الاعداء، حيث يرفعها بيد ويحارب باليد الأخرىٰ.

ولهذا السبب اختار الحسين اخاه العباس لحمل رايته لانه كان ـ وكما ستثبت الوقائع ـ الاقوىٰ والاشجع من الجميع في القيام بهذه المهمة.

وعليه فكما كان سيف الحسين اطول سيوف الحق والتاريخ فان راية العباس

---

(١) ان الفرق بين الراية واللواء، هو ان الراية هي العلم واللواء دونها، فالراية والتي لا يحملها إلا الشجعان والاكفاء والأوفياء في العسكر ـ كانت مع العباس والألوية اودعت بيد قادة الميمنة والميسرة والقلب.

وعن الراية ومكانتها ينقل عن الامام عليه السلام قوله: «لا تميلوا براياتكم ولا تزيلوا ولا تجعلوها إلا مع شجعانكم فان المانع للدمار والصابر عند نزول الحقائق اهل الحفاظ، واعلموا ان اهل الحفاظ هم الذين يحتفظون براياتهم ويكتنفونها ويصيرون حفافها وامامها ووراءها ولا يضيّعونها ولا يتاخرون عنها فيسلمونها ولا يتقدمون عنها فيفردونها» ـ والراية ـ من ثم ـ ما دامت هي مرفوعة فانها اشارة الظفر وعلامة الفوز والنجاح، اما اذا انكست او سقطت فانها تعني الهزيمة والخسارة.

هذه كانت ارفع رايات العدالة فيه.

اما في الجانب والطرف الآخر فقد قام ابن سعد بدوره بصف وتعبئة جيشه وكان تعداده يربو على الـ(٣٠) الف مقاتل في أقل تقدير وقيل (٧٠) الف، جلّهم من اهل الكوفة والبقية القليلة من المناطق المجاورة لها.

ولقد وضع عمرو بن الحجاج الزبيدي على ميمنته والشمر على ميسرته واختار فروة بن قيس ليكون على الخيالة، بينما اودع رايته الى مولاه ويدعى هذا دريد.

علماً بان اعطاء الراية لعبده يعني ـ في العرف العسكري ـ انه ابقاها لنفسه.

وعن تعداد كلا الجيشين المتقابلين على ارض كربلاء نظم احد الشعراء الشعبيين يقول:

سبعين الف دارت علىٰ احسين او عنده زلم ما غير سبعين

كما ونظم السيد باقر الهندي حول هذا التعداد للجيشين يقول:

جاءوا بسبعين الفاً سل بقيتهم هل قاومونا وقد جئنا بسبعينا

ولقد كان مجموع المسافة بين مخيمي الجيشين يقارب الميلين على اقل تقدير، وهذه القاعدة كانت متبعة دائماً في المعارك بسبب جولان الفرسان المحاربين اولاً، ولكي يكون كلا المخيمين بعيدين عن نطاق واذى السهام والنبال المتبادلة بين صفوف المحاربين ثانيا.

لقد ارتفع قرص الشمس قليلاً في السماء وعندها تقدّمت قطعات جيش الشيطان صوب مواقع ومخيمات الحسين عليه السلام واخذت تصول وتجول حول المخيمات من مختلف الاتجاهات.

وحينها امر الحسين باشعال الحطب الذي صفّ خلف المخيم لتتولى النار منع قطعات العدو من الاقتراب او الدخول من خلف المخيم.

وعندما راى الذئاب النار تضطرم في الخندق خلف المخيم صاح الشمر برفيع صوته:

«يا حسين تعجّلت بالنار قبل يوم القيامة».

فاجابه الحسين: «يا بن راعية المعزى انت اولى بها مني صليا».

واراد مسلم بن عوسجة هنا ان يرميه السهم ليرديه صريعاً إلا ان الحسين عليه السلام منعه من ذلك وقال له: «اكره ان ابدأهم بالقتال»[١].

وعند ذلك امتطى الحسين عليه السلام فرسه وأخذ مصحفاً ونشره على راسه والقى فيهم خطبته الثانية المشهورة[٢] في يوم عاشوراء والتي جاء في بعضها:

«يا قوم ان بيني وبينكم كتاب الله وسنة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله، يا اهل الكوفة قبحاً لكم وتعساً حيث استصرختمونا والهين فأتيناكم موجفين، فسحقاً لكم يا عبيد الامة وشذاذ الاحزاب ونبذة الكتاب ومحرفي الكلم وعصبة الأثم ونفثة الشيطان ومطفئ السنن، ويحكم هؤلاء تعضدون وعنا تتخاذلون.

---

(١) نشير الى انه في كل المعارك التي خاضها الامام علي عليه السلام في خلال خلافته الراشدة كان لا يبدأ عدوه القتال ابداً، بل يبدأ ويشرع هذا العدو القتال ليتولى هو حينئذٍ رده وذلك لتكون الحجة على العدو مضاعفة، احدها هو العصيان والتمرد الذي يمارسه ازاء الامام وسلطته الشرعية، والاخرى لبدءه وشروعه بالقتال والنزال وهكذا كان الولد وهو الحسين عليه السلام هنا وهنالك على سر ابيه كما يقول المثل العربي الشائع.

(٢) لم نشر الى الخطبة الاولى للاختصار الذي آثرناه في هذه الدراسة وهي مدونة بالتفصيل في الكتب التاريخية والمقاتل ومنها كتابي «الحسين... ثورة دائمة».

ألا وان الدعي ابن الدعي[١] قد ركز بين اثنين بين السلة والذلة، وهيهات من الذلة يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت وانوف حمية ونفوس ابيه من ان تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام.

ألا واني زاحف بهذه الاسرة على قلة العدد وخذلان الناصر، اما والله لا تلبثون بعدها إلا كريثما يركب الفرس حتى تدور بكم دور الرحى وتتعلق بكم قلق المحور عهد عهده اليّ ابي عن جدي رسول الله فاجمعوا امركم وشركائكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة.

اللهم احبس عنهم قطر السماء وابعث عليهم سنين كسنين يوسف، وسلّط عليهم غلام ثقيف[٢] يسقيهم كأساً مصيرة ولا يدع فيهم احداً إلا قتله، قتلة بقتلة وضربة بضربة ينتقم لي ولأوليائي واهل بيتي منهم فانهم كذبونا وخذلونا وانت ربنا عليك توكلنا واليك المصير...»[٣].

---

(١) الدعي والاستلحاق: هو ان يدعي المرء رجلاً ينسبه وقد يكون عبداً او اسيراً او مولى فيسميه مولاه وينسبه اليه، وكان العرب يسمون المستلحق «دعياً».

(٢) تم اعداد كتاب جديد عن حياة المختار الثقفي باسم «المختار».

(٣) من الملاحظ والشائع ان الحسين عليه السلام كان قد اكثر ووسع من خطبه ومواعظه على جماهير الناس وفي كل مناسبة متاحة ومنذ مغادرته المدينة المنورة حتى وصوله الى ارض كربلاء.
ومرد ذلك انه عليه السلام كان يتحاشى ويخشى ان يدخل احد من الناس الى النار بسببه او عن طريقه لكونه من اهل البيت الذين جعلهم الله رحمة للعالمين وسبيلاً لنجاتهم وفوزهم لا ليكونوا سبيلاً لدخول احد الى جهنم وبئس المصير.
ان هذه هي اخلاق اهل البيت، وتلك هي اخلاق وسيرة خصومهم في شنهم لحرب الابادة والاستئصال ومنع الماء لاهل هذا البيت والذي لا يرجو لهم ـ في المقابل ـ إلا الخير والنجاة من النار.

ثم انشدعليه السلام ابيات لفروة المرادي:

فـــان نهـــزم فـــهزامـــون قُـــدما وان نُهـــــزم فـــغير مـــهزمينا
ومـــا ان طـــبنا جـــبن ولكـــن مـــــنايانا ودولة آخـــــرينا
فـــقل للشـــامتين بـــنا افـــيقوا ســـيلق الشـــامتون كـــما لقـــينا
اذا مـــا المـــوت رفـــع عـــن انـــاس بكـــــلكلة انـــاخ بآخـــرينا

وبعد الفراغ من الخطبة الثانية هذه اجابه اهل الكوفة:

«اننا لا نفهم ما تقول»، مما اضطر الحسينعليه السلام للعودة الى مكانه لانتظار الخطوة التالية بعد ان اصبح الجيشان في اعلى درجات التأهب والاستنفار.

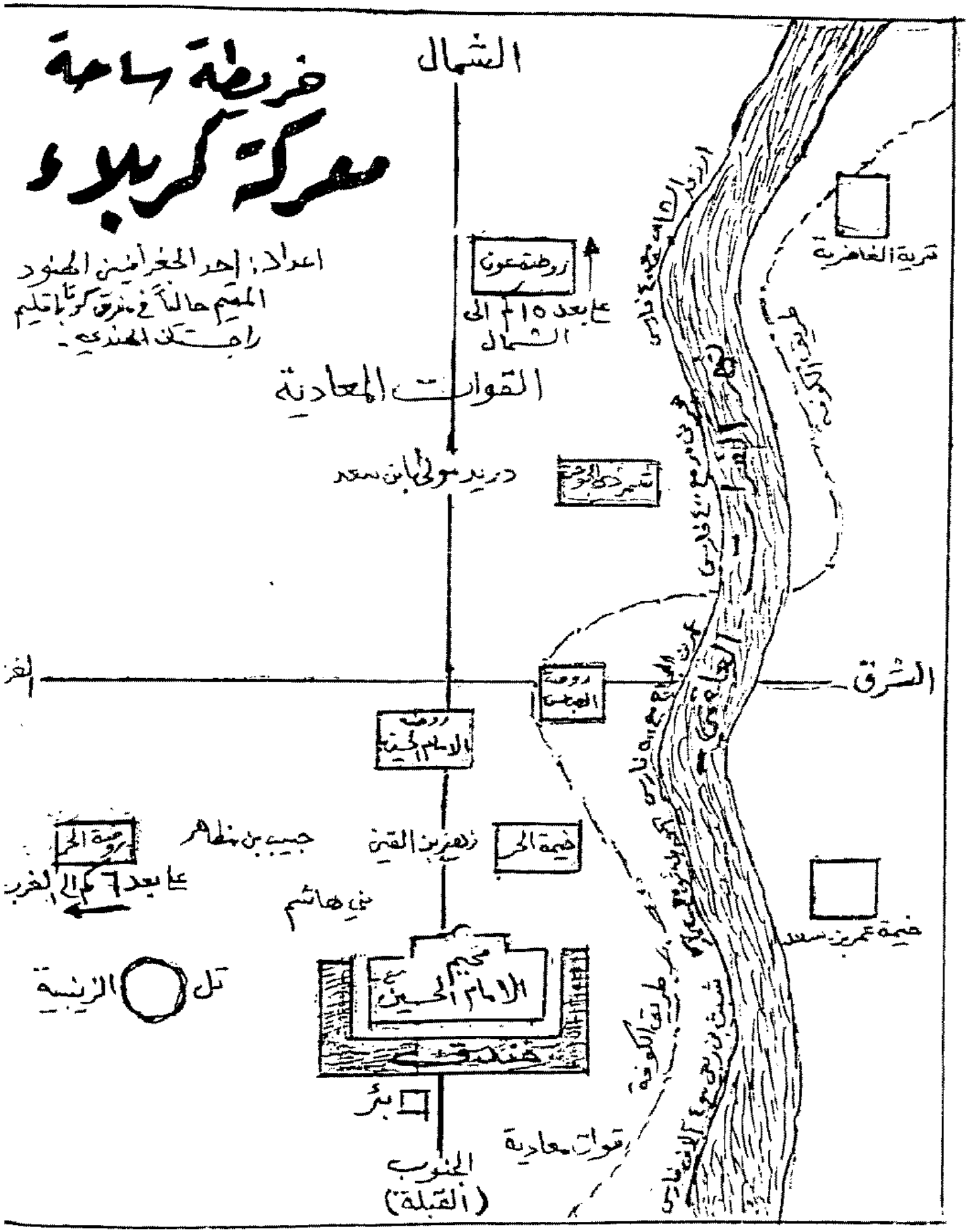
خريطة ساحة
معركة كربلاء
اعداد: إحد الخرافيين المهود
المعلم حالياً في مدرسة كربلاء تعليم
راجكن المندي
الشمال
روضة عون
على بعد ١٥ م الى
الشمال
القوات المعادية
قرية الغاضرية
الشرق
روضة العباس
روضة الامام الحسين
خيمة الحر
جيب بن مظاهر
زهير بن القين
روضة الحر
على بعد ٦ كم الى الغرب
بني هاشم
خيمة عمر بن سعد
مخيم الامام الحسين
خندق
بئر
الجنوب
(القبلة)
قوات معادية
تل الزينبية

الملحمة الكبرى

بعد ان انهى الحسين عليه السلام من القاء خطبته الثانية على القوم، تقدم ابن سعد بصفته القائد العم لقوات الغدر والعدوان، تقدم الى امام معسكر الحسين واطبق عليه من الامام تمهيداً لاشعال فتيل الحرب المدّمرة ضد الحسين واعوانه، حيث تناول من مولاه دريد سهماً ووضعه في كبد قوسه ورمى به على معسكر الحسين عليه السلام وهو ينادي برفيع صوته ليسمع افراد جيشه قائلاً:

«اشهدوا لي عند الأمير اني أول من رمى الحسين، او ضرب بسهم».

وبذلك فقد ابتدأت الملحمة الكبرى في ارض كربلاء والتي خطط لها ابن سعد وسيده ابن زياد وطاغيتهم في الشام يزيد لتكون حرب ابادة واستئصال لآل الله ورسوله ولمن أعانهم ونصرهم وذاد عنهم ولو بشربة من ماء[1].

وبعد ان رمى ابن سعد بسهمه انهالت السهام على معسكر الحسين كأنها رشق المطر الغزير وهنا قال الحسين عليه السلام لاصحابه واهل بيته:

«قوموا يرحمكم الله يا كرام الى الموت الذي لابد منه ولا مفر لكم عنه فان هذه السهام هي رسل القوم اليكم».

---

(١) نشير الى انه بعد ان اعلن الحر الرياحي توبته وندمه على فعله ازاء الحسين عليه السلام وحيث كفّر عن ذلك بانضمامه الى صفوف الحُسين قبل بدء الحرب، وخشية ان يتبعه الآخرون من المقاتلين بالالتحاق بصفوف الحسين عليه السلام. لذا فقد اسرع ابن سعد في التقدم الى امام معسكر الحسين واشعل هناك نيران الحرب المدمرة.

وبهذا النداء فقد ابتدأت الصفحة (المرحلة) الرابعة في معركة الكفاح والنضال والجهاد لتقويض دعائم الظلم والجور، وهي معركة ـ بحق ـ بين منطق الذي ينظر الى الدنيا بعين الآخرة ومنطق الذي لا يؤمن بالآخرة اصلاً.

وكان الهاشميون وعلى راسهم العباس يطالبون بالقتال اولاً حيث ان مرادهم من ذلك هو: «ألا نترك اصحابنا يتقدمون اولاً الى القتال لأن الحمل الثقيل لا يحمله او يقوم به إلا اهله، فنحن نتقدم اولاً الى الحرب ثم هم بعدنا».

بينما كان مراد الاصحاب وهدفهم بقيادة حبيب بن مظاهر الاسدي عكس ذلك حيث قالوا للهاشميين: «بل نحن نتقدم الى الموت اولاً ثم تجيئون انتم على الأثر حتى لا نرى امامنا هاشمياً مضرجاً بدمه».

وفي هذا المعنى يقول احد الشعراء:

يتنافسون على المنية بينهم فكأنما هي غادة معطار
يتسابقون على الكفاح ثيابهم فيها وعمتهم قنا وشفار

كما ونظم السيد حيدر الحلي حول الموضوع يقول:

قوم اذا نودوا لدفع ملمة والخيل بين مدّعس ومكردس
لبسوا القلوب على الدروع واقبلوا يتهافتون على ذهاب الانفس
نصروا الحسين فيا لهم من فتية باعوا الحياة والبسوا من سندس

كما وقال شاعر ثالث حول نفس المعنى:

جادوا بانفسهم عن نفس سيدهم وقد رأوا لبثهم من بعده عارا

وفي الاخير كان السبق هنا للاصحاب في اقتحام جبهة العدو، حيث كانوا يعرفون انهم غير قادرين على دفع القتل عن الحسين عليه السلام، لذا فقد كانوا يتنافسون

على ان يقتلوا بين يديه، حيث حملوا على القوم (جيش اهل الكوفة) بعد التوكل على الله تعالى ووداع امامه الحسين عليه السلام واخذ الأذن منه.

نعم حملوا على جيش العدوان بآلافه المؤلفة الميسورة بسيوفه العادية ورماحه الباغية حملة رجل واحد وشدوا عليهم شد الليوث واقتتلوا بشجاعة وبسالة فائقين منزلين بالعدو خسائر فادحة في الارواح والمعدات وكل امانيهم ان تواتيهم مناياهم بين يديّ الحسين او عند قدميه، حيث استشهد عقبها نصف اصحاب الحسين عليه السلام في هذه الحملة.

كما واخذ من ثم الرجلان والثلاثة والاربعة يستأذنون الحسين عليه السلام في قتاله اهل الكوفة والذب عنه والدفاع عن حرمه، وكان كل واحد منهم يحمي الآخر من كيد عدوه.

وينقل هنا بالمناسبة ان اربعة من اصحاب الحسين من بينهم عمرو بن خالد الصيداوى ومولاه سعد واثنين آخرين كانوا قد شدّوا جميعاً على اهل الكوفة حيث اوغلوا في قلب جيش الكوفة حيث احاط بهم جيش اهل الكوفة وانقطع ارتباطهم بمعسكر الحسين عليه السلام.

فما كان من الحسين هنا حين تجلى له الأمر إلا ان ينّدب اليهم اخاه العباس، حيث تمكن العباس بشجاعته وبسالته من انقاذهم من وسط جيش الغدر والعدوان لانه كان رجل المهمات الصعبة في معسكر كل مهماته كانت صعبة وهكذا اخذ اصحاب الحسين يتساقطون واحداً بعد آخر بدءاً من الحر الرياحي[1] ومروراً بمسلم بن عوسجة وحبيب بن مظاهر وزهير بن القين.

---

(١) لقد كان الحر الرياحي اول الذين خاضوا المعركة ضد اهل الكوفة، لانه اراد بذلك ان يكفّر

وانتهاءً عند جون مولى ابي ذر الغفاري وسواه.

حيث كلما برز واحد منهم ودّع الحسين واسلمه الى من خلفه ليحميه ويذود عنه حتى فارقوه جميعاً ليلتقوا معه في جنات الخلد والتي عرضها السماوات والارض.

وهكذا فقد عبّد هؤلاء بدمائهم الزكية للاجيال القادمة طريق الكرامة والعزة والعدالة الاجتماعية، كما وان مصرعهم على ارض الطفوف وبيد شرار الخلق وفساقها هي مزية ومأثرة ادخرها الله سبحانه لهم.

علماً بان هذه المنازلة مع جيش العدو والتي خاضها اصحاب الحسين تعتبر الحملة الاولى في يوم عاشوراء وقد استشهد فيها (٥٠) بطلاً من اصحاب الحسين واعوانه.

وجاء من بعد مصرع هؤلاء دور فرسان وشجعان اهل البيت عليهم السلام وعددهم (١٧) شاباً وكلهم من ابناء علي وجعفر وعقيل والحسن والحسين.. الخ وهم الفتية الابرار الذين تأخر موعد منازلتهم للعدو ليكونوا ضمن الحملة الثانية على طريق الفداء والتضحية ونكران الذات. حيث إن القتل لهم عادة وكرامتهم من الله

عن تصرفاته السابقة ازاء الحسين، حيث كان هو اول من لقى الحسين عليه السلام في صحراء العراق الغربية على رأس جيش من مرتزقة وازلام العدو يبلغ (١٠٠٠) فارس، وهو الذي ضيّق على الحسين وحال دون حركته وانتقاله الى مكان آخر وادى هذا التضييق في النهاية لان يصل الحسين عليه السلام ارض كربلاء.

ولقد خاض الحر المعركة بعد ان استفسر من قائد جيشه ابن سعد عما اذا كان في النية قتال الحسين حيث اجابه: «نعم قتال اقله ان تقطع الايدي وتطيح الرؤوس».

الشهادة[١].

فتقدم الى الجبهة علي الاكبر وعمره (٢٧) سنة وقيل اقل وتبعه عبدالله بن مسلم فابناء عبدالله بن جعفر الطيار ثم ابناء الحسن الزكي المجتبى وكان القاسم اصغرهم... الخ.

وكل من كان يبرز من هؤلاء لخوض غمار المعركة كان ينطق بالعطش ويطلب الماء ليروي غليله إلا ان جواب الحسين عليه السلام لكل واحد منهم كان:

«إصبر فانك لا تمسي حتى يسقيك رسول الله صلى الله عليه وآله بكاسه الاوفى».

اما العباس عليه السلام و الذي كان يقف الى جوار الحسين عليه السلام، فأن حضوره هذا قد جعل للملحمة حجم اوسع مما كان لها ومقاسات اكثر علواً وسمواً وارتفاعاً، فقد كان يحيى كل من كان يتقدم من اقربائه هؤلاء الى الجبهة وكان يقول لهم لغرف تشجيعهم على المنازلة وانزال اقصى الخسائر في صفوف العدو كان يقول:

«تقدموا حتى اراكم قد نصحتهم لله ورسوله».

ولما رأى العباس كثرة لاقتلى في اهله علم بأن دور اخوته في الكفاح والنزال قد حان، حيث لم يبق من المحاربين حياً سواهم فقال لهم وهم عبدالله وعثمان

---

(١) عن الشهادة وطلبها يروىٰ ان الرسول صلى الله عليه وآله كان قد زار علي عليه السلام بعد واقعة احد لمواساة على الجروح التي اصابته فيها والتي بلغ عددها (٧٠) جرحاً، فقد قال الامام للرسول صلى الله عليه وآله متأسفاً:

«يا رسول الله ارايت كيف حيزت عني الشهادة» فقال له الرسول:

«انها من وراءك يا علي فكيف صبرك اذن» فقال علي:

«يا رسول الله ليس هذا من مواطن الصبر ولكن من مواطن البشرى والشكر، ان الصبر يكون على البلاء بينما الشهادة ـ في رؤية اهل البيت ـ نعمة وبركة فهي موطن شكر وبشرى.

وجعفر:

«تقدموا يا بني امي فحاموا عن سيدكم حتى تموتوا دونه، وحتى اراكم قد نصحتم لله ولرسوله فانه لا ولد لكم تقدموا بنفسي انتم حتى اراكم قتلى فاحتسبكم واثاب بكم».

فاستجاب اخوة العباس لنداء اخيهم فهبوا مسرعين للقتال ووطنوا انفسهم على الموت دفاعاً عن اخيهم الحسين عليه السلام وهم يرددون:

نحن بنو ام البنين الاربعة ونحن خير عامر بن صعصعة

الضاربون الهام وسط الجمجمة

فقاتلوا جميعاً قتالاً عنيفاً شديداً حتى هووا كما تهوي النجوم الى الارض مضرجين بدمائهم.

ووقف العباس على اشقائه الذين مزقت اشلاءهم سيوف الاعداء فاخذ يذرف عليهم أحر الدموع وتمنى لو ان المنية كانت قد وافته قبلهم.

اما العباس عليه السلام نفسه فكان آخرهم وخاتمهم على طريق العزة والنضال والجهاد حيث إن الحسين عليه السلام كان قد ارجأ الترخيص والأذن له بالمنازلة حتى حين.

وانما استبقاه الى جواره ـ رغم الحاح العباس في خوض المعركة ـ حتى تستمر هذه المعركة ضد العدو الغاشم بعنفوانها وغليانها، وليبقى مع العائلة الى آخر لحظة ممكنة، لان شهادته في البداية ـ وهي لابد منها ـ قد تفت في عضد جيش الحسين وتضعف معنويات العائلة.

لذا فقد قال الحسين عليه السلام له:

«اخي انت صاحب لوائي وكبش كتيبتي اذا مضيت تفرّق عسكري ويؤول جمعنا الى الشتات».

وعن هذه الحالة يقول الشاعر الشعبي جليل الجنابي:

يگله اشلون يا عباس عني تروح يا رجواي
انت رمحي او سيفي وانت يسرتي او يمناي
أنت الگلب وانت الروح وانت نور البعيناي

لهذا لم يأذن بالقتال إلاّ في الساعات الأخيرة وبعد اخذ ورد ـ لان العباس كان على عجلة من امره لدخول الجنة كما كان اعداؤه على عجلة من امرهم لكسب الجائزة من ابن زياد ـ وحين لم يجد الحسين عليه السلام بداً من الأذن له بعد ان ذاب قلبه وذهبت نفسه حزناً وأسى على ما حل في آل واصحاب الحسين من مصائب ونوائب، وبعد ان وجد أن نفسه تسبق جسمه في جهاد الطغاة والظالمين.

حيث اضاء له اللون الأخضر وترك له حرية المواجهة والنزال حيث قال له:

«ان كان ولابد فاطلب لهؤلاء الاطفال قليلاً من الماء».

وهكذا فقد قيّد يديه ورجليه باتيان الماء للأطفال.

وقبل ان يحمل العباس عليه السلام على جيش العدوان ويخترق صفوفهم نادى امام هذا الجيش:

«يا عمر بن سعد، هذا الحسين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قد قتلهم اصحابه واهل بيته، وهؤلاء عطاشى منذ (٣) ايام فاسقوه من الماء فقد احرق الظمأ قلوبهم، اما تذكرون العطش يوم الفزع الاكبر اما تذكرون ما انزل الله فيه، اما تخافون من عذاب الله ونقمته يوم يجمع الله الناس فيه الى المحشر».

وفي هذا المعنى نظم الشاعر انور الجندي يقول:

وذئـــاب الشرور تـــنعم بـــالماء واهـــل النـــبي مـــن غـــير مـــاء
يـالظلم الاقـدار يـظمأ قـلب الليث واللـــيث مـــوثق الاعـــضاء
وصغار الحسين يـبكون في الصـحراء يـــا رب أيـــن غـــوث القـــضاء

كما وقال الشاعر ابو المحاسن حول الموضوع:

لو ان بالصخر ما قاساه مـن عـطش كـــادت له الصـــخرة الصماء تـــنغلق

إلا أن الجواب على هذا النداء كان قد جاء على لسان الشمر حيث قال بصوت عالي:

«يا بن ابي تراب[1]، قل لأخيك لو كان وجه الارض كله ماء وهو تحت ايدينا لما سقيناكم منه قطرة واحدة، ولا ذقتم منه شربة باردة حتى نجرعكم كاس المنون غصة بعد غصة إلا ان تدخلوا في بيعة يزيد..».

فغضب العباس وقال:

«ان القوم قد استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله... الخ».

واثر ذلك شدّ على الأعداء حيث اخذت ابدانهم ترتجف ومفاصلهم ترتعد ووجوههم تتغير خوفاً منه حيث هزمهم نـفسياً قـبل ان يـهزمهم فـي سـاحات

---

(١) ان كلمة ـ ابو تراب ـ كناية عن كثرة عبادته وصلواته وذلك لان المسلمين كانوا في السابق يسجدون على التراب، وكان الامام علي عليه السلام معفر الجبين لكثرة ما يسجد على التراب.
وجاء في صحيح البخاري ومسلم ان الرسول صلى الله عليه وآله وجد الامام مرة في المسجد نائماً وقـد تـرب جبينه فجعل يمسح التراب عن جبينه ويقول: «قم يا ابا تراب» اي قم يا كثير العبادة، وكانت هذه الكنية (ابو تراب) احب الكنى الى الامام علي.

الحرب، حيث يعبّر الشاعر السيد حيدر الحلي عن الموقف ويقول:

عبست وجوه القوم خوف الموت والعباس فيهم ضاحك متبسم

واتجه صوب نهر العلقمي حيث فرّت الكتائب من امامه وباتت تسحق بعضها بعضاً، ولم يفزعه جيش الكوفة الضال عن رشده المكلف بحراسة الشريعة والذي يقدّر بـ (٤) آلاف فارس كانهم جراد منتشر، حيث تمكن من كشفه عن الماء والوصول اليه وملأ القربة التي كان يحملها معه بالماء.

واراد ـ وهو في الماء ـ ان يشرب شيئاً منه ـ لان عطشه كان لا يقل عن عطش الحسين واهل بيته ـ إلا انه تذكر عطش اخيه الحسين والاطفال والنسوة ومن قتل من بني عمه واصحابه فرمى الماء من يده ولم يشرب منه قطرة واحدة وقال:

يا نفس من بعد الحسين هوني وبعده لا كنت او تكوني
هذا الحسين وارد المنون وتشربين بارد المعين

تالله ما هذا فعال ديني

ثم صمّم العباس إثرها على ايصال القربة الى معسكر الحسين لري من فيه وبكل صورة ووجه.

وذلك بعد ان احكم شد فتحتها ورماها على عاتقه، حيث ان حياته واماله في تلك اللحظات كانت معلّقة بتلك القربة وهي ان يوصلها سالمة الى مخيم الحسين.

وعن هذه الحالة يقول الشاعر:

أأبرد قلبي بالزلال وبرده ويحرق من آل الرسول قلوب
فيا نفس موتي بالظما وتقطعي وان كان ماء الشط منك قريب

فـــوالله لا ذقت مـــن المـــاء قـــطرة الى حـــيث سهـــم المـــنون يـــصيب

كما ويقول شاعر آخر حول الموضوع:

ردمـــدم ليث الغـاب يـعطوا بسـالة الى المـــاء لم يكـــبر عـليه ازدحـامها
المت بـــه ســـوداء يخـــطف بـــرقها البصائر مـن رعب ويـعلوا قـتامها
جـــلالها بمشـــحوذ الغـراريـن أبـلج يـــدبّ بـــه للـــدار عـــين حمـــامها
ثنى رجله عن صهوة المـهر وامـتطى قـــرى النهـــر واخـتل السـقا هـامها
وهب الى نحـــــو الخـــيام مشـــمراً لري عـــطاشى قـــد طـواهـا اوامـها

كما ونظم شاعر ثالث يقول:

سل الشريعة عـنه يـوم خـاض بهـا هـل ذاق للـماء طـعماً وهـو غـارفه
رمـــى المـــعين بـــنهر مـــن انـاملـه وصـــدّ عـــنه ومـــا بـلت مـراشـفه
ان لم يـــــزد مـــــعنى في شـجاعته عـــلى ابـــيه فـــقد ســاوت مـواقـفه

وفي هذا المعنى نظم شاعر رابع على لسان ام البنين وأنها قالت بالفعل واصفة الموقف على حقيقته:

يـــــا مـــــن راى العـــباس كـــر عـــــــلى جمـــاهير النـــقد[1]
ووراءه مـــــن ابـــناء حـــيدر كـــــــل ليث ذو لبـــــــد
انـــــبئت ان ابـــني اصـــيب بـــــراســـــه مـــقطوع يـــد
لو كـــــان ســـيفك في يـــديك لمـــــا دنـــا مـــنك احـــد

إلا أن الاعداء تكاثروا عليه في الطريق واحاطوا به من كل صوب وجهة حتى قطعوا عليه طريقه ليحولوا دون ايصال الماء الى معسكر الحسين عليه السلام فلم يبال بهم واخذ يضرب القوم بسيفه مجندلاً كل من يقترب منه ولسان حاله يقول:

---

(١) النقد ـ معناه الاغنام.

لا أرهب المـــوت اذا المـــوت زقـــا حـــــتى اوارى في المـــصاليت لق
اني انـــا العـــباس اغـــدو بـــالسقا نـــفسي لسـبط المـصطفى الطـهر وقـا
ولا اهـــاب المـــوت يـــوم المـــلتقى بـــل اضرب الهـــام وافـــري المـرقا

إلا ان السهام كانت قد اتته كالمطر، كما وكمن له احد مرتزقة جيش البغي فضربه على يمينه فقطعها، فاخذ العباس السيف بشماله وجعل يضرب بعنف وقوة جنود جيش الكوفة وهو يردّد:

والله ان قـــــطعتموا يمـــــيني اني احـــامي ابـــداً عـــن ديـــني
وعـــن امـــام صـــادق اليـــقين ســـبط النـــبي الطـــاهر الامـــين

كما ونظم شاعر آخر هذا الشعر على لسان العباس:

اقســـمت بـــالله الأعـــز الاعـــظم وبـــالحجون صـــادقاً وزمـــزم
وبـــالحطيم والقـــنا المحـــرم ليـــخضبن اليـــوم جســـمي بـــالدم
دون الحســـين ذو الفـــخار الاقـــدم امـــام اهـــل الفـــضل والتكـــرم

وكان العباس يحث فرسه بقوة لعله يوصل القربة سالمة الى المخيم وهو يدمدم قائلاً:

يـــا نـــفسُ لا تخـــشي مـــن الكـــفار وابـــشري بـــرحمـــة الجـــبار
مـــع النـــبي الســـيد المختـــار قـــد قـــطعوا بـــبغيهم يســـاري
فاصلهم يا رب حر النار

كما ونظم الشاعر محمد علي كمونة الكبير حول الموضوع يقول:

ارى الموت عند الناس مـراً مـذاقـه وعندك احـلى مـن عـناق الكـواعب
ولكنك اخترت الوصول لرتبة الشهـا دة شـــوقاً وهـــي اعـــلى المـــراتب

وبعد كر ومناوشة واقتحام كمن له مرتزق آخر فضربه على شماله فقطعها،

فضّم الراية الى صدره، وبعد ذلك تكاثر عليه الاعداء كالغربان واتته السهام كالمطر فاصابت احداها القربة واريق ماؤها على الارض، كما اصابت عدة منها صدره وعينيه.

كما وحمل عليه مرتزق ثالث بعمود من حديد فضربه على راسه حيث خارت قواه وسقط على الارض يخور بدمه الزكي.

وهكذا فقد ضحى العباس بكفه حتى لا يضحي بكف الحقيقة وضحى بعينه حتى لا يضحي بعين البصيرة وضحى برأسه حتى لا يضحي براس الايمان.

علماً بانه لا السيف الذي قطع يده ولا السهم الذي اصاب عينه ولا العمود الذي فلق هامته قد استطاع من ان يؤثر على معنوياته وتصميمه في الدفاع عن الحق والمثل العليا.

وعن هذه الحالة يقول احد الشعراء الشعبيين:

ولا يهمه السهام حاشى ... من همه سقاية العطاشى

فجاد باليمين والشمال ... لنصرة الدين وحفظ الآل

كما ونظم شاعر آخر وهو علي محمد الحائري في هذا المعنى يقول:

فيا حاملاً راية الخالدين ... ويا حامل الماء للظامئينا

فان انت اعطيت منك الشمال ... فشرخ بعهدك تبق اليمينا

نعم سقط بجنب ضفاف نهر العلقمي بعد ان أوقع في جيش العدو الغاشم خسائر فادحة في الأرواح شملت كل بيوت الكوفة على سعتها.

وحين سقوطه اخذ يودّع اخاه الحسين الوداع الأخير بقوله:

«عليك مني السلام يا ابا عبدالله».

وهكذا تحول العباس بشهادته هذه من شخص الى شاخص ومن مؤمن الى رمز للايمان ومن بطل الى رمز للبطولات[١].

وجاء الحسين عليه السلام كالصقر ووقف على جثمان اخيه العباس وهو يلفظ انفاسه الأخيرة وبعد ان استيقن من شهادة اخيه العباس قال بالم وحسرة:

«يعز والله عليّ فراقك، الآن إنكسر ظهري وقلت حيلتي وشمت بي عدوي»[٢].

وانشد الحسين عليه السلام عند جثمانه الطاهر يقول:

يا مقلتي سيحي دموعاً جمة ... وابكي على بطل شديد البأس
حامي ودافع ما استطاع بنفسه ... دون الحسين بصولة ومراس
اسفي على العباس وهو مجدلٌ ... دامي الجبين وخامد الانفاس

---

(١) كان عمر العباس عليه السلام عند شهادته (٣٤) سنة، وفي سقوطه عند نهر العلقمي نظم الشاعر السيد حيدر الحلي:

وهوى بجنب العلقمي فليته ... للشاربين به يداف العلقم
وغدا يهم بان يصول فلم يطق ... كالليث اذ أظفاره تتقلم

كما وقال الخطيب الشيخ محمد علي اليعقوبي حول نفس الحالة:

فخر على ضفة العلقمي ... صريعاً فاعظم به مصرعا

(٢) عن علاقة الأخ باخيه ومنزلته المميزة لديه ننقل في ادناه حكمة تنسب الى لقمان الحكيم، حيث قيل ان لقمان حين قدم من سفره الطويل لقيّ غلامه في الطريق فقال له:

يا غلام ما فعل أبي؟ قال: مات، قال لقمان: ملكت امري.

قال له يا غلام ما فعلت زوجتي؟ قال: ماتت، قال لقمان: جددت فراشي.

قال ما فعلت أختي؟ قال لقمان: ماتت، قال لقمان: سترت عورتي.

قال ما فعل أخي؟ قال الغلام: مات، قال لقمان: الآن انكسر ظهري.

كما وانشدعليه السلام ايضاً:

عـــباس كـــبش كـــتيبتي وكـــنانتي وسري قـــومي بـــل اعـــز حـصوني
يـــا ســـاعدي في كـــل مـعترك بـه اســـطوا وســـيف حمـــايتي بـــيميني
لمـن اللـوا اعـطي ومـن هـو جـامع شمـــلي وفي ضـــنك الزحـــام يـــقيني

وعن هذه الحالة ايضاً نظم الشاعر السيد جعفر الحلي يقول:

فـــشى لمـــصرعه الحســـين وطـرفه بـــين الخـــيام وبـــينه مـــتقسم
الفـــاه محـــجوب الجـــمال كـــانه بـــدر بمـــنحطم الوشـــيح مـــلثم
فـــاكب مـــنحياً عـــيله ودمـــعه صـــبغ البســـيط كـــانما هـــو عـــندم
قـــد رام يـــلثمه فـــلم يـــر مـــوضعاً لم يـــدم مـــن عـــض الســـلاح فـيلثم

ثم عاد الحسينعليه السلام الى مخيمه حزيناً وباكياً على اخيه ولكنه كان يكفكف دموعه بكمه كي لا تراه النسوة فيزداد المهن بفراق حاميهم العباس وهو يقول:

«اما من مجير يجيرنا، اما من مغيث يغيثنا، اما من طالب حق ينصرنا».

وعندها سألته ابنته سكينة عن عمها العباس ولماذا ابطأ في جلب الماء اليهن، فقال لها: «ان عمك العباس قد قتل».

فصاحت سكينة: «وا عباساه راح والله المحامي والكفيل راح عمي العباس».

وسمعت العقيلة زينب (ت ١٥ رجب ٦٢هـ) بمقتل العباس فنادت:

«وا محمداه، وا فاطمتاه، وا علياه، وا اخاه وا عباساه وا ضيعتنا بعدك يـا ابـا الفضل».

وبكين النسوة حين سماعهن للخبر، كما بكى الحسينعليه السلام معهن ونادى:

«وا ضيعتنا بعدك يا ابا الفضل».

وهكذا كانت عملية السقي هوايتة ثم اصبحت رسالته وفي سبيلها تمت شهادته.

وعندها نهض السجاد عليه السلام وكان مريضاً واتجه نحو الأعداء وهو يتوكأ بيد على عصا ويشهر سيفه بيده الاخرى، فلما رآه الحسين عليه السلام صاح بام كلثوم:

«احبسه لئلا تخلو الارض من نسل آل محمد»

وتشبثت بهام كلثوم واعادته الى فراشه.

لقد شعر اهل البيت بالكارثة من مقتل العباس لانه كان عمود خيمتهم وها هو العمود قد انكسر، وكان حامل رايتهم وها هي الراية قد سقطت.

وعن هذه الحالة يقول الشاعر:

لا اقرت ليلة صار صبيحتها ... بدور آل رسول الله في خسف
لا اشرقت شمس يوم صار في غده ... شموس آل رسول الله في كسف

كما ونظم شاعر آخر حول شهداء اهل البيت عليهم السلام يقول:

عين جودي بعبرة وعويل ... واندبي ان ندبت آل الرسول
سبعة منهم لصلب علي ... قد ابيدوا وتسعة لعقيل
واذا ما بكيت عيني فجودي ... بدموع تسيل كل مسيل

ونشير بعد هذا الى ان الحسين عليه السلام كان قد أفرد خيمة في حومة الميدان بجوار معسكره، وكان يأمر بحمل جثمان كل يقتل من صحبه واهل بيته اليها.

إلا ان اخاه العباس كان قد تركه في مكان سقوطه قرب نهر الفرات (العلقمي) منحازاً عن الشهداء وحيث مرقده الطاهر الحالي.

وانما لم ينقل جثمان اخيه العباس الى حيث حمل الشهداء من الاصحاب

والاقارب اليها وذلك: «لسر مكنون اطرته الايام ليكون له مشهد خاص به يقصده الناس عبر الزمن بالحوائج والزيارات وبقعة يزدلف اليها الناس وتتزلف الى المولى تعالى تحت قبته التي ضاهت السماء رفعة وسناء فتظهر هنالك الكرامات الباهرة وتعرف الامة مكانته السامية ومنزلته الرفيعة عند الله تعالى فتؤدي ما وجب عليهم من الحب المتأكد والزيارة المتواصلة، ويكون عليه السلام حلقة الوصل فيما بينهم وبين الله تعالى»[1].

وهكذا بات العباس عليه السلام ينتقل من جيل الى جيل ـ وعبر الزمن ـ ليس كتراث للانسانية فحسب بل كمنبه دائم لضمير البشرية كلما عصفت به ازمة المثل العليا.

---

(١) الثورة الحسينية ـ الشيخ فاضل المالكي.

ما بعد الملحمة

لقد قال الكثير عن العباس عليه السلام ومواقفه المميزّه في يوم الطف، كما وجرىٰ الكثير بعد هذا اليوم الذي ليس له نظير في تاريخ الانسانية.

فمما قاله ائمة اهل البيت عليهم السلام في شأن العباس نكتفي هنا بايراد قولين فقط. فقد قال عنه الامام علي بن الحسين السجاد (ت ٩٥هـ) بالحرف:

«رحم الله عمي العباس فلقد آثر وأبلىٰ وفدىٰ اخاه بنفسه حتىٰ قطعت يداه فأبدله الله عز وجل بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة كما جعل لجعفر بن ابي طالب، وان للعباس عند الله تبارك وتعالىٰ منزلة يغبطه عليها جميع الشهداء يوم القيامة».

كما وقال الامام جعفر الصادق (ت ١٤٨هـ) عنه:

«كان عمنا العباس نافذ البصيرة صلب الايمان جاهد مع اخيه ابي عبد الله الحسين وأبلىٰ بلاء حسناً ومضىٰ شهيداً».

واما ما قاله سواهم ازاء العباس فلا يعد ولا يحصىٰ، وكل الذي جاء في هذه الدراسة من اقوال لهم (شعراً ونثراً) هو النزر اليسير مما قالوه في شأن العباس، مكتفين هنا بهذه الاشارة وان في وسع من يرغب في الاستزادة الرجوع الى تلك المظان والمراجع.

واما الذي جرىٰ بعد يوم الطف فهي حوادث ووقائع كثيرة نقتطف منها هنا الشيء اليسير الذي يرتبط بهذا اليوم التاريخي المهم.

لقد كانت ام البنين (والدة العباس) من اول الناس الذين خرجوا لاستقبال بشر بن حذلم الذي ارسله علي بن الحسين عليه السلام الى المدينه لغرض اشعار اهلها بما حلّ بالحسين عليه السلام وباهل بيته واصحابه، حيث نادىٰ بشر هذا عند وصوله مشارف المدينة برفيع صوته:

يا اهل يثرب لا مقام لكم بها ... قتل الحسين فادمعي مدرار
الجسم منه بكربلاء مضرج ... والراس منه على القنا يدار

وحين وقع بصرها على الناعي لم تستفسر منه عن مصير ابنها العباس واخوته الثلاثة، وانما سألته عن ولدي الحسين».

وما كاد يصل الى ذكر ولدها العباس اضطربت وسقط حفيدها الصغير الذي كانت تحمله على الارض وقالت:

«قطعت نياط قلبي اولادي الاربعة ومن تحت الخضراء فداء لسيدي الحسين».

وحين اخبرها بمقتل الحسين صرخت ونادت بالم وحسرة:

«وا حسيناه واحبيب قلباه، يا ولدي يا حسين نور عيني يا حسين».

ولقد شاركها من كان حاضراً الى جوارها في النياحة والبكاء والعويل على شهداء كربلاء عامة والحسين خاصة.

وعن هذه الحالة نظم الشاعر الشيخ احمد الدجيلي:

ام البنين وما اسمى مزاياك ... خلدت بالصبر والايمان ذكراك
ابناؤك الغر في يوم الطفوف قضوا ... وضحوا في ثراها بالدم الزاكي
لما اتى بشر ينعاهم ويندبهم ... اليك لم تنفجر بالدمع عيناك

وقلت قولتك العظمى التي خلدت الى القيامة باق عطرها الزاكي
افدي بروحي وابنائي الحسين اذا عاش الحسين قرير العين مولاك

ولقد كانت ام البنين بعد وصول اخبار مجزرة كربلاء اليها وسماعها لاستشهاد ابنائها الأربعة تخرج الى البقيع (حاملة ولد العباس عبيد الله) وتندب وترثي اولادها الاربعة اشجى ندبة واحرقها حيث يجتمع الناس عندها لسماع ندبتها وبكائها.

ويعبّر الخطيب الشيخ محمد علي اليعقوبي عن هذه الحالة فينظم

وان انسى لن انسى ام البنين وقد فقدت ولدها اجمعا
تنوح عليهم بوادي البقيع فيذري الطريد لها الادمعا
ولم تسل من فقدت واحداً فما حال من فقدت اربعا

ويقال هنا انها كانت تخطّ قبوراً لاولادها الاربعة على الارض وتجلس في الشمس بينها تندبهم وتنعيهم بصوت حزين يقرح القلوب ويحرك المشاعر فيجتمع الناس اليها يسمعون منها.

وكان مروان بن الحكم على شدة عداوته لاهل البيت يجئ فيمن فلا يزال يسمع ندبتها ونعيها ويبكي وفي هذا نظم الشاعر:

رق لها الشامت عما بها ما حال من رقّ له الشامتُ

ومما كانت ام البنين ترثي اولادها الاربعة قولها:

لا تدعوني ويك ام البنين تذكريني بليوث العرين
كانت لي بنون ادعى بهم واليوم اصبحت ولا من بنين
اربعة مثل نسور الرُبى قد واصلوا الموت بقطع الوتين
يا ليت شعري أكما اخبروا بأن عباساً قطيع اليمين

وكانت العقيلة زينب بنت علي عليه السلام تزور ام البنين باستمرار في بيتها وخصوصاً ايام الاعياد والمناسبات، كما وتزورها ايضاً بقية نساء اهل البيت والمدينة مواسين لها ومخففين من آلامها وحزنها ازاء اولادها الاربعة وبقية الشهداء من اهل بيتها الأكرمين.

اما عن دفن ضحايا واقعة الطف فنشير الى قيام ابناء قبيلة بني اسد في اليوم الثالث عشر من المحرم الحرام عام (٦١هـ) ـ اي بعد ثلاثة ايام من الملحمة ـ بدفن جثمان الحسين عليه السلام واخيه العباس عليه السلام وبقية شهداء كربلاء في ارض الطفوف كل في اماكنها التي حدّدها لهم الامام زين العابدين السجاد عليه السلام، وبنوا للقبور علائم لا يدرس اثرها.

ونشير هنا ـ وبهذه المناسبة ـ الى انه حين دفن الاجساد الطاهرة نزل الامام السجاد مساغاً لبني اسد في نقل الجثث الزواكي الى محلها الأخير عدا جسد الحسين عليه السلام وجثة عمه العباس عليه السلام فتولى وحده انزالهما الى مقرهما وقال لبني اسد: «ان معي من يعينني».

وحيث ان الامام لا يلي امره الا الامام فهذا امر مفهوم، اما بالنسبة للعباس فهو امر لا نكاد نصل الى حقيقته، وان كنا نرى ان مكانة العباس ودرجته وسمو مركزه، ان كل هذه قد اوصلته الى نقطة قريبة من تلك التي يقف عندها الامام المعصوم.

هذا ولقد كان عبيد الله بن الحر الجعفي[1] هو اول شخص كان قد جاء الى

---

(١) بعد استشهاد الحسين عليه السلام تفقد ابن زياد اشراف الكوفة فلم يجد بينهم عبيد الله بن الحر الجعفي فطلبه فجاءه بعد ايام ودخل عليه وقال له: «اين كنت يا بن الحر» فاجابه: «كنت مريضاً» فقال له: «كنت مريض القلب ام مريض البدن» فاجابه: «اما قلبي فلم يمرض واما بدني فقد منّ الله عليه العافية» فقال: «كذبت ولكنك كنت مع عدونا» فاجابه: «لو كنت مع عدوك لرؤي مكاني وما

كربلاء ـ بعد ملحمة الطف ـ لغرض زيارة قبر الحسين والعباس عليهما السلام وبقية الشهداء، حيث رأى الديار خالية والارض وحشة إلا قبري الحسين مع شهداء الطف في جهة وقبر العباس في الجهة الاخرى (الشرقية) ووقف على قبر الحسين وبكى عنده بكاءاً شديداً كادت روحه تزهق ثم انشده قصيدة طويلة جاء في بعضها:

سقا الله ارواح الذين تآزروا ... على نصره سقياً من الغيث دائمة
وقفت على اجداثهم ومحالهم ... فكاد الحشا ينقضّ والعين ساجمة
لعمري لقد كانوا مصاليت في الوغى ... سراعاً الى الهيجاء حماة خضارمة
تاسوا على نصرة ابن بنت نبيهم ... باسيافهم آساد غيل ضراغمة

وعند حلول اربعين شهداء كربلاء في (٢٠ صفر ٦١هـ) وقيل (٢٠ صفر ٦٢هـ) والأخير «هو التاريخ الذي تميل اليه الاوساط العلمية عند مؤرخي الامامية»[1] قدمت الى كربلاء سبايا اهل البيت عليهم السلام بقيادة الامام علي بن الحسين عليه السلام وهي في طريق عودتها من الشام الى المدينة المنورة.

وصادف عند مجيئها الى ارض الطفوف قدوم الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الانصاري (ت ٧٦هـ) الى المنطقة لزيارة مشهد شهداء والطف، حيث تولى الجميع دفن رؤوس الشهداء الى جوار اجسادهم الطاهرة ثم غادروها الى المدينة المنورة.

وحول ملحمة الطف نظم الكثير من الشعراء منها فهذا الشاعر نظم يقول:

كان مثل مكاني ليخفى على احد». وعند انشغال ابن زياد بالحديث مع غيره تمكن ابن الحر من التسلل الى الخارج فجاء الى داره ثم خرج الى كربلاء لزيارة قبر الحسين وبقية شهداء الطف.

(١) مدينة الحسين ـ محمد حسن مصطفى الكليدار.

يا وقعة الطف كم اوقدت في كبدي وطيس حزن ليوم الحشر مسجورا
كأن كل مكان كربلاء لدى عينيّ وكل زمان يوم عاشورا

كما ونظم السيد الحميري يقول:

أمرّر على جدث الحسين وقل لاعظمه الزكية
يا اعظما لا زلت من وطفاء ساكبة روية
ما لذّ عيش بعد رضـ ـك بالجياد الاعوجية

ونظم الشاعر عقبة بن عمرو العبسي ايضاً حول الموضوع (حيث قيل انه اول من رثى الحسين بعد شهادته) يقول:

مررت على قبر الحسين بكربلاء ففاضت عليه من دموعي غزيرها
وما زلت ابكيه ورائي لشجوه ويعد عيني دمعها وزفيرها
سلام على اهل القبور بكربلاء وقل لهم مني سلام يزورها
ولا برح الوفاد زوار قبره يفوح عليهم مسكها وعبيرها

كما ونظم الشارع محمد حسن ابوالمحاسن الكربلائي يقول:

فيا يوم عاشوراء كم اوقدت في الحشا من الحزن نيراناً مدى الدهر لا تخبو
قد كنت عيداً قبل يجنى بك الهنا فعدت قذى الاطفال يجنى بك الكرب
فكم قد اريقت فيه من آل احمد دماء لسادات وكم هتكت حجب

كما ونظم الشاعر دعبل الخزاعي يقول:

هلا بكيت على الحسين واهله هلا بكيت لمن بكاه محمد
فلقد بكته في السماء ملائك زهر كرام راكعون وسجد
قتلوا الحسين فاثكلوه بسبطه فالثكل من بعد الحسين مبدد

ونظم شاعر آخر حول الموضوع يقول:

الم تـــر ان الارض اضـــحت مـريضة لفـــقد حســـين والبـــلاد اقشـــعرت
وقـــد اعـــولت تـبكي السماء لفقده وانجـــمها نـــاحت عـــليه وصـــلت

كما ونظم شاعر كربلاء الحاج محمد علي كمونة الاسدي يقول:

لعـــــصابة اورى الظـــما احشـــاءها فـــقضيت ولم يـبرد جـوى احشـائها
نـظرت الى المـلكوت فـاشتاقت لمـن في عـــالم اللاهـــوت مـــن نـظرائـها
خاضت غـمار الحـتف حـتى خـضبت دون ابـــن فـــاطمة بـــفيض دمـائها
عـــن كـربلاء وبـلائها سـل كـربلاء ســـل كـربلاء عـن كـربلاء وبـلائها

كرامات العباس عليه السلام

ان الحديث عن كرامات العباس قد يطول شرحه وتبيانه ولا تتسع له هذه الدراسة الموجزة رغم ما قد يبذل من جهود وعناء.

كما وانه من العبث مناقشة هذه الكرامات وفقاً لما يسمية البعض بالتفسير العلمي للتاريخ او الاحداث، اذ من الغرور والسطحية بمكان ادعاء اي فرد انه ملم بكل ما في الكون من اسرار الهية او خفايا غيبية حيث يقول سبحانه وتعالى في كتابه الكريم:

﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلاً﴾[1].

ومن غير هذا المنطق وبقدر تعلق الامر بموضوع هذه الدراسة نشير الى ان مزار العباس في كربلاء وهو البطل المغوار الذي قدّم كل غال وثمين في سبيل القضية المقدسة التي كان يدافع عنها.

ان هذا المزار يغص بالزوار والقاصدين من هذا القطر او ذاك وعلى مدار ايام السنة وهو ايضاً باب وملجأ اصحاب الحاجات والمطاليب والمشاكل والقضايا والمسائل يأتونه من كل فج عميق لانه يذكرهم بالله تعالى وبالتضحيات التي قدمها في الذود عن الحق والحرية والمثل العليا.

---

(١) سورة الاسراء آية ٨٥.

ويؤكد الثقات والاخيار الذين سمعنا منهم مباشرة او غير مباشرة بان الله سبحانه وتعالى ـ كرامة لوليه الذي قدّم حياته رخيصة في سبيله[١] ـ قد استجاب لدعوات المئات بل الألوف من زوار حرم العباس عليه السلام فشفي كثيرون من اعراض مستعصية كالسل والسرطان والشلل والجنون، كما واستقام وطاب آخرون كانوا يشكون العوق في ارجلهم او سواها.

فضلاً عن انه سبحانه قد فرّج عن غيرهم ازماتهم وهمومهم ومشاكلهم والتي قد تصل هنا او هناك الى مرتبة ودرجة المعجزات[٢].

---

(١) لقد قلنا في اكثر من مكان في هذا البحث الى ان الله سبحانه قد منح بعض اصحاب العبقريات ممن يعملون في سبيله باخلاص ويقين معلومات ومعارف في الحياة الدنيا ـ قد تصل الى حد الغيب ـ ولا تتوفر عند الآخرين.

كما ويوفر لمراقدهم بعد رحيلهم كرامات بسبب تقديمهم لحياتهم رخيصة في سبيل المبادئ الألهية السامية لذا فقد ورد في الحديث القدسي تأكيداً لهذه النقطة وهو قوله تعالى: «عبدي اطعني تكن مثلي او مثلي تقول للشيء كن فيكون».

(٢) وعن هذه الكرامات نظم الشاعر الشيخ كاظم السوداني يقول:

فكم لابي الفضل الأبي كرامات ... لها تليت عند البرية آيات
وشاراته كالشمس في الأفق شوهدت ... لها من بنات المجد اومت اشارات

وقال شاعر آخر:

ابوالفضل ابن داحي الباب اعلا ... إله العرش في الدنيا مقامه
وكم من معجزات باهرات ... له قد عرفوه ابا الكرامة
حباه الله فيها منه فضلاً ... كذا فرع النبوة والامامة

وقال شاعر آخر:

قصدت ابا الفضل الذي هو ... لم يزل قديماً حديثاً للحوائج يقصد
يمدّ على العين السقيمة كفه ... وان قطعت يوم الطفوف له يد

وعليه فللعباس عليه السلام حضور يومي في حياة الملايين من الناس وهو وسيلتهم في الحصول على الحوائج من الله تعالى وقدوتهم في البحث عن الغايات، فضلاً عن اتخاذه كمثابة موقع للحلف به وكشاهد او طرف ثالث او (فصل) في كثير من القضايا والمنازعات المهمة القائمة بين صفوف هؤلاء الملايين.

انني هنا ـ من منطلق الدراسة العلمية لهذا الموضوع ـ لن اورد الكرامات الكثيرة التي سطرها العديد من الكتاب والمؤلفين في كتبهم لانه في المستطاع لمن اراد الوقوف عليها مراجعة هذه الكتب مباشرة.

وانما آثرت هنا ان اضيف الى تلك الكرامات ـ والتي قد يؤمن بها القارئ الكريم ام لا حيث إن هذا من شأنه ـ كرامات اخرى قد تتشابه مع سابقاتها او لا تتشابه.

نعم ان اضيف وادون في هذه الدراسة بعض الكرامات التي رواها الى شهود عيان ووجهاً لوجه من دون حاجز وحائل، لأني من منطلق هذه النظرة العلمية آثرت ان اتاكد بنفسي من صحة مشاهداتهم ورواياتههم للاحداث التي يرونها لي عن كرامات شاهدوها عن كثب او انها وقعت امامهم ولم يشعرهم شخص آخر عنها.

وطبيعي ان كل كرامة حين وقوعها فانها تحدث امام حشد كبير من الزائرين والحاضرين وهم الذين كانوا متواجدين في الحرم عند ظهورها وبروزها

وقال شاعر رابع

كم فرّج الله عن كل معضلة ... كرامة منه للعباس شبل علي

ورحمة الله خصتنا بفضلهم ... عند الصعاب وعمت فيه كل ولي

شاخصة.

لذا فقد حاولت هنا البحث بجدية عن هؤلاء، فضلاً عن ملاحقة كل امرئ طرق سمعي انه كان موجوداً في الحرم المقدس عند ظهور كرامة معينة للاستماع اليهم وبأذن صاغية لكل ما شاهدوه باعينهم ـ وباعينهم فقط ـ ومن ثم يروونه لي من احداث وكرامات عن كتب ومن دون حاجز يذكر.

اكرر هنا إن اسلوبي في الكتابة الآن وقبل الآن هو علمي قبل ان يكون أدبي وموضوعي قبل ان يكون عاطفي، وإن ما سأشير اليه في ادناه ـ سواء اقبله البعض وارتضاه‌ام لا ـ هو الذي سمعته ممن عاصر الحدث والكرامة وشاهدها بعينيه المفتوحتين وبعيداً عن العبارة او الجملة التي تفيد او تقول:

«روى فلان عن فلان» او «سمعت ممن اثق به» او «شاهدها خلق كثير»... الخ.

هذا اضافة الى إن الذين استمعت اليهم ليست لهم مصلحة صغيرة او كبيرة في صحة او عدم صحة ما يقولونه ويروونه، وان كان لديهم شيء من ذلك فهو بقدر ما لديّ ولديك ـ ايها القارئ العزيز ـ من مصلحة في صحة وحقيقة او عدم صحة وحقيقة ذلك.

ثم ان الذين استمعت منهم هم من الاخيار والملتزمين والبعيدين عن الكذب واللف و الدوران خصوصاً في حالات لا مصلحة لهم بها من قريب او بعيد.

واشير بعد هذا الى انني قد اكون اكثر من كثير من القرآء من حيث عدم اليقين والايمان بالخرافات والأوهام سواء التي تضاف الى الدين او المذهب او التاريخ او الاهداف من قبل الكثير من المتزمتين والمتشددين ـ عبر الزمن ـ لتصورهم بان هذه الأضافات قد تضفي بريقاً ورسوخاً على تلك الامور بل هي ـ في الحقيقة ـ

تسلّبها نقاءها وواقعها التي هي عليه في الحق والحقيقة.

وقبل ان اخوض وانقل بعض الكرامات والاحداث التي سمعتها في ادناه اروي للقارئ الكريم حادثة وواقعة بسيطة جرت امامي وعلى بعد عدة امتار مني وقد شاهدتها بكلتا عينيّ ـ وللقارئ العزيز ان يثق بها وبصدقها او لا يثق فهذا امر يخصه هو ـ وقد تكون هذه الواقعة ضمن مسلسل الامور والشؤون التي لا يربطها بالعلم رابطة.

لبعدها عن التفسير العلمي، كما ويمكن اعتبارها وربطها في خانة وزاوية ما ستنقله من كرامات تجلّت لكثير من الناس، وان كانت هذه تختلف عن تلك في شيء فكونها لم تقع في حرم العباس عليه السلام بل ان مسرحها كان في احد بيوت الله تعالى التي اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه، والواقعة باختصار هي:

«في ليلة النصف من شهر رمضان المبارك لعام (١٤١٤هـ) وبعد ان اقمت صلاة المغرب في البيت ومن ثم تناول طعام الافطار لذلك اليوم، آثرت انْ يكون اداء صلاة العشاء في وسط البلدة وفي احد مساجدها[1]، وشاء القدر ان تكون صلاة العشاء لهذه الليلة في مسجد المخيم الواقع في سوق المخيم، وعند الدخول اليه من الباب الرئيسية ترد الباب الثانية الخاصة بالحرم، وقبل الدخول الى الحرم لابد من اجتياز العارضة الحديدية والتي هي بارتفاع قدم واحد من الارض حيث تخلع عندها الاحذية تمهيداً للدخول اليه.

---

(١) يبلغ عدد مساجد مدينة كربلاء واحيائها حوالي (١١٠) مسجد، علماً بان المدينة التي تضم اكثر عدد من المساجد في العالم هي مدينة كراچي بالباكستان حيث تضم اكثر من (٥) آلاف مسجد، ولقد اشرنا الى تواريخ واحكام وآداب المساجد في كتابنا «تاريخ المساجد في الاسلام».

ولقد شاهد عند العارضة هذه حذاء واحد وبلون اصفر، وهـذا يـعني طـبعاً بوجود شخص واحد فقط في داخل حرم المسجد دون سواه.

وتركت حذائي الى جـوار ذلك ودخـلت الحـرم بـاجتياز العـارضة، حـيث وجدت فيه بالفعل شخصاً وكان يقف بالقرب من جدار المحراب وامامه وهـو متجه الى القبلة ورافع يديه الى الاعلى بالدعاء وظهره إليّ والى حرم المسجد.

ان هذا الحال لم يجلب انتباهي ولا اهتمامي، إلا شيء واحد وهو رفع الرجل ليديه الى الأعلى وبكل امتدادها، حيث ان الجاري والمتعارف لدينا هو ان تكون الكفين ـ عند الدعاء ـ اما الوجه او الى الاعلى قليلاً وليس الى نهاية امتدادها كما كان حال هذا الرجل.

ورغم ذلك فقد اعتبرت ان هذا شيئاً عادياً يخص من يدعو، حيث له الخيار في القيام باية طريقة يدعو الله تعالى بها.

وشرعت في اداء صلاة العشاء ـ والرجل الذي يقف امامي لا يغيب عن نظري ـ وعند وصولي الى الركعة الثانية وما بعدها ظل هذا الرجل مواظباً على دعائه من دون ان يحرّك يديه شيئاً او يسمع منه صوت ولو كان هذا خافتاً.

وبعد الفراغ من صلاة العشاء استمر الرجل على حاله مـما جـلب اهـتمامي وشكوكي، حيث امتد وقت وفترة دعائه كل وقت صلاتي الرباعية وهي العشاء.

وفي سبيل معرفة حقيقة هذا الرجل، صلّيت في مكاني ـ وكان هذا المكان عند مدخل الحرم ـ صلّيت صلاة (الوتيرة) وهي ركعتان عن جلوس تقام بعد العشاء استحباباً ويقرأ بعد سورة الحمد في الركعة الاولى سورة كما تقرأ اية سورة بعد سورة الحمد في الركعة الثانية.

وبعد الفراغ من هذه الصلاة ظل الرجل على حاله من دون حركة يديه او ذهابه الى الركوع او الالتفاف الى اليمين او الشمال ليمكن مشاهدته بوضوح او اي شيء آخر.

وهنا آثرت الانتظار في المسجد لفترة اخرى للوقوف على جلية الأمر، حيث تناولت مصحفاً من مصاحف المسجد للقراءة فيه لحين فراغ الرجل من دعائه وعبادته ليتاح لي مشاهدته عن كثب بعد ذلك.

وفي الحقيقة فان كل نظراتي وافكاري ـ والتي كان المفروض ان تنصب في المصحف ـ قد انقلبت الى العكس، حيث ظلت كل هذه مسددة صوب الرجل والذي يقف امامي وعلى بعد (٥) امتار فقط الى الامام.

وبعد حوالي الـ (٥) دقائق من البدء في القرآءة بالمصحف فوجئت بغياب واختفاء هذا الرجل من امامي ومن دون اي اثر له، وكانه لم يكن هناك وامامي انسان بطوله وعرضه وملابسه وهو رافع يديه الى السماء لما يقرب من (١٥) دقيقة.

وقمت في الحال ـ بعد غلق المصحف الشريف ـ الى المكان الذي كان يقف الرجل عليه فلم اجد اي اثر او ذكر له، وخرجت مسرعاً الى السوق الذي يقع المسجد فيه فلم اجد اي شيء او اثر يرشد الى الرجل.

ان علم النفس يشير الى «ان بعض حواس الانسان تتعطل او تتوقف مؤقتاً كلاً او جزءاً في حالات الارتباك والخوف والفزع والقلق، حيث تضطرب نشاطات العقل فلا يعي المرء كل الاشخاص الذين معه او حوله، فتضيع حلقات او مفردات من الادراك والاستيعاب يتفاوت عددها (عند الجماعة) بين شخص

وآخر فما يراه هذا الا يراه ذاك وما يسمعه هذا لا يدركه او يعيه غيره...».

نعود بعد هذا الى صلب الموضوع فنقول ان كرامات العباس لا تعد ولا تحصى، وقد آثرت هنا الاشارة الى بعضها والتي رواها لي مشاهدوها من دون واسطة، ومن هذه الكرامات هي:

١ ـ لقد اخبرنا الشيخ حسين نجل المرحوم الشيخ محمد علي الكيشوان وفي الحرم العباس المقدس بالحرف: «لقد جاء رجل مع زوجته في عام ١٩٣٨ الى حرم العباس، وهما من سكنة اطراف كربلاء، وكان هذا الرجل يحمل على ظهره ابنته وهي بحدود (١٤) سنة، وكانت معوّقة في كل اطرافها ولا تتكلم، وكنت عند قدومهم جالساً عبد باب القبلة، حيث طلب مني الرجل عند دخوله الى الروضة ان اصاحبه الى داخل الحرم واربط البنت بشباك العباس عليه السلام.

وفعلاً دخلت مع الثلاثة (الرجل والبنت على ظهره والزوجة) الى داخل الحرم وربطت البنت التي كانت ممتدة على الارض (لعجزها عن الوقوف) بقطعة من القماش بشباك العباس ـ كما هي العادة ودعوت الله تعالى عند الشباك ان يعافيها من علتها، وعقب ذلك عدت الى مكاني عند باب القبلة.

وبعد فترة زمنية سمعت اصوات عالية وزغاريد وصلوات على محمد وآله منبعثة من داخل الحرم، وأثرها جاءني الرجل المذكور (والد البنت) وطلب مني مصاحبته الى داخل الحرم لان البنت قد شفيت من علتها بكرامة العباس وهي لا تترك الشباك والمربوطة إلا بحضوري.

وبالفعل دخلت الحرم معه ووجدت البنت واقفه على قدميها من دون دعم او اسناد من آخر وبعد ذلك خرجت البنت من الحرم مع والديها تمشي على رجليها

وبصورة طبيعية واعتيادية».

٢ ـ واعلمنا السيد عبد الامير السيد محمد علي نصر الله الخادم في الروضة العباسية بالحرف:

«في شهر آذار من عام ١٩٧٥ جاء الى الحرم العباسي رجل بمعية زوجته واخته وهم من اهالي الموصل، وكان وصولهم هذا في الساعة (١٠) مساءً (وكانت ليلة الجمعة) حيث ان خفارتي في الحرم تبدأ في هذه الساعة حتى الفجر، حيث ان الحرم يبقى مفتوحاً للزائرين طيلة هذه الليلة من كل اسبوع.

وكان الرجل مكفوف البصر تقوده زوجته واخته، وقد طلبوا مني ربطه بشباك العباس عليه السلام. وفعلاً ربطته بالشباك ـ كالعادة ـ واعطيته قدراً من ماء الشفاء (وهو الماء الذي يسكب ويمرر على قفل باب الشباك ـ ودعوت الله تعالى ان يمنّ على الرجل بالعافية بجاه ومنزلة العباس عليه السلام لديه.

وفي الساعة (١٢) مساءً (اي في منتصف الليل) اي بعد ساعتين من ربطه بالشباك، ارتفعت الاصوات داخل الحرم وزغاريد النسوة والصلوات على محمد وعلى آل محمد.

وتوجهت على الفور صوب مكان الرجل حيث شاهدته بعينيّ قد استرد بصره واخذ ينظر يمنة ويسرة وبصورة طبيعة، وقد تجمهر جماهير كبيرة من زوار الحرم ممن كان متواجداً هناك في تلك الساعة حول الرجل وكل واحد يطلب من الله المراد...».

٣ ـ روى لنا احد الزائرين للحرم العباسي واسمه عدنان الخباز الدعمي «انه في احدى ليالي الجمع من عام ١٩٩٦ جئ بمعوّق في قدميه صحبة امه الى حرم

العباس عليه السلام وقد ربطه احد خدام العباس بالشباك بقطعة من القماش ودعا له عند الله بالعافية والصحة، وكان ممدداً على الارض بجوار الشباك لعدم قدرته على الوقوف» وبينما كنا نؤدي الصلاة على بعد عدة امتار من الشباك فاذا باصوات وزغاريد النسوة والصلوات على محمد وعلى آل محمد ترتفع وتملأ اركان المكان.

وعندما اقتربت من الرجل وجدته واقفاً امام الشباك وعلى ارتفاع قليل من الارض حيث احدى يديه كانت متجهه الى الاعلى والأخرى والتي سبق ان ربطت بالشباك الى الاسفل، وجاء خدم الحرم واوقفوه على الارض، وقد سألت امه عما حدث حيث اجابت:

«ان ابني هذا معوّق منذ مدة وانا اجلبه لثلاثة ايام متتالية لربطه بشباك العباس عليه السلام والآن فقد شافاه الله تعالى بكرامة العباس».

٤ ـ «اتهم رجل من اهالي الكوت بان له علاقة مريبة مع امرأة من اقاربه وطُلب اليه الزواج منها ـ لقطع دابر القيل والقال ـ إلا انه رفض الزواج منها بادعاء إنها حامل من غيره وليس له علاقة بها ابداً، وقد اشعر اهلها بانه مستعد للذهاب الى كربلاء واداء القسم عند ضريح العباس بصحة اقواله هذه.

وفعلاً جاء هذا الرجل الى كربلاء برفقة اقرباء المرأة في يوم ١٦ رجب لعام ١٤١٦هـ المصادف لعام ١٩٩٦م، ودخل حرم العباس وقبل ان يرفع يده ليؤدي القسم جاءته ضربات وصدمات شديدة وعنيفة من جهات مختلفة افقدته صوابه، حيث اخذ الدم ينزف من جسمه وتمزقت ثيابه، ثم اخذ يصرخ ويستغيث بكلمات والفاظ غير مفهومه، وقد اخرج الى خارج الروضة ووضع عند الباب الشرقية المسماة «باب الامير علي» وهو بهذه الحالة المزرية.

وصادف ان كان الأخ الاستاذ (علي عبود ابو لحمة) ماراً من هناك فشاهد الحالة على حقيقتها ووقف على طبيعتها، كما وشاهدها صديق آخر هو «احمد مهدي الكربلائي» حيث كان ماراً من هناك في تلك اللحظة ممتطياً لدراجة هوائية، حيث وقف وشاهد المشهد على الطبيعة امامه واستفر من الحاضرين عهد ملابسات الموضوع فكان كما ورد اعلاه.

٥ ـ كما وروىٰ لنا الحاج الشيخ عباس نجل المرحوم الشيخ محمد علي الكيشوان ومن داخل حرم العباس عليه السلام وعلى مشهد جمع غير قليل من الاصدقاء وزوار العباس عليه السلام، حيث قال لي ولهؤلاء وامام شباك وضريح العباس عليه السلام وبالحرف:

«في عام ١٩٦٨ وقبيل الساعة (١٠) مساءً وعند الشروع والبدء في غلق باب حرم العباس القبلي ـ وبعد ان تم غلق بقية ابواب الحرم الاخرىٰ ـ شاهدت عن بعد وقوف سيارة مرسيدس استيشن امام باب قبلة العباس عليه السلام حيث نزل منها ثلاثة رجال مع امرأتين برفقة طفلة (بنت) مريضة وبعمر (١٢) سنة، حيث كانت مسجاة فوق فراشها».

ولقد قام الرجال (واحدهم كان اباها ويدعى ازيلان) بنقل الطفلة (البنت) وهي في فراشها ووضعوها في ارض الصحن المحيط بالحرم المقدس ـ حيث كان يسمح في ذلك الوقت بمنام الزوار في داخل الصحن رغم غلق ابوابه عند منتصف الليل عدا ليالي الجمع حيث تظل ابواب الحرم والصحن مفتوحة حتىٰ الصباح ـ وعند وصولي اليهم طلب الرجال مني والذين هم من اهالي الدليم (الانبار) طلبوا مني وضع الطفلة (البنت) المريضة في صباح الغد في الحرم وربطها بشباك العباس عليه السلام لعل الله تعالى يعافيها مما تشكو منه لانهم قد يئسوا من

حالتها الصحية.

ثم غادر الرجال الثلاثة المكان بعد ان اعطوا النساء رقم هاتف خاص لغرض الاتصال بهم في حالة وفاة البنت او حدوث شيء آخر...

وفي فجر اليوم التالي وعند فتح ابواب الحرم قمت وبمساعدة آخرين من خدم الروضة بنقل البنت وهي نائمة في فراشها (وكانت لا تكاد تخرج عن ان تكون هيكلاً عظمياً وأنها لا تأكل ولا تشرب إلا قطرات من الماء والسوائل التي تسكب في فمها بين فترة واخرى) الى داخل الحرم.

نعم تم نقلها الى داخل الحرم وقمت بدوري بربطها بالشباك بقطعة من القماش والدعاء الى الله تعالى في أن يعافيها من علتها التي تشكو منها.

وهكذا استمر الحال على هذا المنوال (اي نقلها يومياً عند الصباح الى الحرم وربطها بالشباك واعادتها في الليل وعند اغلاق الحرم الى مكانها في الصحن) استمر الحال لمدة (٧) ايام متتالية.

وفي اليوم السابع والأخير وكالعادة ـ وعند فتح الحرم صباحاً ـ نقلنا البنت الى الحرم وتم ربطها الى الشباك، وبعد ذلك قمت باداء بعض الصلوات والنوافل.

وفيما كنت منشغلاً في اداء هذه الصلوات واذا بي اسمع ام الطفلة تنادي بصوت عالي داخل الحرم: «يا ابنتي يا حبيبتي».

ولم اكن اعرف سبب صدور هذا الصياح او حقيقته، إلا اني شعرت بان هناك شيئاً جديداً ربما قد حصل للبنت.

لذا اسرعت في انهاء الصلاة وتوجهت اثرها الى المكان الذي ربطت فيه البنت بالشباك ـ والذي لا يبعد عن مكان صلاتي كثيرا ـ وعند وصولي الى هناك وجدت

فراش البنت خالياً منها وليس للبنت أثر، ظننت ان هناك خلافات عشائرية بين قبيلة البنت وقبيلة اخرى، قام اثرها اشخاص من القبيلة الأخيرة باختطافها ـ كما هو جاري بين بعض القبائل ـ لغرض املاء شروط معينة او لرد اعتبار او سوى ذلك.

وبسبب ذلك قد ارتبكت كثيراً لان مردود هذا الاختطاف ـ لو حصل فرضاً ـ سينعكس عيلنا كخدام للروضة العباسية، حيث انها باتت في ذمتنا منذ ان حطت رحالها في روضة العباس عليه السلام.

لذا فقد قمت بالبحث عنها هنا وهناك، كما وكلفت من كان موجوداً في الحرم من الخدم بالتفتيش والبحث عنها في ارجاء الصحن او عند ابوابه في الشوارع القريبة.

وبينما كنت ابحث عنها في ارجاء الحرم بما فيها رواقاته (اواوينه) ـ والشمس لم تشرق بعد ـ واذا بي اجد امامي بنتاً في احدى أروقة الحرم وهو (الشمالي الشرقي) وهي تمشي وتتعثر في مشيتها، وحيث اني لم اكن لاعرف شكلها جيداً، لذا فقد سألتها عمن تكون فاجابت:

«انا الذي كنت نائمة بجوار شباك العباس عليه السلام لمدة (٧) ايام، حيث جاءني سيدي هذا اليوم وطلب مني القيام فقمت وجئت معه الى هنا، وقد قلت ـ والكلام لا زال للبنت ـ له: من أنت؟ فقال: انا الذي جئت اليه منذ اسبوع».

واضافت البنت في حديثها: «ان سيدي كان واقفاً الى جواري حين جئت الى هنا ولكن يظهر انك لم تشاهده».

وفي الحال ذهبت الى اهلها في الخارج وناديتهم فجاءوا اليها مسرعين، ولقد

اجتمع الناس وازدحموا حولها باعداد كبيرة وهم يصلون على محمد وعلى آل محمد، كما اخذت النسوة باطلاق الزغاريد والهلاهل واوشك هؤلاء المجتمعين ان يمزقوا ثياب البنت للتبرك والمراد، ـ كما هي العادة في مثل هذه الحالة ـ مما اضطررت لادخالها ووضعها في احدى حجرات (غرف) الحرم الداخلية الصغيرة وتقع هذه في الجهة الشمالية الشرقية والتي لها نافذة مطلة على الصحن الشرقي للروضة.

وبعد بزوغ الشمس بفترة قصيرة وانتشار خبر البنت وسماع الناس في الخارج له تجمهروا باعداد كبيرة عند نافذة (شباك) الحجرة (الغرفة) المطلة على الصحن وتعالت منهم الاصوات على محمد وآل محمد والهلاهل والزغاريد وارتفعت الاصوات، حيث اختلط الحابل بالنابل (كما يقول المثل).

ولقد تم الاتصال بالمتصرف (المحافظ) وكان حينذاك هو (السيد عبد الصاحب القرغولي ـ ابو زمن) فجاء المحافظ في الحال وطلب مخاطبة البنت بنفسه، حيث فتحت له باب الحجرة.

وبالفعل تكلم معها واستفسر عن حالها ووضعها الراهن فاجابت بمثل ما سبق لها ان اجابتني.

ثم طلبت البنت مني شيئاً من الطعام، فجلبت لها الفطور، وكان هذا ـ على ما اتذكر ـ هو (باچه على خبز منقوع) فأكلته.

كما ووصل اثر ذلك سادن الروضة العباسية وهو السيد بدر الدين ضياء الدين بعد أن اوصل الناس اليه الخبر وتكلم هو بدوره معها.

وطلبت انا هنا من المحافظ تأمين اخراج البنت من الحجرة الى خارج الصحن

لان الناس قد تضاعف عددهم وسيمزقون كل ثياب البنت (فيما لو خرجت من دون حماية) شر ممزق لغرض التبرك بها.

واجابني المحافظ بان هذا الامر هو من صلاحية واختصاص خدمة الروضة والاوقاف وليس من صلاحياتنا ووعد بانه سيوعز الى مدير الاوقاف للمجئ الى هنا فوراً للمساعدة في اخراج البنت الى الخارج بسلام وامان.

وبالفعل جاء السيد مدير الاوقاف وكان يدعى «تركى حسن ـ ابو غازي» الى الروضة وبمساعدة خدمة الروضة ومن يعتمد عليهم من الناس امكن صنع زنجيل وجدار محكم من الايدي استطعنا عبره من اخراج البنت من داخل الحجرة، والتي كانت تسير على قدميها داخل هذا الطوق المحكم والمحاط من الخارج بالحشود الكبيرة من جماهير البلدة والتي لا تعد ولا تحصى عدداً والتي كانت تردد الصلوات على محمد وآل محمد والهلاهل والزغاريد.

نعم امكن ايصالها بسلام الى السيارة التي كانت واقفة عند باب قبلة العباس والتي جاء بها اهلها الى كربلاء بعد سماعهم بالخبر ـ باتصال هاتفي ـ وانطلقت السيارة بها من امام باب قبلة العباس بين الآلاف المؤلفة من الناس الى بلدهم في محافظة الدليم (الانبار).

٦ ـ كما وروى لنا الشيخ الحاج عباس الكيشوان ايضاً الكرامة الاخرى التالية والتي تمت تحت بصره وسمعه.

«بعد مضي فترة على الكرامة (المعجزة) السابقة جاء رجل من اهالي بغداد الى حرم العباس رفقة طفل كان يحمله معه وبعمر (٨) سنوات وكان مشلولاً لا يتمكن من السير والحركة.

حيث اخذه ابوه الى عدة دول خارجية لعلاجه ولكن من دون جدوى، لذا آثر هذا البغدادي ان يجلبه معه الى حرم العباس في كربلاء علّه يجد في كنفه العافية والشفاء.

وبالفعل ربطته بشباك العباس عليه السلام ودعوت الله تعالى بمنزلة ومكانة العباس عنده ان يشافيه، وما هي إلا عدة ساعات (ثلاث ساعات على وجه التحديد) واذا بهذا الطفل يقف امامنا صحيحاً معافى من دون اية علة او عجز او ما يشكو منه، وتعالت الصلوات والهلاهل اثر ذلك من كل الحاضرين في المكان.

٧ ـ وقصّ علينا الشيخ الحاج عباس الكيشوان ايضاً هذه الكرامة لابي الفضل العباس وهي: «في ليلة الجمعة والذي يبقى فيها مفتوحاً حتى الصباح ـ وعند منتصف الليل من احد ايام عام ١٩٦٩ م جاء الى حرم العباس عليه السلام طبيب اعمى العينين (بصير)، وطلب مني ان اتولى زيارة للعباس عليه السلام والدعاء له عند الله تعالى بمكانة العباس ومنزلته ان يعيد بصره اليه.

وبالفعل وبعد فترة قصيرة من قيامي بما طلب مني هذا الطبيب عمله، ابصر هذا الطبيب وراى النور لاول مرة امامي وامام كل من كان حاضراً في الحرم حينذاك، وقد تعالت اثر ذلك الصلوات على محمد وآل محمد والزغاريد والهلاهل في المكان...».

٨ ـ قال لنا السيد عبد المطلب هاشم القصير آل نصرالله بحضور عدد من خدم الروضة العباسية ومنهم كان السيد محمود ابو المعالي وامام باب العباس المسماة (باب الحسين) قال بالحرف:

«في عام ١٩٦٠م دخل شاب اخرس من امامي الى الحرم العباسي، وبعد

ساعتين ـ على وجه التحديد ـ من ذلك خرج هذا الشاب ومن امامي ايضاً وهو ينطلق ويتكلم بكل صراحة وبصورة صحيحة، وقد تعالت لذلك الصلوات على محمد وعلى آل محمد والزغاريد والهلاهل والتكبير من قبل الجموع التي احاطت به من كل جانب».

٩ ـ حدثنا الأخ السيد حميد هاشم جلوخان وعند باب العباس الغربية المسماة «باب الحسن» وبحضور السيد محمود ابو المعالي وغيره من خدم الروضة بالحرف:

«في منتصف الاربعينات كنا نذهب عادة مع كثير من خدم الروضتين المقدستين الى محطة القطار لغرض استقبال زوار الحرمين واستصحابهم الى البلدة لغرض اداء الزيارة لهم في حرمي الحسين والعباس عليهما السلام وتقديم كل خدمة يحتاجونها.

وصادف مرة أن وجدت ـ في المحطة ـ امرأة زائرة كانت تشكو من مرض عضال في رقبتها يعيق حركتها، واعلمتني في الطريق الى البلدة بان لديها نذراً مقداره دينار واحد الى العباس عليه السلام، وعند استصحابها الى حرم العباس لاداء الزيارة لها والدعاء لها ومن ثم استلام مبلغ النذر منها (كما هي العادة) قالت لي في حرم العباس: «اني لن ادفع هذا النذر اليك إلا بعد شفائي مما اشكو منه» وطلبت ايضاً ربطها بالشباك والدعاء لها عند الله بالشفاء.

وبالفعل نفذت طلبها حيث ربطتها بالشباك ودعوت لها، حيث يئست من استلام النذر منها في الوقت لاستحالة شفائها من دون معجزة سريعة.

وتركتها في داخل الحرم وذهبت الى مكان تواجد خدم الروضة في الطارمة

الامامية، ولم تمض إلا ربع ساعة ـ على وجه التحديد ـ واذا باصوات الزغاريد والهلاهل والصلوات تملأ ارجاء الحرم. وعند دخولي الى الحرم حيث تتواجد هذه المرأة ـ شاهدتها بام عينيّ محاطة بالزوار من كل جانب وهي بكامل صحتها وعافيتها.

وعلى الفور اقبلت اليّ واعطتني الدينار الموعود رغم اني كنت قد يئست منه عند ربطها بالشباك.

١٠ ـ لقد روى لنا السيد سلمان السيد حسن ضياء الدين في داخل دكان (حانوت) اولاده عند باب قبلة الحسين عليه السلام بحضور أولاده وبعض الزوار السعوديين والايرانيين الذين جاءوا الى الدكان لشراء ما يحتاجونه من الهدايا كالسبح والخواتم والاكفان والترب... الخ بالحرف:

«في منتصف الخمسينات كنا نحن خدم الروضتين المقدستين نجلس عند ابواب البلدة لأستقبال الزوار القادمين الى كربلاء، وفي احد ايام الخميس (ليلة الجمعة) كنت اجلس مع كثير من الخدم عند باب طويريج (الهندية)، وفي صباح هذا اليوم قدمت امرأة محمولة ـ بالعبي ـ من قبل زوجها وبعض أقربائها من النساء والرجال، وقد سألني الزوج عن موقع كراج سيارات بغداد، وعند الاستفسار منه عن علة ذلك اجاب:

«بان زوجته هذه مريضة جداً ولا تتحرك ويرغب في ان ينقلها الى بغداد لادخالها المستشفى هناك لمعالجتها.

وهنا قلت صراحة للجميع بان هذه الليلة هي ليلة الجمعة والناس تأتي من كل الاطراف الى كربلاء لزيارة الحسين والعباس عليهما السلام، وانتم في مثل هذا الوقت

تتركون كربلاء الى بغداد، وحبّذت لهم البقاء في كربلاء هذه الليلة وربط المرأة بشباك العباس لعل الله تعالى يعافيها من مرضها، واضفت انه يمكن في اليوم التالي (الجمعة) السفر الى اية جهة يرغبونها.

ولقد ايدت النسوة اقتراحي هذا فيما اصرّ الزوج على السفر فوراً الى بغداد.

إلا ان النتيجة كانت لصالح النسوة.

وبالفعل جئت بالمرأة مع اهلها الى حرم العباس عليه السلام وربطتها بالشباك وقدّمت لها شيئاً من ماء الشفاء فشربت منه شيئاً ومسحت بالباقي منه على جسمها ومن ثم دعوت الله تعالى لها بالشفاء، وتركت الجميع عند شباك العباس عليه السلام.

وفي صباح اليوم التالي (الجمعة) وعند دخولي روضة العباس من باب القبلة رايت امرأة تقع (تنزل) على اقدامي وتتوسل اليّ وتدعو لي بالخير والتوفيق.

وقد سألتها عمن تكن وماذا جرى.

فاجابت بانها المرأة التي ربطتها بشباك العباس في صباح الأمس، وان الله تعالى قد شافاني في المساء، وانها كانت تبحث عني منذ ذلك الوقت الى الآن، وقد وجدتك الآن.

وبدلاً من ان يذهب بها اهلها الى بغداد لأدخالها الى المستشفى هناك، عادت هي معهم سليمة وصحيحة الى بلدها والذي يقع في محافظة المثنى (السماوة) بعد ان منحوني ما هو مقسوم من النذر.

١٩٠٦ - م

ما ينسب الى العباس

يحتل القادة والمجاهدون والمناضلون في سبيل الحق والعدل والحرية مكانة مميّزة ومرموقة في نفوس مواطنيهم لما قدموه لهم من جهود وتضحيات جسام في سبيل تقدمهم ونهضتهم وسعادتهم، وهي مكانة ومنزلة خاصة لا تضاهيها اية مكانة اخرى.

وفي سبيل تقريب اسماء ورموز هؤلاء القادة الى نفوس الجماهير وجعلهم على تماس واتصال دائم ومستمر معهم ـ بعد رحيلهم عن وجه الارض ـ لغرض الاقتداء بهديهم والاسترشاد بسلوكهم وسيرتهم الحافلة في خضم الحياة الدنيا.

قام هؤلاء بالاحتفاظ بكل ما خلفه هؤلاء من آثار ومخلفات ورسوم خاصة بهم ـ مخافة أن تودي بها عوادي الدهر ـ فضلاً عن مساعيهم في احياء ايامهم والاشادة بذكراهم في كل مناسبة ووقت متاح.

وهذه الحالة لا تنسحب فقط على رسل الله تعالى وانبيائه وبمن تعلق بهؤلاء الرسل من اهل بيت وعشيرة واصحاب، وانما تمتد الى سواهم من الناس ممن لهم جهود ونضال في استقلال بلدانهم ودرء العدوان عنها وازدهار مواطنيها ـ رغم بعد بعض هؤلاء عن المحيط السماوي والفلك الألهي والدعم الرباني.

ففي تايلند وسريلانكا القادم اليهما عن كثب تماثيل بوذا بمختلف احجامها ويشاهد متاحفه المختلفة ووصاياه وقد خطت على لوحات ووضعت او رفعت على جدران هذه المتاحف او في الشوارع العامة والساحات واطراف الحدائق

والمنتزهات والمحلات العامة.

وفي الهند نجد نفس الشيء بالنسبة الى «راما، سيتا،لكشمي،هانومان» وهم قادة الهندوس الروحيين قديماً.

وفي العالم الاشتراكي نرى آثار ومخلّفات قادته معروضة في متاحف خاصة، اضافة لتحنيط البعض منهم ليتسنى للجميع مشاهدتهم عن كثب، فضلاً عن تعميم وصاياهم وخطبهم في كتب ودراسات وكراسات يتداولها الناس ويقرأونها باستمرار ويستشهدون بها في كل مناسبة.

وفي العالم الرأسمالي وفي الدول النامية نجد الحال نفسه، حيث تتواجد المتاحف التي تضمّ مخلفات زعمائهم وقادتهم فضلاً عن نشر اقوالهم وخطبهم في الكتب او خطها في لوحات كبيرة داخل المتاحف او ايداعها شاخصة في اماكن بارزة في الساحات العامة والشوارع والحدائق والمنتزهات.

اما في المحيط الاسلامي فأن آثار الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله واهل بيته الكرام واصحابه العظام لا تكاد تخلو منها المتاحف الاسلامية في هذا القطر او ذاك لغرض التبرك بها والاعتبار منها.

ففي دلهي بالهند وفي زاوية خاصة من جامعها الكبير (جامع سجود) نجد متحفاً يضم بعض المخلفات الخاصة بالرسول صلى الله عليه وآله مثل بعض الشعرات من راسه محفوظة داخل وعاء زجاجي امين ومحكم فضلاً عن تواجد قميص ينسب اليه صلى الله عليه وآله وقرآن خطي ينسب الى الامام علي عليه السلام وعباءة تنسب الى فاطمة الزهراء عليها السلام ونعل ينسب الى الحسن عليه السلام وعمامة تنسب الى الحسين عليه السلام واسنان تنسب الى اويس القرني... الخ.

ومثل هذه الاشياء وسواها نجدها في ركن خاص في مسجد لاهور المركزي (بادشاهي مسجد) في الباكستان ومدن باكستانية قليلة اخرى.

وفي اسطنبول عاصمة الخلافة العثمانية نجد في متحفها الاسلامي الكبير من هذه المخلفات التي تنسب الى الرسول صلى الله عليه وآله أو أهل بيته واصحابه او التابعين لهم باحسان.

هذا وان الذي اوردناه آنفاً ينسب ايضاً الى العباس بن علي عليه السلام موضوع هذا البحث، حيث نشير هنا الى ان هناك حاجات ومواقع كثيرة تنسب اليه، وانما احتفظت هذه الى هذا الوقت وذلك تثميناً وجزاء وفاقاً لما قدمه هذا الفارس المغوار من جهود وتضحيات في سبيل نصرة كلمة الحق والعدل وسحق نوازع الظلم والعدوان والتي توجها بتقديم نفسه وروحه رخيصة على هذا الطريق.

ومن هذه الاشياء والمواقع التي تنسب اليه عليه السلام ولا زالت بارزة وصامدة الى الآن ولم يعفي عليها الزمن هي:

١ ـ يوم العباس (سابوعاه):

وهو اليوم السابع من شهر محرم الحرام لعام ٦١هـ حيث ان العباس عليه السلام في مثل هذا اليوم كانت قد انيطت به مع بعض خاصة اصحاب الحسين عليه السلام مهمة اقتحام نهر الفرات (العلقمي) عنوة وازاحة جموع الأعداء منه ومن ثم جلب الماء الى الحسين عليه السلام واهل بيته واصحابه المتواجدين داخل المخيم وفي (٢٠) قربة مملوءة منه لارواء عطشهم الذي اخذ منهم كل مأخذ.

لذا يحتفل المسلمون بمثل هذا اليوم من كل عام ويعدّونه يوم العباس ـ كما يعدون يوم الثامن من المحرم يوم على الاكبر ـ حيث يشيدون ويجددون فيه

نضاله عليه السلام وهمته وجهوده في جلب الماء من النهر رغم ما تعرض له من مخاطر عند الذهاب والاياب.

فضلاً عن مساعيه الاخرى في الدفاع عن الحسين عليه السلام وعن المبادئ السامية التي كان يحملها معه عند قدومه الى كربلاء والتي يجدها القارئ الكريم مبسوطة في سطور هذا الكتاب.

٢ ـ مقام كف العباس اليمنى:

ويقع هذا المقام في الجهة الشمالية الشرقية من روضة العباس المطهرة وعلى بعد ما يقرب من (٧٠) متر من جدار هذه الروضة، وفي هذا المكان بالذات كان العباس في العاشر من المحرم يحمل لوحده الماء الى مخيم الحسين عليه السلام بعد ان اقتحم المشرعة وحده وملأ القربة التي كان يحملها بالماء منها، حيث تصدى له في طريق عودته وفي هذا المكان بالتحديد احد مرتزقة جيش ابن سعد وضربه على كفه اليمنى وقطعها حيث هوت هنا الى الارض.

وحينها نقل العباس عليه السلام السيف من يده اليمنى التي قطعت كفها الى اليد اليسرى لغرض حماية الماء الذي يحمله وايصاله بسلام الى مخيم الحسين عليه السلام لارواء عطش من يقيم فيه من النساء والاطفال والمرضى.

هذا وقد تم اعادة تشييد المقام وغطّي بالكاشي والذي يضمّ آيات قرآنية مختلفة فضلاً عن صورة لكفي العباس وابيات من الشعر ومنها ما نظمه السيد جعفر الحلي حول الموضوع وهي:

قشى لمصرعه الحسين وطرفه ... بين الخيام وبينه متقسم

قد رام يلثمه فلم ير موضعاً ... لم يدمه عض السلاح فيلثم

٣ ـ مقام كف العباس اليسرى:

وفي هذا المكان بالذات والقريب من الاول ضرب مرتزق آخر، ضرب العباس عليه السلام على يده اليسرى فقطعها وهوت الى الارض.

ويقع هذا المقام حالياً الى الجنوب الشرقي من الروضة المقدسة وعلى بعد حوالي (٥٠)م من جدار الروضة.

وبسبب التطور الكبير الذي جرىٰ اخيراً على الشوارع والازقة المحيطة والقريبة من الروضة المقدسة ووقوع المقام القديم في وسط الشارع المحيط بالروضة.

لذا فقد نقل هذا المقام الى مكان قريب آخر يجاور المكان السابق، وبالتحديد في وسط زقاق عريض يمتد من شارع المحيط الى محلة باب الخان، حيث شيد على هذا المكان بناء حديث اسطواني الشكل مغطى بالشبابيك والكاشي الكربلائي البديع وهو يتناسب وذكرى صاحبه الشهيد الباسل.

هذا وان تشييد المقامين «كان من وحي العقيدة التي لا نفتأ تدفع بمحبي اهل البيت تشييد المقامات والرموز، اذ يرون في عملهم هذا متمماً لما عليهم من واجب التقديس والحب»[1].

وفي اعلى المقام القديم الذي هدّم بعد وقوعه في وسط الشارع واستبدل بالمقام الحديث القريب منه كانت هناك لوحة من الكاشي كانت قد سجلت عليها الابيات التالية وهي من نظم الشاعر الشيخ محمد السراج الكربلائي:

---

(١) مدينة الحسين ـ محمد حسن مصطفى الكليدار.

سـل اذا مـا شئت واسمع واعلم ثم خـذْ مـن جـواب المـفهم
ان في هـذا المـقام انـقطعت يـسرة العـباس بحـر الكـرم
هـا هـنا يـا صـاح طـاحت بـعدما طـاحت اليمـنى بجـنب العـلقمي
اجـر دمـع العـين وابكـيه اسى حـق ان يُـبكى بـدمعٍ مـن دم

٤ ـ خيمة العباس:

وهذه الخيمة او مكانها يقع عند مدخل المخيم الحالي وبالتحديد بين الباب الرئيسية المطلة على الشارع العام ونهاية الدرجات الست التى تعقبها حيث شيّدتْ على هذا المكان قبة من الكاشي يعلوها علم يكون عاده بلون احمر على مدار السنه حيث يستبدل بآخر وبلون اسود في شهر محرم وصفر فقط من كل عام – وكما هو حال علمي قبتي الحسين والعباس عليهما السلام ـ

ويقال ان هذا المكان هو الموضع الحقيقي الذي نصب عليه العباس عليه السلام خيمته عند وصول ركب الحسين واهل بيته الى كربلاء واستقراره في هذه المنطقة من طف كربلاء[1].

وانما نصب العباس عليه السلام خيمته عند مدخل المخيم بسبب ان مهمته التي كلّف بها كانت الحفاظ على المخيم ومن يضم في اركانه من النساء والاطفال وسواهم فضلاً عن المحافظة عليهم منذ مغادرتهم للمدينة المنورة وحتى وصولهم ارض

---

(١) يرى البعض ان المخيم الحالي ليس هو مخيم الحسين الحقيقي، وعندهم ان مكانه الحقيقي يقع في منطقة المستشفى القديم (خلف حي البلدية) او على طريق الحر (خلف حي السعدية والجمعية)، ونرى ان المخيم الحالي هو الذي استقر عليه الحال عبر مئات السنين، فضلاً عن ان موقعه بقرب الحرمين كان ملائماً لخروج المقاتلين منه في معركة الطف، اضافة لمشاهدة وقائع النزال بين الطرفين من مدخله.

كربلاء في الثاني من المحرم لعام (٦١هـ).

٥ ـ بئر العباس:

وتقع هذه البئر وسط المخيم والى الشمال الشرقي من محراب الحسين عليه السلام داخل المخيم وعلى بعد عدة امتار منه، وقد تم حفر هذه البئر مع اثنين آخرين ـ او اكثر من ذلك ـ من قبل العباس وبامر من الحسين عليه السلام في يوم (٧) محرم حين الم العطش بمن كان يقيم في المخيم، وذلك بسبب تعذّر الوصول الى نهر الفرات (العلقمي) بسهولة، إلا انه مع الاسف لم يعثر على الماء في كل الآبار التي حفرت نظراً لارتفاع سطع الارض في المنطقة التي يتواجد عليها المخيم.

ويظهر ان الآبار التي حفرت قد اندرست لكونها ـ كما نرى ـ كانت في اطراف المخيم عدا هذه البئر الواقعة في قلب المخيم وعند محراب الحسين عليه السلام حيث ظلت على حالها وهي الآن بعمق مترين ومغطاة بشباك من الحديد بطول وعرض ٧٠×٧٠سم لتلافي سقوط احد فيها.

هذا وبسبب تعذّر الحصول على الماء في كل الآبار التي حفرت اضطر العباس في يوم (٧) محرم مع جماعة من انصاره لاقتحام النهر عنوة بعد ان كشف من كان يتولى حمايته من فرسان العدو وجلب الماء منه الى سكان المخيم لارواء ظمئهم.

٦ ـ راية (علم) العباس «علمدار»:

نشير الى كون العباس عليه السلام هو الحامل لراية الحسين عليه السلام في ملحمة كربلاء، لذا فقد ارتبطت كل الرايات والأعلام التي تنصب في المناسبات الدينية والمتعلقة بواقعة الطف، ارتبطت باسم العباس.

فلا عجب ان نجد عند كل حسينية او في كثير من الدور في الباكستان واقطار

اخرى أعلاماً تعلو لعشرات الامتار وقد اعدت كذكرى للعباس عليه السلام في موقفه المشرف ومن واقعة كربلاء ودوره الفعال في الدفاع عن المثل العليا التي قامت عليها.

كما ولا عجب ان نرى شوارع وحدائق تحمل اسم صاحب هذه الراية (ويسمى بالاوردية والفارسية علمدار). حيث نجد في كويته عاصمة اقليم بلوجستان في الباكستان شارعاً مهماً باسم «علمدار رود» وهو يبدأ من مركز البلدة (ميزان چوك) ليخترق شرق المدينة وينتهي عند حافة الجبال المطلة على البلدة من الشرق، فضلاً عن شوارع وازقة اخرى بهذا الاسم وفي هذا البلد أو ذاك.

اما بصدد اسم العباس فهناك العشرات من المدارس والمستشفيات والمستوصفات والصيدليات والفنادق والمساجد والمخافر والاحياء السكنية.

وكل ذلك تيمناً بصاحب هذا الاسم لمكانته المتقدمة في الاسلام ودوره المميز في اعلاء كلمة الحق والعدل والحرية.

٧ ـ زيارة العباس في كل يوم سبت:

تستأثر المشاهد المقدسة في كافة انحاء العالم الاسلامي بل وفي العالم الاسلامي باهتمام محبيها ومريديها، حيث يحرص هؤلاء على زيارة هذه المشاهد بانتظام وخصوصاً في المناسبات المقررة لهذه الزيارة والتي تكون في الغالب عند ذكرى المولد والوفاة او الاعياد او سوى ذلك.

وبقدر تعلق الامر بالمشاهد المقدسة في قطر العراق او بمشهد العباس عليه السلام موضوع هذا البحث، فان الكثير من هذه المشاهد مناسبات مخصوصة ومنصوصة من قبل ائمة الهدى او القادة الروحانيين السابقين، حيث يلتزم باوقاتها ومواعيدها

المقررة هذه الجميع من دون استثناء.

وحيث ان كل مناسبة من هذه ترد مرة كل سنة وانها ـ من ثم ـ في مجموعها بالنسبة للمشهد الواحد لا تتعدى عن اصابع اليد الواحدة في غضون السنة، ممايدع فترة طويلة تفصل بين كل مناسبة والأخرى التي تعقبها.

لذا فقد تداعى واتفق رواد وانصار هذه المشاهد وزوارها على تعيين وترتيب اياماً معينة من كل اسبوع لزيارة هذه المشاهد ليكون حضور الزوار وعن مختلف الاطراف والجهات يتكرر اليها كل اسبوع من دونما توقف او انقطاع.

لذا فقد استقر الأمر والقرار على اعتبار يوم الأحد من كل اسبوع موعداً خاصاً لزيارة مرقد الامام علي عليه السلام في النجف الاشرف ـ اضافة لزيارته المخصوصة كل سنة ـ

واعتبار يوم الاربعاء وقتاً مقرراً لزيارة الامامين الجوادين (الكاظمين) في مدينة الكاظمية، وليلة الجمعة ويومها موعداً ووقتاً مخصوصاً لزيارة الامام الحسين عليه السلام، اضافة لزياراته المخصوصة في السنة والتي تزيد في العدد على عدد زيارات اي مشهد آخر. وحدّد مساء الثلاثاء (ليلة الاربعاء) من كل اسبوع كوقت مقرر لزيارة مسجد الكوفة والسهلة فضلاً عن مشهدي مسلم بن عقيل وهاني بن عروة الذين يقعان الى جوار المسجد الاول.

اما بالنسبة لمشهد ابي الفضل العباس عليه السلام فقد وضع له او استقر الأمر على أن يكون يوم السبت من كل اسبوع موعداً لزيارته. والعجيب هنا ان النساء قد التزمن بهذا الموعد بشكل يثير الانتباه دون الرجال وبعد تحرينا الدقيق عن علة ومردّ اختيار يوم السبت بالذات كوقت مخصوص لزيارة العباس وتقيد النسوة به

بصورة منتظمة دون الرجال.

نعم بعد تحرينا عن خلفيات واوليات وضع هذا اليوم دون سواه ومن جماهير الكبار والمسنين من ذوي العلم والمعرفة ومن الجنسين الرجال والنساء وفي هذا المكان او ذاك ظهر لنا ـ من كل ذلك ـ انه كانت منذ عدة عقود قد تمتد الى قرن من الزمن، كانت هناك امرأة كردية (فيلية النسب) من اهالي محافظة ديالى قد بلغت سن المراهقة ولكن لم يخطبها او يتقدم اليها رجل، وقد استمرت في التقدم بالعمر ولكن من دون ان يتقدم اليها احد ليطلب يدها لذا فقد آثرت هذه المرأة الكردية او قررت من تلقاء نفسها ان تأتي كل يوم سبت الى كربلاء لزيارة مرقد العباس عليه السلام، لعل الله يحقق لها مرادها بواسطة وجاه ومنزلة العباس، وهو ان تجد لها زوجاً مناسباً ومن ثم يرزقها منه ذرية صالحة قبل ان تودع هذه الحياة الدنيا الوداع الأخير.

واخذت هذه المرأة تلتزم بانتظام بزيارة العباس في كل يوم سبت من كل اسبوع، وحين بلغ ترددها سبعة اسابيع واذا بخاطب يتقدم الى دارها ليطلب يدها من ذويها، حيث اعتبرت ذلك من كرامات العباس عليه السلام ومآثره، وجلبت معها بعد خطبتها لحرم العباس الخبز والفاكهة لتوزيعها على زوار هذا الحرم. ويشاهد هنا ان البعض من النسوة القادمات للزيارة في ايام السبت قد يجلبن معهن كميات كبيرة من لفات الخبز والصمون وفي داخلها شيئاً من الخضرة والجبن وتدعى هذه بـ «السفرة» او «سفرة العباس» لغرض توزيعها على الزوار المتواجدين في داخل الحرم. ومردّ جلب هذه السفرة فهو إما لأن مراد هؤلاء قد تحقق او لغرض السرعة في تلبية هذا المراد من الله تعالى ببركة العباس ان لم يكن قد تحقق بعد، وذلك تأسياً بما قامت به المرأة الكردية من قبل بعد تحقق طلبها ومرادها.

تاريخ الروضة العباسية

لقد مرّت عمليات بناء وصيانة وتعميرات كثيرة على الروضة العباسية قبل أن تستقر بشكلها ووضعها الحالي،

ولقد أسهم في هذا البناء والتعمير بعض الخلفاء العباسيين والعثمانيين والصفويين والقاجاريين وبعض امراء ونواب بعض الامارات الهندية، فضلاً عن عدد كثير من المحسنين واهل الخير من المسلمين في هذا القطر او ذاك.

فبعد قيام قبيلة بني اسد بمواراة اجساد شهداء كربلاء الابرار بعد (٣) أيام من استشهادهم على ارض كربلاء عام (٦١هـ) وفقاً للترتيبات والمواضع التي حددها لهم الامام علي بن الحسين عليهما السلام.

قام بعد ذلك الكثير من رجالات المسلمين ـ وعلى مرّ الزمن ـ بابراز وتشييد مراقد هؤلاء الشهداء الكرام لتكون حجة ومثابة ومقصداً لزيارة كل الاحرار والمحبين في طول العالم الاسلامي وعرضه وفقاً او استجابة لمقولة السيدة زينب بنت علي عليها السلام لعلى بن الحسين زين العابدين وهي:

«ينصبون علماً لقبر أبيك الحسين لا يدرس اثره ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والايام وليجتهدن ائمة الكفر واشياع الضلالة في محوه وتطميسه فلا يزداد اثره إلا ظهوراً وامره الا علواً»[1].

---

(١) في احصائية رسمية اعلنتها محافظة كربلاء عن عدد الزائرين الوافدين لمدينة كربلاء لزيارة مرقدي الامام الحسين عليه السلام واخيه العباس عليه السلام في يوم زيارة الاربعين (٢٠ صفر ١٤١٦هـ) ظهر ان

هذا ولقد حرص الطغاة ومنذ الساعات الاولى لشهادة الحسين والعباس عليهما السلام على طمس آثارهما عن طريق انتداب عشرة من الخيالة لكي يسحقوا اجساد الشهداء الابرار حتى لا تصبح لهم قبور فتتحول بمرور الايام الى مزارات يحج اليها الناس من كل مكان.

إلا أن الله تعالى قد خيّب ظنون اولئك الطغاة فأمسى لشهداء كربلاء مشاهد سامية يرتادها الزوار على مدار السنة... وعفى بالمقابل لى كل أثر او رسم او ذكر

عددهم قد قدّر في هذه الاحصائية بـ(٥) ملايين نسمة، بينما قدرت اوساط شعبية اخرى العدد بـ (٧) ملايين نسمة، وطبيعي ان اي من الرقمين الآنفين لم يصله اي تجمع ديني او غير ديني آخر في اية بقعة من العالم وفي اي مناسبة مرّت، وهذا الأمر هو الذي ادركته السيدة زينب عليها السلام بظهر الغيب وجاء عبر خطابها مع ابن اخيها علي زين العابدين عليه السلام.

هذا ما يخص زوار قبر الحسين والعباس عليهما السلام، اما ما يتعلق بالروضة الشريفة فيقول الشاعر محمد مهدي الجواهري:

تعاليت من مفزع للحتوف ... وبورك قبرك من مفزع
تلوذ الدهور فمن سجّد ... على جانبيه ومن ركع

ويقول الشاعر الشيخ عبدالكريم النايف الكربلائي:

هذه روضة قدس ... بحسين الطهر تسطع
تهبط الأملاك فيها ... وعلى الاعتاب تخضع
في بيوت اذن الله ... بان للعرش ترفع

ونظم الشاعر حسن الاسدي

لك مرقد سامي الكواكب رفعة ... كل تمنى انه لك مرقد
كم مأتم لك في السماء ومثله ... في الارض وهو بكل يوم يعقد

ونظم الشيخ علي حيدر يقول:

جعل الله بين قبر حسين ... واخيه مسعى على التحقيق
فهو بيت والناس تأتي اليه ... كل عام من كل فج عميق

لهؤلاء الطغاة وان احتفظ لهم بشيء في الدنيا فهي اللعنة المستمرة التي يوجهها اليهم كل يوم آلاف الناس جراء ما اقترفت ايديهم البشعة من ظلم وجور بعد ان ذهبوا الى مزبلة التاريخ تلاحقهم لعنة الحسين والعباس ومن استشهد معهم من الميامين الابرار.

ونشير بعد هذا بان قبور شهداء كربلاء لم يجر عليها اي تغيير رئيسي يذكر في العهد الاموي حيث خشى زوارها ومريدوها ان يزال اثرها ويعفى رسمها (في حالة ابرازها شاخصة وعالية) من قبل النظام القائم حينذاك.

لذا ظلت على حالها طيلة هذا العهد من دون ان ينالها اي ضرر ودون ان يصيب زوارها اي سوء او مكروه لا سيما في عهد عبدالملك بن مروان واولاده لانه كتب الى واليه الحجاج بن يوسف بهذا الصدد يقول له:

«حسبي من دماء آل ابي طالب فاني رأيت الموت قد استوحش من آل حرب حين سفكوا دمائهم». فكان الحجاج ـ رغم طغيانه وجبروته ـ يتجنب الاضرار او المساس بالقبور او زوارها خوفاً من زوال الملك والسلطان لا خشية من الله تعالى.

هذا وسنمر في ادناه وبعجالة على اسماء وتواريخ كثير ممن اسهم في بناء وتعمير الروضة العباسية وعبر الزمن لتستقر في الاخير على الشكل التي هي عليها الآن ومن دون الدخول في التفاضيل الخاصة بذلك:

١ ـ لقد قام سليمان بن صرد الخزاعي ببناء قبر بسيط على موضع الجسد الطاهر وتبعه المختار الثقفي من السنة التالية اي في عام (٦٦هـ) وذلك باعادة بناء هذا القبر من جديد مع تشييد سرادق فوقه ومسجداً حوله لايواء الوافدين

والقاصدين للزيارة.

٢ ـ ولقد تطور القبر والحرم بعد ذلك حيث جرى في عام (١٩٩هـ) وفي عهد الخليفة العباسي المأمون بناء القبر من جديد مع اضافة بعض الزيادات والملحقات اليه، وبقى الحال هكذا الى ان جاء المتوكل العباسي وامر في عام (٢٣٦هـ) بهدم قبر الحسين عليه السلام وما حوله من المنازل والدور.

٣ ـ وبعد ذلك وفي عهد الخليفة العباسي المنتصر وفي عام (٢٤٧هـ) على وجه التحديد جرى اعادة بناء المرقد وتوسيع الحرم مع وضع سارية على القبر لأرشاد الزوار.

٤ ـ وتولى من ثم عضد الدولة البويهي وفي عام (٣٧١هـ) تعمير وتطوير المرقد بصورة كبيرة وموسعة.

٥ ـ وفي عام (٣٨٠هـ) قام عمران بن شاهين بتجديد المرقد الشريف.

٦ ـ وفي عام (٤٥٠هـ) جرى تعمير المرقد من قبل الامير دبيس الاسدي وهو احد امراء دولة بني مزيد التي اتخذت الحلة الفيحاء حاضرة لملكها.

٧ ـ اما الخليفة العباسي الناصر لدين الله فقد قام في عام (٥٤٥هـ) بتعمير المرقد المطهر.

٨ ـ وفي عام (٦٢٠هـ) تولى احمد بن الناصر لدين الله تعمير المرقد والحرم.

٩ ـ كما وقام السلطان أويس حسن الجلائري وفي عام (٧٦٤هـ) بتجديد المرقد والحرم.

١٠ ـ وتبع ذلك وفي عام (٨٥٩هـ) قيام احد امراء دولة الخروف الأسود بتعمير المرقد.

١١ ـ ومن ثم تولى السلطان اسماعيل الصفوي وفي عام (٩١٤هـ) تعمير وتطوير المرقد والحرم.

١٢ ـ ثم تبع ذلك قيام السلطان العثماني سليمان القانوني وفي عام (٩٤١هـ) بتطوير المرقد.

١٣ ـ وفي عام (١٠٤٨هـ) تولى صفي الدين الصفوي تعمير المرقد.

١٤ ـ وقام السلطان العثماني مراد الرابع وفي عام (١١١٧هـ) بتعمير مرقد العباس وحرمه.

١٥ ـ ثم قام السلطان نادر شاه افشار في عام (١١٥٦هـ) بتعمير المرقد.

١٦ ـ وفي عام (١٢١٤هـ) تولى السلطان القاجاري فتح علي شاه تطوير وتجديد المرقد والحرم.

١٧ ـ وجرى في عام (١٢٥٩هـ) ومن قبل نواب أمارة اودة في الهند تعمير بعض اجزاء المرقد.

١٨ ـ ثم امر السلطان العثماني عبد المجيد الاول وفي عام (١٢٦٦هـ) بتعمير وبناء المرقد المقدس.

١٩ ـ وفي سنة (١٢٧٣هـ) قام السلطان القاجاري ناصر الدين شاه بتعمير الحرم والمرقد.

٢٠ ـ وفي عام (١٢٠٠هـ) تولت السيدة تاج محل وهي احدى كريمات احد نواب احدى امارات الهند بالتبرع لتطوير الحرم العباسي.

٢١ ـ وتولى السلطان العثماني عبد الحميد الثاني وفي عام (١٣٠٩هـ) تعمير

المرقد والحرم.

٢٢ ـ ثم تولت بعد ذلك ومنذ عام (١٢٢٥هـ) بالحرم العباسي، تبرع بعض المحسنين في العالم مثل سلطان البهرة طاهر سيف الدين في عام (١٣٥٥هـ) وسواه ـ في الاسهام في تعمير الحرم وتوسيعة وتطويره ـ

ومرد ذلك هو ان الروضة العباسية المقدسة ليست هي فقط محجة ومزاره وقبلة لأهل القطر بل هي في الحقيقة لكل المسلمين في كل ارجاء العالم.

لذا كانت تبرعات كل هؤلاء المسلمين في بناء المرقد والحرم سخية وكبيرة.

اما عن الضريح (الشباك) الحالي لابي الفضل العباس المنصوب على القبر الشريف، فقد صنع في ايران وفي مدينة اصفهان بالتحديد، وهو مصنوع من الفضة والذهب بتبرعات من جماهير المسلمين، وقد نقل الى العراق ونصب فوق القبر عام (١٢٨٥ ـ ١٩٦٦هـ) وكان ذلك في احتفال عظيم وكبير بما ليس له نظير.

علماً بان هذا الضريح كان قد اعدّ بتوصية وتوجيه من الامام الاكبر السيد محسن الحكيم الطباطبائي (ت ١٩٧٠) بعد تقديم سلطان البهرة لضريح هو دون حجم ومساحة الضريح الحالي والذي نقل ليتصب في مسجد رأس الحسين بالقاهرة في جمهورية مصر العربية.

كما نقل ضريح العباس القديم لينصب على مرقد مسلم بن عقيل في الكوفة.

ولقد ارخ الخطيب السيد علي بن الحسين الهاشمي تاريخ نصب الضريح الجديد بقوله:

ان جئت لمرقد المواسي من كان لهاشم ضريحه
قف عند ضريحه وارّخ (لله منوّر ضريحه) ١٣٨٥هـ

كما وتزّين أعالى جوانب هذا الضريح وفي جهاته الاربعة قصيدة شعرية للعلامة السيد جمال الهاشمي نقتطف منها هذه الابيات:

ضريحك مفزعنا الأمنع ... به كل نازلة تدفع
وبابك للخلق باب النجاة ... تلوذ بعروته الرّوع
ابا الفضل والفضل ينمى اليك ... فانت لألطافه منبع
ويا بطل الطف هذا لواك ... على كل شاهقة يرفع
وهذا حسامك انشودة ... بها ينتشي البطل الاروع
وكفاك مقطوعة نعمة ... بها كل مكرمة تسجع
وراسك يرفع فوق القناة ... هو الشمس في افقها تسطع

اما قبة العباس الحالية فقد شيّدت وغطيت بالقاشاني البديع عام (١٣٠٥هـ) كما هو مثبت عليها، وبناء على طلب كثير من الناس في البلد وخارجه بصدد تذهيب هذه القبة ـ اسوة بقية اخيه الحسين عليه السلام ـ فقد قامت الجهات المسؤولة في القطر بالاستجابة لنداء الجماهير وذلك في عام (١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م) بتذهيب هذه القبة بعد ن تم قلع القاشاني واستبدا له بطابوق الذهب والذي بلغ تعداده (٦٤١٨) طابوقة.

وقد أرخ تذهيب القبة الشاعر الكربلائي السيد مرتضى الوهاب قصيدة طويلة جاء في آخرها:

قبة فوق الثريا ارتفعت ... وعلى الآفاق بدراً طلعت
من ابي الفضل بنور سطعت ... وحكى تاريخها (صدقاً على مرقد العباس تاج الذهب) ١٩٥٥م

كما وارّخها السيد محمد بن السيد حيدر الحلي بقوله:

قـــبة العـــباس لمـــا ذهـــبت شرف الابـــريز مـــنها المـــرقد
لم تـــز بـــالتبر لا بـــل ارخـــوا (بابي الفضل انار العسجد)١٣٧٦هـ

هذا واذا ما كان هناك فرق بين قبتي العباس والحسين من جهة التذهيب فهو في نقطة واحدة يخص مساحة التذهيب، فقبة الحسين يمتد تذهيبها الى نهايتها، اي الى عند سطح الحرم، اما قبة العباس فيمتد تذهيبها الى قمة الشبابيك القائمة في اسفل القبة. وانما ترك اسفل القبة بالقاشاني من دون تذهيب وذلك ـ كما ارى ـ ليتلاءم ويتناسب مع نصف المثذنتين اللتين تليا حوضهما من الاسفل حيث هما ايضاً من القاشاني بينما تم تذهيب النصف الاعلى (فوق الحوض) منذ مدة.

هذا ونشير الى ان ما طرأ على مرقد الامام الحسين عليه السلام من تطور وازدهار عبر الزمن قد اصاب في نفس الوقت عادة مرقد العباس عليه السلام، كما وان ما اصاب قبره وحرمه من اضرار وسلب وتلف عبر التاريخ ـ والذي كان آخره ما اوقعه الوهابيون بالمرقد عند غزوهم لكربلاء عام (١٢١٦هـ ـ ١٨٠١م) قد اصاب مرقد العباس ايضاً، وذلك لمكانة العباس المميزة عند الحسين عليه السلام بل ومكانته عند كل الاحرار والأبرار والاباة في العالم. حيث ان الجهة التي كانت تتولى بناء وصيانة وتعمير مرقد وحرم الحسين عليه السلام كانت تتولى ـ في العادة ـ نفس الشيء بالنسبة لمرقد وحرم العباس.

وهذا ادى الى تشابه الروضتين الى حد بعيد وبنفس العظمة والفخامة.

فالحسين هو العباس والأخير هو روح الحسين وعموده الفقري وذراعه وعينية... الخ. وعن هذه الحالة نظم احد الشعراء وهو الشيخ محمد السماوي يقول:

وكـــل مـــن شـــاد بـــناء السبط شـــاد بـــنا اخـــيه بـــين الرهـط

فـهو العـفرناة[١] الشـديد البأس ومـــن تـــرى كـالضيغم العـباس

إلا ان الشيء الذي يلفت النظر في بناء الروضة العباسية ـ وهو غير موجود في الروضة الحسينية ـ هو أنها مشيدة وقائمة على نفق بديع يحفّ بالروضة ويؤدي ويصل الى المكان الذي دفن فيه جسد ابي الفضل العباس عليه السلام وقد تم بناء واعداد هذا النفق على شكل هندسي عجيب يشير الى عظمة الفن المعماري القديم.

وللنفق هذا ثلاثة شبابيك مستطيلة من الجهات الشرقية والشمالية والغربية لغرض تبديل الهواء، كما ويمكن الدخول اليه عبر احد اروقة الروضة المقدسة.

علماً بانه لا يسمح لاي شخص بالدخول الى هذا النفق وبالتالي الوصول الى مكان قبر العباس عليه السلام الذي يقع اسفل الضريح (الشباك) إلا بتصريح خاص.

واظن ان آخر مسؤول كبير سمح له بالدخول هو (آصف علي زرداري) زوج (بينظير بوتو) رئيسة وزراء الباكستان السابقة وذلك في خلال زيارتهما لكربلاء في شهر آذار من عام (١٩٩٠م) حيث كانت معه في الحرم عند دخوله الى النفق.

وعند عودته الى وطنه شرح لجماهير الشعب الباكستاني عبر الوسائل الاعلامية المختلفة تفاصيل مشاهداته تحت الروضة العباسية وقرب القبر العباس عليه السلام المقدس، حيث اعتبر ذلك اثمن واسمى واعز مكان كان قد شاهده في حياته كلها، كما وكانت اسعد امنية قد تحققت له عبر رسني حياته.

لقد سمع الباكستانيون ما قاله لهم (آصف علي) عن زيارته هذه للعباس عليه السلام، وكلما جاء احد منهم لزيارة كربلاء استفسر عن امكانية الدخول الى نفق الروضة العباسية.

---

(١) العفرناة هو احد اسماء الاسد.

سدنة الروضة العباسية

بعد ان شرحنا في الفصل السابق مراحل بناء وتطوير الروضة العباسية المقدسة، نتناول في هذا الفصل اسماء السادة الذين تولوا سدانة هذه الروضة وتواريخ ذلك منذ القرن العاشر الهجري الى الوقت الحاضر[١].

ويلاحظ بان هناك فراغات في الزمن بين تواريخ انهاء السدنة السابقين لوظائفهم وبين تواريخ الآخرين الذين اعقبوهم في اشغال هذه الوظائف.

ونرى ان مردّ ذلك يرجع الى وفاة السادن مع التأخر في تعيين او تنسيب اللاحق لحين حصول الاجراءات والخطوات لتعين او تثبيت السادن الجديد.

«وبهذه المناسبة نشير الى ان سدانة الروضة العباسية لم تكن في البداية والى وقت قريب مستقلة تماماً عن سدانة الروضة الحسينية، وانما كانت تابعة او ملحقة بسدانة الروضة الحسينية.. وفي سبيل تخفيف الاعباء عن سادن الروضة الحسينية، كان الأخير ينيب عنه من يراه اهلاً وكفؤ الادارة شؤون ومهام الروضة العباسية.

ولقد استمرت هذه الحالة الى عهد السادن السيد مرتضى السيد مصطفى ضياء

---

(١) ان مهنة السدانة التي يشغلها السادن (الكليدار) تتعلق بالاشراف على تعمير وتطوير الحرم والمحافظة على ممتلكاته، فضلاً عن اضائته بالليل وغلق ابوابه وتأمين نظافته وتشغيل وسائل التكييف باستمرار مع الحرص على تأمين دخول الزوار اليه بانسيابية، اضافة الى استقبال والترحيب بكبار الزوار.

الدين (آل ضوي) حيث سعى الأخير لفصل سدانة الروضة العباسية عن الحسينية وجعلها سدانة قائمة بذاتها اسوة بسدانة الروضة الحسينية، وقد تم له ذلك، حيث تم فصل السدانتين احدهما عن الأخرى وباتت كل واحدة تعمل ضمن المشهد المقدس الخاص بها والى هذا اليوم»[1].

اما اسماء من تولى سدانة الروضة العباسية كنائب او كممثل لسادن الروضة الحسينية او مستقلاً عنه منذ القرن العاشر الهجري حتى الآن على وجه الاختصار هم:

١ ـ السادن الاول: هو محمد بن نعمة الله وذلك عام (١٠٢٥هـ) واستمر في عمله هذا حتى وفاته.

٢ ـ السادن الثاني: كان الشيخ حمزة السلامي (نسبة الى عشيرة السلالمة العراقية) وذلك في عام (١٠٩١هـ) والى ما بعد عام (١١٠٨هـ).

٣ ـ السادن الثالث: هو الشيخ محمد شريف الذي تولى السدانة بعد وفاة السادن السابق وكان سادناً عام (١١٦١هـ) وظل شاغلها حتى وفاته.

٤ ـ الرابع: هو الشيخ امد الخازن وقد تولى اعباء السدانة بعد رحيل السادن السابق وقد توفي في عام (١١٨٧هـ).

٥ ـ الخامس: هو الشيخ علي بن عبد الرسول، وتولى السدانة عام (١١٨٧هـ) واستمر في اداء مهام عمله الى ما بعد عام (١٢٢٢هـ) وحتى وفاته، وهو جد المرحوم الشيخ محمد علي محمود الكيشوان في الروضة العباسية، وتعرف اسرته في الوقت الحاضر ببيت الشيخ وتنتمي هذه الاسرة الى قبيلة جشعم

(١) مديحة الحسين ـ محمد حسن مصطفى الكليدار آل طعمة.

العربية.

٦ ـ السادس: هو الشيخ عبد الجليل الكليدار، وقد تولى السدانة عام (١٢٢٤هـ)، و قد تم عزله من عمله لاسباب لم نقف عليها بعد.

٧ ـ السابع: هو السيد محمد علي بن درويش بن محمد آل ثابت ويرجع نسبه الى ثابت بن سلطان كمال الدين نقيب نقباء العراق في عام (٩٥٧هـ)، وهو الجد الاعلى لاسرة آل ثابت في كربلاء، وقد تولى السدانة في عام (١٢٢٥هـ) والى ما بعد عام (١٢٢٩هـ).

٨ ـ الثامن: هو السيد ثابت بن درويش وهو اخ السادن السابق، وكان سادناً في عام (١٢٣٢هـ) والى ما بعد عام (١٢٣٨هـ) وحتى وفاته.

٩ ـ التاسع: هو السيد عبد الوهاب السيد محمد علي بن عباس آل طعمة علم الدين، وهو جد بيت الوهاب من آل طعمة وتوفي عام (١٢٧١هـ).

١٠ ـ العاشر: هو السيد محمد بن جعفر بن مصطفى بن أحمد آل طعمة الى نعمة الله بن طعمة علم الدين من آل فائز الموسوي، وكان سادناً للروضة عام (١٢٥٠هـ) ولكن لفترة قصيرة.

١١ ـ الحادي عشر: هو السيد حسين بن حسن بن محمد علي بن موسى وهو الجد الاعلى السادات آل الوهاب في كربلاء، وقد تولى السدانة عام (١٢٥١هـ) حتى عام (١٢٦٥هـ) ثم عزل عن السدانة.

١٢ ـ الثاني عشر: هو السيد سعيد بن سلطان بن ثابت وتولى السدانة عام (١٢٦٥هـ) وهو من سلالة سلطان كمال الدين، تولى السدانة بعد عزل السادن السابق، وقد توفى في عام (١٢٨٥هـ).

١٣ ـ الثالث عشر: وهو السيد حسين المشهور بـ «نائب التولية» من ال ثابت وهو نجل السادن السابق وتولى السدانة بعد رحيل والده.

١٤ ـ الرابع عشر: هو السيد حسين بن محمد علي بن مصطفى ال ضياء الدين وهو من سلالة طعمة كمال الدين، الفائزي وقد تولى السدانة تمام (١٢٨٦هـ) وحتى وفاته والتي كانت في عام (١٢٨٨هـ).

١٥ ـ الخامس عشر: وهو السيد مصطفى نجل السادن السابق، حيث خلف أباه في مهام السدانة بعد رحيله والذي تم هذا في اوائل عام (١٢٨٩هـ) ولبث في السدانة الى وقت وفاته في عام (١٢٩٧هـ).

١٦ ـ السادس عشر: هو السيد محمد مهدي بن محمد كاظم آل طعمة، وينتسب الى طعمة علم الدين الفائزي ولقد تولى السدانة عام (١٢٩٧هـ) وقد شغلها حتى عام (١٢٩٨هـ) حيث عزل عنها.

١٧ ـ السابع عشر: هو السيد مرتضى نجل السيد مصطفى والاخير هو السادن (١٥) آنفا للروضة العباسية، وينتسب الى بيت ضياء الدين (ضوي) وهو صاحب مشروع أسالة الماء في كربلاء والذي حصل على امتياز خاص لاقامته من السلطة لمدة (٦٠) سنة. وقد تولى السدانة عام (١٢٩٨هـ) ومكث يشغلها الى تاريخ وفاته والتي كانت في عام (١٣٥٧هـ) المصادف ١٩٣٨/٥/١٧.

١٨ ـ الثامن عشر: هو السيد محمد حسن ال ضياء الدين نجل السادن السابق ويعرف بـ (آغا حسن) وتولى السدانة بعد رحيل والده وانتقل اليه مشروع اسالة الماء، واستمر في اشغال السدانة لغاية وفاته في عام (١٣٧٢هـ) المصادف لعام ١٩٥٢.

١٩ـ التاسع عشر: هو السيد بدر الدين ال ضياء الدين وهو الابن الاكبر للسادن السابق وتولى السدانة بعد رحيل والده واستمر حسن السيد صافي ال ضياء الدين وكيلاً عنه في ادارة شؤون الروضة المقدسة.

٢٠ ـ العشرون: هو السيد محمد حسين بن السيد مهدي ال ضياء الدين وقد تولى السدانة عام (١٤٠٢هـ) واستمر في اشغالها حتى عام (١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م).

٢١ ـ الواحد والعشرون: هو السيد مهدي بن السيد فاضل الغرابي، وتولى السدانة عام (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢) ولا يزال يشغلها حتى الوقت الحاضر.

تطوير الروضة العباسية

بالنظر لقدسية ومكانة الروضتين المطهرتين العباسية والحسينية لدى عموم المسلمين في مشارق الارض ومغاربها، فقد قدم الأخ السيد محمد رضا احمد الطعمة مقترحات وآراء وبرامج لتطويرهما، فضلاً عن تطوير مدينة كربلاء المقدسة وقد جمعها المؤلف في كتابه المخطوط الموسوم بـ «مشروع برنامج لتطوير مدينة كربلاء ـ مدينة الحسين والعباس عليهما السلام» وقد تم اصداره عم ١٩٩٢، ولمن يرغب في الاطلاع على المقترحات الخاصة بالروضة الحسينية او بمدينة كربلاء عليه الرجوع الى الكتاب المذكور.

اما بقدر تعلق الأمر بالروضة العباسية ـ موضوع هذا البحث ـ فنشير في ادناه الى المقترحات التي قدّمها المؤلف والخاصة بتطوير الروضة المذكورة، وهي قابلة للمناقشة والتداول .

هذا وحين ننشر في ادناه المقترحات الآنفة والخاصة بتطوير الروضة العباسية والتي آثرنا ان تكون في الصفحات الأخيرة لهذا البحث، نرجو ان تكون جزءاً من مساهمات جيلنا الحاضر لخدمة القبات المقدسة.

وقد تكون بعض هذه المقترحات وجيهة وجيدة وهذا يتطلب انجازها سريعاً وقد يكون البعض منها دون ذلك ويتطلب الحال هنا وقتاً قد يطول او يقصر لدراستها وقرائتها لبيان مدى فعاليتها وضرورتها، وهذا امر موكول لوزارة الاوقاف ودوائرها واجهزتها المختصة في المحافظة او القطر فضلاً عن كل المسؤولين

الخيرين في البلاد. والمقترحات موضوعة البحث هي[١]:

١ ـ اقامة متحف:

يشير المؤلف في كتابه الآنف الذكر الى ضرورة «عرض التحف النفيسة في متحفي سيدنا الحسين وسيدنا العباس عليهما السلام، فالمتحف يكون واجهة حضارية للعتبات المقدسة ويحافظ على الموقوفات.

٢ ـ تقويم المأذنتين:

يقول المؤلف حرفياً حول هذا الموضوع: «نظراً لشخصية سيدنا العباس عليه السلام صاحب الكرامات التي يعرفها القاصي والداني، وما تركه من اثر في واقعة الطف باستشهاده واخوته الاربعة حيث اصبح رمزاً للتضحية والفداء، لذا اقترح هدم المنارتين الى الاسفل وبناء (اكساء) واجهتيهما ـ بعد بنائهما ـ بالذهب.

لقد قامت وزارة الاوقاف بهدم الاجزاء العليا من المنارتين وبنائهما مجدداً، وهذا خطأ كبير حيث ان المنارة عند ما مالت من الاعلى معناه انها تعبت على مدار السنين خاصة بوجود المياه الجوفية وحشرة الارض، وبهذا كان الاجدر القيام بعمل جذري بدل الاعمال الجزئية والتي لا تثمر شيئاً ويعود الخلل على المدى البعيد».

٣ ـ تكوين مؤسسة:

يقترح المؤلف في كتابه آنف الذكر حرفياً: «تكوين مؤسسة ذات شخصية

---

(١) نشير الى ان هناك اقتراحات كان قد قدمها المؤلف لتطوير الروضة العباسية وقد نفذت وانجزت بالتمام والكمال من قبل وزارة الاوقاف ومنها على سبيل المثال: تذهيب الطارمة الامامية... الخ وبسبب تنفيذ واكمال هذه المقترحات لم نر مسوغاً لذكرها ودرجها هنا.

معنوية تضم الروضتين، ولغرض النهوض بالعتبات المقدسة والمؤسسات الرسمية وشبه الرسمية نرجو اعادة صناديق الاقتراحات والشكاوي على ابواب المؤسسات لاستمزاج جمع الآراء وبلورتها».

٤ ـ تذهيب اسفل القبة:

يرى المؤلف ويذهب الى: «تذهيب الجزء الاسفل من قبة سيدنا العباس عليه السلام وتنظيف وتلميع ذهب الروضتين بين فترة واخرى».

٥ ـ اقامة ساعة حديثة:

يقترح المؤلف ايضاً: «بناء ساعة حديثة في الروضة العباسية كالتي في الروضة الحسينية وفي الجهة الغربية لكي لا تحجب القبة والمنائر».

٦ ـ بناء سياج خاص للصحن:

يقول المؤلف عن هذه النقطة بالحرف انه «يقترح انشاء سياج خارجي للصحن في كل من الحرمين بارتفاع (٥م) بدل السياج المرتفع الحالي الذي يحجب النواحي الهندسية والمعمارية والجمالية لهذه العتبات المقدسة وهذا السياج عمل في الكعبة المشرفة».

٧ ـ انماء اموال الحرم:

يرى المؤلف فيما يراه في كتابه الآنف ضرورة «انماء اموال الحرمين المودعة في البنك واقتراح انشاء عمارة بها تنفد على مراحل من واردات الروضتين، لان استثمار الاموال يؤدي الى نشاط اقتصادي وعمراني وكذلك الى تعمير مدينة كربلاء، وان هذه العملية قد جرتْ في معظم المؤسسات الدينية في العالم سواء منها الاسلامية او المسيحية».

٨ـ اقامة معهد عال لخدمة الروضات المقدسة:

يقول المؤلف عن هذا المعهد العالي للخدم بالحرف: «منذ مائة سنة تقريباً وجدت جماعات الخدم لخدمة العتبات المقدسة، وقد صدر في العهد الملكي قانون العتبات المقدسة جعل بموجبه الخدمة في هذه العتبات عن طريق الوراثة، والغرض من ذلك حصر هذه المهنة بسلالات يعرفون كيفية اداء هذه الخدمة ومراسيمها.

ولكن بظهور المدارس وتقدم المجتمع ثقافياً جعل القائم بالخدمة اذا لم يلم بقدر من الثقافة والعلوم يصبح عاجزاً عن اداء عمله ودوره بطريقة صحيحة.

ان انشاء مثل هذا المعهد وتلقي منتسبيه دروساً في اللغة العربية وقواعداً في الدين والفقه وغيرها من العلوم التي لها مساس بعملهم في الروضة مما يضفي جانباً مهماً من جوانب تطوير العتبات المقدسة.

وبما ان الانتساب في الخدمة هو عن طريق الوراثة فلا بأس من ان يفتح مثل هذا المعهد لخريجي الاعدادية من خدم الروضات المقدسة، على ان تفتح بعض الدورات التثقيفية لمن لا يحملون الشهادة الاعدادية.

ومجمل القول نقترح ان تكون جميع التعينات الجديدة لخريجي الدراسة الاعدادية والمتوسطة على ان يبقى السابقون يمارسون اعمالهم».

٩ـ ضم جميع العتبات المقدسة في العراق بمؤسسة:

يقترح المؤلف هنا ويدعو بالحرف الى: «ضم جميع العتبات المقدسة بمؤسسة شبه رسمية صاحبة استقلال معنوي ومادي وهي تأخذ على عاتقها اعطاء الرواتب للجهاز الاداري لهذه العتبات وشؤون الصرف الأخرى.

كما تقوم هذه المؤسسة باستثمار الاموال الفائضة المدخرة من العتبات المقدسة في العراق بانشاء اسواق وعمارات بها وصرف وارداتها على شؤون العتبات المقدسة واعطاء جزء منها للارامل والايتام والفقراء.

اما مقترحاتنا

مقترحاتنا الخاصة بتطوير الحرم وتمشية مهامه بانتظام فنشير هنا الى بعض منها والتي ادركناها خلال ترددنا المستمر على الحرم واحتكاكنا بزواره القادمين اليه من القطر او خارجه فهي كما يلي وبصورة موجزة:

١ ـ يفتقر الحرم الى الساعات الجدارية والارضية (والتي كانت سابقاً) لغرض تحديد الوقت، حيث ان غالبية المزارات في العالم تزخر بمثل هذه الساعات وباحجام مختلفة.

كما نقترح الاسراع في تصليح الساعة الكبيرة القائمة فوق باب القبلة والذي كان صوتها يسمع في يوم من الايام في اقصى البلدة.

٢ ـ ضرورة الاهتمام بمضيف العباس عليه السلام حيث نقترح ان تقدم فيه وباليد وجبة سريعة (تكون جاهزة في اواني بلاستيكية رقيقة) تقدم الى الزوار وخصوصاً القادمين من خارج القطر، كما هو حال بعض مزارات العالم، ويمكن هنا تناول الوجبة في داخل المضيف او اخذها معهم لتناولها في الفنادق ومحلات السكن[1].

٣ ـ هناك تزاحم وتداخل عند الزيارة بين الرجال والنساء، ونرى هنا امكانية فصل الطواف عند الضريح اما بصورة دائمة كما هو عليه في مرقد الامام الرضا عليه السلام

---

(١) كما هو الحال في مضيف الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام حيث يتم اطعام ما لا يقل عن (١٠٠٠) شخص في اليوم الواحد.

في مشهد او السيدة زينب والسيدة رقية في دمشق، واما بصورة مؤقتة وعند الزيارات والازدحام فقط، علماً بانه بدء العمل بهذا المقترح في مرقد الجوادين في الكاظمية.

٤ ـ يشكو زوار الروضة من ان ابوابها تغلق مبكراً من الليل، فضلاً عن غلقها عند فتح الضريح (الشباك) او سوى ذلك، ونرى ان يكون غلق ابواب الروضة عند قرب فراغ الحرم من الزوار، وان يكون فتح الضريح عادة بعد وقت غلق الحرم المقرر يومياً.

٥ ـ ان الكشوانيات الحالية في مداخل الحرم تضيق بالزوار خلال الزيارات وليالي الجمع وايامها، ونقترح هنا فتح كشوانيات (عدد/٢) في الجهة الشرقية من الحرم وعلى امتداد او في مقابل الأثنين اللتين هما على استقامتهما من الجهة الغربية للحرم، لغرض امتصاص زحام الزوار الداخلين للروضة عبر بابي الفرات (العلقمي) والامام علي الهادي عليه السلام

٦ ـ عن اماكن شرب الماء والوضوء نرى العناية بالبراد الكبير الخاص بالروضة والواقع عند باب الامام الكاظم عليه السلام وان تكون صيانته مستمرة لعطل بعض حنفياته وانقطاع الماء احياناً، ونقترح ان يكون هناك محل كبير وقريب للوضوء فقط لخدمة الزائرين.

٧ ـ ان محلات وضع المصاحف الشريفة تحتاج الى عناية وتنظيم، كما وان عدد المصاحف قليلة، وكثير منها يحتاج الى تجليد، ونرى هنا تنسيب احد الخدمة ليكون مسؤولاً عنها اضافة لواجباته الاعتيادية داخل الحرم.

٨ ـ نرى منع الزوار من النوم في اروقة الحرم وخصوصاً في الصيف لان هذه ظاهرة غير حضارية ولا نجدها في المزارات خارج القطر.

اروع ما قيل في رثاء العباس

تستأثر الحوادث المفجعة التي تجري في ارجاء العالم باهتمام بالغ وعناية فائقة من قبل الكتاب والشعراء وارباب القلم والفكر.

ولو ان مثل هذه الحوادث المؤلمة لو قدر لها ان تصيب وتقع على اهل البيت عليهم السلام الذين اذهب الله عنهم الرجس، لكان الاهتمام بها هنا يزيد ويتضاعف فيما لو اصابت سواهم، لما لهذا البيت الكريم من مكانة مرموقة في نفوس ابناء المسلمين ودرجة مميزة في قلوبهم لا يضاهيها احد والذي نظم احد الشعراء عنهم يقول:

ولولا هم لم يخلق الله آدما ولا كان زيد في الانام ولا عمرو
ولا سطحت في الكائنات ولا رفعت سما ولا طلعت شمس ولا شرق البدر
سرى سرهم في الكائنات وفضلهم فكل نبي فيه من سرهم سر

ولقد كان استشهاد ابو الشهداء الحسين عليه السلام واخيه ابو الفضل العباس عليه السلام في كربلاء عام (٦٠هـ) مع حشد من اصحابهما واقاربهما وبالكيفية والطريقة التي تمت بها ويعرفها كل انسان، كان لهذا الاستشهاد اوانه وفر مجالاً خصباً ونواة للكتابة ونظم العشرات بل المئات من الكتب وقصائد العزاء سواء بالفصيح او العامية (الشعبية).

وكل هذه تدور طبعاً حول حوادث وتفصيلات ملحمة كربلاء وما رافقها من مآسي ونوائب، فضلاً عن آنهاتؤرخ كل هذه الامور ساعة بساعة وبدءاً من مغادرة

الأخوين الحسين والعباس عليهما السلام مع بقية اقربائها المدينة المنورة الى مكة المكرمة ومن الاخيرة الى كربلاء، وتفاصيل استشهاد الجميع عيل هذه الأرض الطاهرة ووقائع رحيل ما تبقى من اهل البيت من الاطفال والنسوة كأسرى حرب من كربلاء الى الكوفة ومن ثم الى الشام برفقة رؤوس الشهداء وفي طليعتها رأسي الحسين والعباس عليهما السلام والمرفوعة على رؤوس الرماح لتطال السماء، ومن ثم مسيرة هذا الركب الى المدينة المنورة حيث مكان الانطلاق الأول، حيث يمكن تسمية كل ما سجل وكتب عن هذه المشاهد المؤلمة والمحزنة بـ «الادب الحسيني».

ولقد آثرنا هنا ان ننقل فيما يلي بعض ما نظمه الشعراء من شعر يعبر عن مشاعرهم واحاسيسهم ازاء ما اصاب العباس بن علي عليهما السلام من مآسي وكوارث على ارض كربلاء والتي هزتهم واخذت منهم كل مأخذ.

علماً بان هذا الشعر عندما يؤرخ للعباس عليه السلام ومصابه فانه يشير في نفس الوقت الى اخيه الحسين عليه السلام في كثير او قليل بسبب ان مصاب الاخوين متلازمان ولا يمكن ابعاد او فصل احدهما عن الآخر، إلا كما يفصل نور الشمس عن الشمس نفسها، وان مصابهما ورزيتهما هما من العظمة والمكانة ما انست سواهما وفي ذلك يقول الشاعر الاعسم:

أنست رزيـــتكم رزايـــانا التي سـلفت وهـونت الرزايـا الآتـية

وما نظم من الشعر في حق العباس والذي اخترناه في هذا البحث هو:

يقول حفيد العباس محمد بن الفضل بن الحسين بن عبيدالله في شأن جده الاعلى:

اني لأذكر العباس موقفه الذي ... بكربلاء وهام القوم يختطف
يحمي الحسين ويحميه على ظمأ ... ولا يولي ولا يثني فيختلف
ولا ارى مشهداً يوماً كمشهده ... مع الحسين عليه الفضل والشرف
اكرم به مشهداً بانت فضيلته ... وما اضاع له افعاله خلف

ونظم حفيده الفضل بن الحسين يقول:

احق الناس ان يبكى عليه ... فتى ابكى الحسين بكربلاء
اخوه وابن والده علي ... ابوالفضل المضرّج بالدماء
ومن واساه لا يثنيه شيء ... وجاد له على عطش بماء

وللسيد جعفر الحلي قصيدة عصماء في رثاء العباس طالما يرددها الخطباء في مجالسهم ولقد جاء في بعضها:

وقع العذاب على جيوش امية ... من باسل هو في الوقائع معلم
عبست وجوه القوم خوف الموت ... والعباس فيهم ضاحك متبسم
او تشتكي العطش الفواطم عنده ... ويصدر صعدته الفرات المفعم
قلب اليمين على الشمال وغاص في ... الارساط يحصد للرؤوس ويحطم
ولو استق نهر المجرة لارتق ... وطويل ذابله اليها سلم
لو سد ذوالقرنين دون وروده ... نسفته همته بما هو اعظم
في كفه اليسرى السقا يقله ... وبكفه اليمنى الحسام المخذم
بطل اذا ركب المطهم خلته ... جبل أشم يخف فيه مطهم
ما شد غضباناً على ملمومة ... إلا رحلّ بها البلاء المبرم
قسماً بصارمه الصقيل وانني ... في غير صاعقة السماء لا اقسم
لولا القضا لمحا الوجود بسيفه ... والله يقضي ما يشاء ويحكم
صبغ الخيول برمحه حتى غدا ... سيان اشقر لونها والأدهم

وهـــوى بجـنب العـلقمي فـليته ... للشـــاربين بـــه يـداف العـلقم
وغـدا يهـم بـان يـصول فـلم يـطق ... كـــــالليث اذ اظـــفاره تـــتقلم
فـــشى لمـصرعه الحسـين وطـرفه ... بـــين الخـــيام وبـــينه مـتقسم
الفـــاه محـــجوب الجـمال كأنـه ... بـــدر بمـنحطم الوشـيج مـلثم
فـــاكب مـنحنياً عـليه ودمـعه ... صـبغ البسـيط كـانما هـو عـندم
قـد رام يـلثمه فـلم يـر مـوضعاً ... لم يـــدمه عـضّ السـلاح فـيلثم
نـادى وقـد مـلأ البـوادي صيحة ... صمّ الصـــخور لهـــولها تـــتألم
أأخـى مـن يحـمي بـنات محمد ... اذ صرن يسـترحـن مـن لا يـرحم
أأخـــي يهـنيك النـعيم ولم اخـل ... تـــرضى بـان ارزى وأنت مـنعم
ما خلت بـعدك ان تشـل سـواعـدي ... وتكـف بـاصرتي وظـهري يـقصم
هذا حسـامك مـن يـذل بـه العـدى ... ولواك هـــذا مـــن بـه يـتقدم
يـا مـالكاً صـدر الشريـعة انـني ... لقـــليل عـمري في بكـاك مـتمم
بـطل تـورث مـن ابيه شجاعة ... فـيها انـوف بـني الضـلالة تـرغم

وللسيد راضي السيد صالح القزويني هذه القصيدة البليغة ونقتطف منها هذه الابيات:

ابا الفضل يا من اسس الفضل والابـا ... ابى الفـضل إلا ان تكـون له ابـا
تـطلّبت اسـباب العـلى فـبلغتها ... ومـا كـل سـاع بـالغ مـا تـطلبا
ودون احـتمال الضـيم عـز ومـنعة ... تخـيّرت اطـراف الاسـنة مـركبا
وقـفت بمسـتن النزال ولم تجـد ... سوى الموت في الهجا من الضيم مهربا
الى ان وردت المـوت والمـوت عـادة ... لكـم عـرفت تحت الاسـنة والضـبا
بـنفسي الذي واسى اخـاه بـنفسه ... وقـام بمـا سـنّ الاخـاء واوجـبا
ولم انسـه والمـاء مـلءُ مـزاده ... يـقلّب طـرف الطـرف شرقاً ومـغربا

ما ذاق طعم الماء وهو بقربه ولكن راى طعم المنية اعذبا

وللخطيب المصقع الشيخ محسن بن محمد ابو الحب الكبير هذه القصيدة البليغة وندرج منها هذه الابيات:

اذا كان ساقي الحوض في الحشر حيدر فساقي عطاشى كربلاء ابوالفضل
على ان ساقي الناس في الحشر قلبه مريع وهذا بالظما قلبه يغلي
جزى الله عنهم في المواساة عمهم (ابا الفضل) خيرا لو شهدت ابا الفضل
وقفت على ماء الفرات ولم ازل اقول له والقول يحسنه مثلي
علامك تجري لا جريت لو ارد وادركت يوماً بعض عارك بالغسل
اذ انشقت اكباد آل محمد لهيباً ولا ابتلت بغل ولا نهل
لقد كان سيفاً صاغه بيمينه (علي) فلم يحتج شباه الى الصقل
يميناً بيمناك القطيعة والتي تسمى شمالاً وهي جامعة الشمل
اذا عدّ ابناء النبي محمد رآه اخاهم من رآه بلا فضل
بصبرك دون ابن النبي بكربلاء على الهول امر لا يحيط به عقلي
ولم أر ظام حوله الماء قلبه ولم يروي منه وهو ذا مهجة تغلي
اخي كنت لي درعاً ونصلاً كلاهما فقدت فلا درعي لديّ ولا نصلي

وللخطيب الشيخ محمد علي اليعقوبي قصيدة مهمة في رثاء العباس نورد منها هذه الابيات:

اذا ركع السيف في كفه هوت هامهم سجداً ركعا
وحول الشريعة تحمي الفرات جموع ابى البغي ان تجمعا
وآب ولم يرو من شربه وجرّعه الموت ما جرعا
فخرّ على ضفة العلقمي صريعاً فاعظم به مصرعا
فما كان اشجى لقلب الحسين وآلم منه ولا افظعا

راى دمـــــه للـــقنا مـــنهلاً ... راوصـــاله للـــضبا مـــرتعا
قـــطيع اليمـــين عـــفير الجـــبين ... تشـــق النـــصال له مـــضجعا
ابـــدر العشـــيرة مـــن هـــاشم ... افـــلت وهـــيهات ان تـــطلعا
فـــقدتك يـــا ابـــن ابي واحـــداً ... ثكـــلت بـــه مـــضراً اجمـــعا
قـــصمت القـــرى وهـــدمت القـــوى ... واحـــنيت فـــوق الجـــوى الاضـــلعا
لقـــد هـــجعت اعـــين الشـــامتين ... واخـــرى لفـــقدك لن تهـــجعا
أســـاقي العـــطاشا لقـــد كـــضها ... الظـــمأ فـــاستقت بـــعدك الادمـــعا
حمـــيت الظـــعينة مـــن يـــثرب ... وانـــزلتها الجـــانب الأمـــنعا
ابـــا الفـــضل مـــا لي مـــغيث سـواك ... اذا الدهـــر في صرفـــه جـــعجعا
وكـــيف يـــردّ دعـــائي الاله ... وقـــد جـــئته فـــيك مســـتشفعا

وللشيخ حسون الحلي هذه القصيدة:

لم انس نـــاصر الديـــن الله مـــنفردا ... وفـــيه احـــدق اهـــل الشرك والاحـــن
لهـــفي له مـــذ راى العـــباس مـــنجدلاً ... فـــوق الصـــعيد ســـليباً عـــافر البـــدن
نادى بصوت يذيب الصخر يا عضدي ... ريـــا مـــعيني ويـــا كـــهفي ومـــؤتمني
عباس قد كنت لي عضداً اصـول بـه ... وكـــنت لي جـــنة مـــن امـــنع الجـــنن
عباس هذي جيوش الكفر قد زحـفت ... نحـــوي بـــثارات يـــوم الفـــتح تـــطلبني
كسرت ظـهري وقـلت حيلتي وبمـا ... قاسيت سرت ذور الاحقاد والضـغن
بـــقيت بـــعدك بـــعد القـــوم مـــنفرداً ... اقـــلب الطـــرف لا حـــام فـــيسعدني

وللشاعر محمد رضا الأزري هذه القصيدة والتي ننقل بعض ابياتها في ادناه:

فـــانهض الى الذكـــر الجـــميل مشـــمراً ... فـــالذكر ابـــق مـــا اقـــتنته كـــرامـــها
او مـــا اتـــاك حـــديث واقـــعة كـــربلاء ... أنىٰ وقـــد بـــلغ السما قـــتامها
يوم ابو الفـضل استجار بـه الهـدى ... والشمس من كـدر العـجاج لثامها

فحمى عرينه ودمدم دونها ... ويذب من دون الثرى ضرغامها
وابت نقيبته الزكية ربها ... وحشا بن فاطمة يشب ضرامها
اليوم سار عن الكتائب كبشها ... اليوم بان عن الهداة امامها
اليوم آل الى التفرق جمعنا ... اليوم حل عن البنود نظامها
اليوم نامت اعين بك لم تنم ... وتسهّدت اخرى فعز منامها
ولكم له من غضبة مضرية ... قد كاد يلحق بالسحاب ضرامها
اشقيق روحي هل تراك علمت اذ ... غودرت وانثالت عليك لئامها
الله اكبر اي بدر خرّ من ... افق الهداية فاستشاط ظلامها
قد خلت اطبقت السماء على الثرى ... او دكدكت فوق الربى اعلامها
لكن اهان الخطب عندي انني ... بك لاحق امراً قضى علامها
او لم تكن تدري قريش انه ... طلاع كل ثنية مقدامها

وللشاعر محمد الخليلي هذه الابيات من الشعر في رثاء العباس عليه السلام:

حتى هوى وهو مقطوع اليدين الى ... جنب الشريعة مطروحاً مع العلم
نادى اخاه ألا ادركني فقد بلغت ... مني امية ما رامته من قدم
فاسرع السبط محنياً له وهوى ... من فوقه بفؤاد منه مضطرم
وصاح والقلب خفاق ومهجته ... ذابت بدمع على الخدين منسجم
عباس انت عمادي انت مستندي ... وانت جامع شملي انت معتصمي
اليوم خلفت عني الدين ساهرة ... اليوم نامت عيون فيك لم تنم
اليوم في قتلك الاعداء قد شمتت ... اليوم خلفتني فرداً بغير حمي
ان الرزايا وان حلّت لرزؤك قد ... احنى ضلوعي واجرى عيني بدم

وللشاعر السيد مهدي الاعرجي هذه الابيات في رثاء ابي الفضل العباس عليه السلام:

تالله لا انسى (ابو الفضل) الذي ... بحسامه الموت الزؤام مجسم

يسطو عليهم كالهزير بسيفه ... فتراه يهدر مغضباً ويدمدم
يرمي الشرار حسامه فتخالها ... شهباً لشيطان الكريهة يرجم
حتى اذا ملك الفرات بسيفه ... وفؤاده بلظى الظما يتضرم
فاراد منه الشرب لكن صدّه ... عن شربه الأمر الاهم الاعظم
وغدا يلوم النفس منمه قائلاً ... تردينه وعلى الحسين يحرم
يا نفس هوني بعده فلو ان من ... في الكون يفنى وابن احمد يسلم
اردوه مقطوع اليدين على الثرى ... والراس منه بالعمود مهشم
فاتى اليه السبط يندب قائلاً ... والظهر حزناً كاد منه يقصم
يا مالكاً صدر الشريعة انني ... لقليل عمري في بكاك متمم

ونظم الشاعر الشيخ عبد المنعم الفرطوسي حول بسالة العباس وشجاعته يقول:

علم للجهاد في كل زحف ... علم في الثبات عند اللقاء
قد نما فيه كل بأس وعز ... من علي بنجعة واباء
هو ثبت الجنان في كل روع ... وهو روع الجنان في كل راء
فارتقى صهوة الجواد مطلاً ... علماً فوق قلعة شماء
وتجلى والحرب ليل قتام ... قمراً في غياهب الظلماء
فاستطارت من الكماة قلوب ... افرغت من ضلوعها كالهواء
وتهاوت جسومهم وهي صرعى ... واستطارت رؤوسهم كالهباء
وهو يرمي الكتائب السود رجماً ... بالمنايا من اليد البيضاء

ونظم آية الله الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء هذه الابيات في شأن العباس:

وتعبس من خوف وجوه امية ... اذا كرّ عباس الوغى يتبسم
ابو الفضل تأبى غيرة الفضل والابا ... اباً فهو اما عنه ام فيه يرسم

عـــليم بـــتأويل المـــنية ســـيفه نـــزول عـــلى مـــن بـــالكريهة مـــعلم
ويـــمضي الى الهـــيجاء مســـتقبل العـــدى بمـــاض بـــه امـــر المـــنية مـــبرم
وان سمـــع الاطـــفال تـــصرخ للـــظما تـــصارخ مـــنه الحـــجفل المـــتضخم
وصـــال عـــليهم صـــولة الليث مـــغضباً يحـــمحم مـــن طـــول الطـــوى ويـــدمدم
وراح لمـــورد المســـتق حـــامل الســـقا واصـــدر عـــنه وهـــو بـــالماء مـــفعم
ومـــذ خـــاض نهـــر العـــلقمي تـــذكر الحســـين فـــولى عـــنه والريـــق عـــلقم
واضحى ابن ساقي الحوض سقا ابن احمد يروي عطاشا المصطفى الطهر ان ظـموا
ابـــا الفـــضل تهـــنيك الوراثـــة مـــن اب ويهـــني ابـــاك الفـــضل انك له اسم

وللشاعر الشيخ حسن قفطان هذه الابيات:

هـــيهات ان تجـــفو السهـــاد جـــفوني او ان داعـــــية الاسى تجـــــفوني
انى ويـــوم الطـــف اضرم في الحشـــا جـــذوات وجـــد مـــن لظـــى سـجين
يـــوم ابـــو الفـــضل استفذت بـــاسه فـــتيان فـــاطم مـــن بـــني يـــاسين
حـــتى اذا قـــطعوا عـــليه طـــريقه بســـداد جـــيش بـــارز وكـــمين
حســـموا يـــديه وهـــامه ضربـــوه في عـــمد الحـــديد فـــخر خـــير طـــعين
ومـــشى اليـــه الســـبط يـــنعاه كســـ ـرت الآن ظهري يـــا اخـــي ومـــعيني
عـــباس كـــبش كـــتيبتي وكـــنانتي وسري قـــومي بـــل اعـــز حـــصوني
يـــا ســـاعدي في كـــل مـــعترك بـــه اســـطوا وســـيف حمـــايتي بـــيميني
لمن اللـــواء اعـــطي ومـــن هـــو جـــامع شمـــلي وفي ضـــنك الزحـــام يـــقيني
لك مـــوقف بـــالطف انـــسى اهـــله حـــرب العـــراق بمـــلتقى صـــفين
مـــن مـــبلغ ام البـــنين رســـالة عـــن واله بشـــجائه مـــرهون
لا تسأل الركـــبان عـــن ابـــنائها في كـــربلاء وهـــم اعـــز بـــنين
تأتي لارض الطـــف تـــنظر ولدهـــا ثـــاوين بـــين مـــبضع وطـــعين

وللشاعر الكربلائي الحاج جواد بدقت هذه القصيدة في رثاء العباس عليه السلام:

ابا الفضل في يوم به جمع القضا ... وعائت بكل العالمين عظائمه
اقام مقاماً يملأ الكون سبقه ... وحسبك مما كان ان هو قائمه
فنازلها حرباً تذوب لهوله السـ ... ـماوات لولا انه هو حاجمه
فارسله في الجيش حتى تفللت ... حدود مواضيه وخارت ضراغمه
فاحرز مجرى الماء كف يفوقه ... بمجرى الندى في بعض ما هو ساجمه
تنازله الآساد علماً بانه ... يصادم محتوم القضا من يصادمه
فامضى بهم عزماً ترى دونه الردى ... وان الردى ان لا تهب عزائمه
الى ان اشاد الشرك حاسم باعه ... وقد حسم الدين الحنيفي حاسمه
واهوى فاد العرش حزناً له وهل ... وأنى لعريش ان هوين دعائمه

كما ونظم الشاعر الاديب السيد سلمان هادي ال طعمة حول العباس هذه الابيات:

جرى القضا واي خطب قد جرى ... فهدّ من ساقي عطاشى كربلاء
لم انسه يدعو اخاه السبط هل ... من شربة اسق بها على الظما
خاض غمار الموت وهو باسمٌ ... وعبّس القوم وفروا مذ سطا
صال ابو الفضل على اعدائه ... صولة ليث في عراص نينوى
قضى بجنب العلقمي ظامياً ... وذاد عن ماء الفرات ما ارتوى
حزّ أبي الضيم عن جواده ... مقطع الأعضاء مسلوب الردا
مادت لرزئه السماوات العلى ... وزلزل الكون وضجّت الملا
يا وقعة الطف وما اعظمها ... من وقعةٍ دهماء اورت الحشا

ونظم شاعر آخر هذه القصيدة وارادها ان تكون معبرة عن لسان الحوراء زينب عليها السلام:

لهفي على العباس لما ان دنا ... نحو الفرات بقلبه الحراني
فاراد شرب الماء وقال لنفسه ... والهفتاه للسيد العطشان
عاف الشراب ولم يبل اوامه ... وجداً لوجد اخيه والاخوان
لهفي على العباس وهو معفرٌ ... ومخضب من جسمه بالقاني
ابكي لمن يبكي الحسين لقتله ... ومدامعي تهمي من الاجفان
ابكي لمن نصر الحسين مجاهداً ... لا يخشى من صارم وسنان
لهفي على العباس اذ حاطوا به ... من كل فج اقبلوا ومكان
حاطوا به واستفردوه وخرقوا ... قرباً ملاها قاصد النسوان
ثاروا عليه بطعنهم وبضربهم ... وبطعنهم اردوه في الميدان
وهواه آخر ضربة في رأسه ... حتى رماه بحومة الجولاني
فاتى الحسين اليه وهو مسارع ... فراى اخاه مكابد الحدثان
فبكى وقال جزيت خيراً من اخ ... واسى اخاه بشدة وهواني
اديت حقاً للأخوة يا اخي ... وحظّيت وصل الحور والولداني
والله تلك مصيبة لم انسها ... إلا اذا ادرجت في الاكفاني

زيارة ابو الفضل العباس عليه السلام

«اَلسَّلامُ عَلَيْكَ اَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ الْمُطِيعُ للهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِاَمِيرِالْمُؤْمِنِينَ وَالْحَسَنِ والْحُسَيْنِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ وَمَغْفِرَتُهُ وَرِضْوانُهُ وَعَلىٰ رُوحِكَ وَبَدَنِكَ، اَشْهَدُ و اُشْهِدُ اللهَ اَنَّكَ مَضَيْتَ عَلىٰ ما مَضىٰ بِهِ الْبَدْرِيُّونَ وَالْمُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ الْمُناصِحُونَ لَهُ فِي جِهادِ اَعْدائِهِ الْمُبالِغُونَ فِي نُصْرَةِ اَوْلِيائِهِ الذَّابُّونَ عَنْ اَحِبّائِهِ فَجَزاكَ اللهُ اَفْضَلَ الْجَزاءِ، وَاَكْثَرَ الْجَزاءِ، وَاَوْفَرَ الْجَزاءِ، وَاَوْفىٰ جَزاءِ اَحَدٍ مِمَّنْ وَفىٰ بِبَيْعَتِهِ وَاسْتَجابَ لَهُ دَعْوَتَهُ وَاَطاعَ وُلاٰةَ اَمْرِهِ اَشْهَدُ اَنَّكَ قَدْ بالَغْتَ فِي النَّصيحَةِ، وَاَعْطَيْتَ غايَةَ الْمَجْهُودِ، فَبَعَثَكَ اللهُ فِي الشُّهَداءِ، وَجَعَلَ رُوحَكَ مَعَ اَرْواحِ السُّعَداءِ، وَاَعْطاكَ مِنْ جِنانِهِ اَفْسَحَها مَنْزِلاً وَاَفْضَلَها غُرَفاً، وَرَفَعَ ذِكْرَكَ فِي عِلِّيِّينَ، وَحَشَرَكَ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدّيقِينَ وَالشُّهَداءِ وَالصّالِحِينَ وَحَسُنَ اُولٰئِكَ رَفيقاً، اَشْهَدُ اَنَّكَ لَمْ تَهِنْ وَلَمْ تَنْكُلْ، وَاَنَّكَ مَضَيْتَ عَلىٰ بَصيرَةٍ مِنْ اَمْرِكَ مُقْتَدِياً بِالصّالِحِينَ، وَمُتَّبِعاً لِلنَّبِيِّينَ، فَجَمَعَ اللهُ بَيْنَنا وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ رَسُولِهِ وَاَوْلِيائِهِ فِي مَنازِلِ الْمُخْبِتِينَ، فَاِنَّهُ اَرْحَمُ الرّاحِمِينَ».

«اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا اَبَا الْفَضْلِ الْعَبّاسَ ابْنَ اَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا ابْنَ سَيِّدِ الْوَصِيِّينَ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا ابْنَ اَوَّلِ الْقَوْمِ اِسْلاماً وَاَقْدَمِهِمْ اِيمانا وَاَقْوَمِهِمْ بِدِينِ اللهِ، وَاَحْوَطِهِمْ عَلَى الْاِسْلامِ، اَشْهَدُ لَقَدْ نَصَحْتَ للهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِاَخِيكَ فَنِعْمَ الْاَخُ الْمُواسي، فَلَعَنَ اللهُ اُمَّةً قَتَلَتْكَ، وَلَعَنَ اللهُ اُمَّةً ظَلَمَتْكَ، وَلَعَنَ اللهُ اُمَّةً اسْتَحَلَّتْ مِنْكَ الْمَحارِمَ، وَانْتَهَكَتْ حُرْمَةَ الْاِسْلامِ، فَنِعْمَ الصّابِرُ الْمُجاهِدُ الْمُحامِي النّاصِرُ وَالْاَخُ الدّافِعُ عَنْ

اَخيهِ، المُجيبُ اِلىٰ طاعَةِ رَبِّهِ، الرّاغِبُ فيما زَهِدَ فيهِ غَيْرُهُ مِنَ الثَّوابِ الْجَزيلِ وَالثَّناءِ الْجَميلِ، وَاَلْحَقَكَ اللهُ بِدَرَجَةِ آبائِكَ فِي جَنّاتِ النَّعيمِ».

«اَللّـهُمَّ اِنّي تَعَرَّضْتُ لِزِيارَةِ اَوْلِيائِكَ رَغْبَةً فِي ثَوابِكَ وَرَجاءً لِمَغْفِرَتِكَ وَجَزيلِ اِحْسانِكَ، فَاَسْاَلُكَ اَنْ تُصَلِّيَ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطّاهِرينَ، وَاَنْ تَجْعَلَ رِزْقي بِهِمْ دارّاً وَعَيْشي بِهِمْ قارّاً، وَزِيارَتي بِهِمْ مَقْبُولَةً وَحَياتي بِهِمْ طَيِّبَةً، وَاَدْرِجْني اِدْراجَ الْمُكْرَمينَ، وَاجْعَلْني مِمَّنْ يَنْقَلِبُ مِنْ زِيارَةِ مَشاهِدِ اَحِبّائِكَ مُفْلِحاً مُنْجِحاً، قَدِ اسْتَوْجَبَ غُفْرانَ الذُّنُوبِ وَسَتْرَ الْعُيُوبِ وَكَشْفَ الْكُرُوبِ، اِنَّكَ اَهْلُ التَّقْوىٰ وَاَهْلُ الْمَغْفِرَةِ».

المصادر والمراجع

١ ـ العباس بن علي/ رائد الكرامة والفداء في الاسلام الشيخ باقر شريف القرشي

٢ ـ العباس بن علي بن أبي طالب/ قمر بني هاشم محمد كامل حسن المحامي

٣ ـ قمر بني هاشم عبد الرزاق الموسوي المقرم

٤ ـ العباس/ بطولة الروح وشجاعة السيف محمد هادي

٥ ـ السر الفياض/ سيدنا ومولانا ابو الفضل العباس السيد احمد شكر الحسني

٦ ـ العباس بن علي/ بطل الحق والحرية عبد الحميد المهاجر

٧ ـ العباس بن علي/ جهاد وتضحية سعيد رشيد زميزم

٨ ـ ام البنين سلمان هادي آل طعمة

٩ ـ سيرة ام البنين حيدر المرجاني

١٠ ـ مدينة الحسين محمد حسن مصطفى الكليدار ال طعمة

١١ ـ تاريخ مرقد الحسين والعباس سلمان هادي ال طعمة

١٢ ـ نفحات الايمان في خيرات شعبان فخر الدين حميد زيني

كتب للمؤلف

١ ـ لمحات من تاريخ القرآن.

٢ ـ اضواء على شبه القارة الهندية.

٣ ـ الامام علي عليه السلام... من الكعبة الى الغري.

٤ ـ الحسين عليه السلام... ثورة دائمة.

٥ ـ تاريخ المساجد في الاسلام.

٦ ـ تاريخ التصوف في الاسلام.

٧ ـ عمار بن ياسر... صوت لم يخمد وسيف لم يغمد.

٨ ـ اليمن.. بين مفاخر الاجداد ومآثر الاحفاد.

٩ ـ زيد والزيدية.

١٠ ـ العباس... رجل العقيدة والجهاد ـ هذا الكتاب.

١١ ـ مسلم بن عقيل ـ بريق النبوة في ظلمات الكوفة.

١٢ ـ المختار الثقفي... ثائر بني ثقيف.

١٣ ـ الامثال والكنايات الشعبية الشائعة في وادي الفرات.

١٤ ـ الموجز في احكام ومسائل وآداب المساجد والجماعة.

١٥ ـ جعفر الطيار طليعة شهداء الفتح الاسلامي.

١٦ ـ حمزة بن عبد المطلب شهيد المبدأ والعقيدة.

محتويات الكتاب

الاهداء ٥
حكمة الكتاب ٦
تقريض: للعلامة الشيخ باقر شريف القرشي ٧
كلمة حول الكتاب: المحامي الحاج محمد علي النصراوي ٩
المقدمة ١٢
من مكة الى دار الهجرة ١٦
في رحاب ام البنين ٢٦
ام البنين تزف الى علي عليه السلام ٣٢
ولما بلغ اشده واستوى ٣٩
اخوة العباس عليه السلام واخواته ٥٦
العباس عليه السلام في رفقة والده ٥٩
المدينة بعد هلاك معاوية ٦٥
المسيرة الطويلة ٧٢
عند اعتاب كربلاء ٨٨
بدء العد التنازلي ١٠١
ان الذين يبايعونك ١١٠
ما قبل ساعة الصفر ١١٨

الملحمة الكبرى ١٢٧
ما بعد الملحمة ١٤٣
كرامات العباس عليه السلام ١٥٠
ما ينسب الى العباس ١٦٩
تاريخ الروضة العباسية ١٧٩
سدنة الروضة العباسية ١٨٨
تطوير الروضة العباسية ١٩٣
مقترحات حول تطوير الحرم الشريف ١٩٨
اروع ما قيل في رثاء العباس عليه السلام ٢٠٠
زيارة ابو الفضل العباس عليه السلام ٢١١
المصادر والمراجع ٢١٣
كتب للمؤلف ٢١٤
الفهرس ٢١٥

مكتبة الروضة الحيدرية
النجف الاشرف

اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يَابْنَ اَوَّلِ الْقَوْمِ اِسْلامًا،
وَاَقْدَمِهِمْ اِيمانًا، وَاَقْوَمِهِمْ بِدِينِ اللهِ، وَاَحْوَطِهِمْ عَلَى الْاِسْلامِ، اَشْهَدُ
لَقَدْ نَصَحْتَ لِلّٰهِ، وَلِرَسُولِهِ وَلِاَخِيكَ، فَنِعْمَ الْاَخُ الْمُواسِي، فَلَعَنَ اللهُ اُمَّةً
قَتَلَتْكَ، وَلَعَنَ اللهُ اُمَّةً ظَلَمَتْكَ، وَلَعَنَ اللهُ اُمَّةً اِسْتَحَلَّتْ مِنْكَ الْمَحارِمَ،
وَانْتَهَكَتْ حُرْمَةَ الْاِسْلامِ،